

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Usoul Eddeen
PhD. of Tafseer and Quran Sciences



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
دكتوراه التفسير وعلوم القرآن

التربية العسكرية في ضوء القرآن الكريم

Military Education in the Light of the Holy Quran

إعدادُ الباحثِ

محمود كمال صالح أبو زينة

إشرافُ:

الأستاذُ الدكتور

زكريا إبراهيم صالح الزميلي

قُدِّمَ هَذَا البحثِ استكمالاً لِمُتَطَلِّبَاتِ الحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الدكتوراهِ فِي التفسيرِ وعلومِ القرآنِ مِنْ كُليَّةِ
أصولِ الدينِ فِي الجَامِعَةِ الإسلاميَّةِ بغزة.

ربيع ثاني/ 1442 هـ - ديسمبر/ 2020 م.

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التربية العسكرية في ضوء القرآن الكريم

Military Education in the Light of the Holy Quran

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمود كمال أبو زينة	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:

نتيجة الحكم على أطورحة دكتوراه

ملخص الرسالة

تناول الباحث موضوع التربية العسكرية في ضوء القرآن الكريم، وقد هدفت الدراسة إلى:

1. توضيح مفهوم التربية العسكرية في الإسلام، وبيان أهميتها.
2. بيان أثر إهمال التربية العسكرية على المجتمع الإسلامي، وأثر ذلك على واقع الأمة.
3. التعرف على التوجيهات التربوية العسكرية من خلال القرآن الكريم؛ للاستفادة من أحداثها في إدارة الصراع مع أعداء الإسلام اليوم.

كما اعتمد الباحث في منهجيته على: المنهج الاستقرائي، الاستنباطي، الموضوعي، وهو ما يعتمد على دراسة الواقع، ويهتم بوصف الظواهر وصفًا دقيقًا. وتضمنت الدراسة أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: أهم النتائج:

1. أن القرآن الكريم منهج حياة لأمة الإسلام، فقد وضع لنا رؤية واضحة؛ كي نتعامل بها مع من حولنا.
2. تختلف الأدوات العسكرية القتالية من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان.
3. أن الإعداد العسكري من الناحيتين: المادية والمعنوية، لا ينفك عن بعضهما في تحقيق النصر والغلبة.

ثانياً: أهم التوصيات:

1. إعداد فريق مؤهل لممارسة العمل التربوي العسكري؛ للارتقاء بجميع الجوانب التي تساعد على نشر الدعوة إلى الله، وخصوصاً في مجال العسكرية.
2. إنشاء مدارس عسكرية تقوم على أساس إسلامي؛ كمدرسة النبي ﷺ في تعليم أصحابه.

Abstract

The researcher dealt with the subject of military education in the light of the Holy Quran. The study aimed at the following:

1. Clarifying the concept of military education in Islam and explaining its importance.
2. Explaining the impact of neglecting military education on the Islamic community and its impact on the lived reality of the *Ummah* (the Muslim nation)
3. Knowing the military educational directives derived from the Holy Quran, in order to benefit from their events in managing the conflict with the enemies of Islam today.

The researcher adopted the inductive, deductive and objective approach, which is based on the study of reality, and is concerned with the accurate description of phenomena.

The study reached a set of results, the most important of which are as follows:

1. The Holy Quran is a way of life for the nation of Islam, as it has laid down a clear vision for us on how to deal with those around us.
2. Military combat tools differ from time to time, and from place to place.
3. Military preparations, both financially and morally, are inseparable from each other in achieving victory and triumph.

The most important recommendations of the study are the following:

1. Preparing a team that is qualified to practice military educational work in order to advance all aspects that help spread the call to Allah (SWT), especially in the military field.
2. Establishing military schools based on an Islamic foundation, similar to the school of the Prophet (peace be upon him) in educating his companions.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَالْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ
إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَّالِمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: 60]

الإهداء

إليك نبيّ السماء، وأنت تقودُ القلوب لنهر الحياة،

وتزرع فينا حقول الأمل...

إليك وأنت تهدهدُ نبضَ المحبين حولك،

تُنبئهم باليقين، فيهطلُ إن جاء ذكركُـ

"غيمُ العسل"...

لروح أبي، ومن كان في درب روعي الأمان،

صلاةً من الله تسقي ثراك، ودفٌ يُدثر روحك في كل آن...

لأمي، كأنك غيمٌ يطل بقلبي

فيساقط الحبُّ والأمنيات...

وقد كُنت في زحمة العمر شمسًا، تبتُّ الضياء، فتصحو الحياة...

لروح أخي، شهيدًا أراك... تصافح كف الملاك،

فيهدأ فينا الأنين... إليك سأهدي عيون القصيد، فينبج الصبحُ كالياسمين...

ستبقى بكل القلوب انتصارًا، وتبقى العزيز الجميل الأمين...

• إلى أخوتي وأخواتي؛ رفاق درب الحياة، ورحلة الأمل، من بذلوا كلَّ غالٍ ونفيس لأصل إلى

بر التميز، وأخصهم ذكرًا أخي الغالي علي "أبو محمد" ...

• إلى من سارت معي درب الحياة بثقة المقاتل، فصبرت ودعمت وكانت عونًا لي بعد الله،

زوجتي الغالية...

• إلى وردات القلب، ومؤسسات الروح؛ بناتي الغاليات...

• إلى أرواح الشهداء في جنات عدن، وجنود الله في أرضه، وكل غيور على هذا الدين...

إليكم جميعًا، أهدي بحثي، وكلّي أملٌ أن أكون على قدرِ ثقتم ومحبتكم، والسلام...

الباحث.

شكر وتقدير

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40].

وقال ﷺ: (لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ) (1).

الحمد لله ناصر المؤمنين المجاهدين، ومخزي الكفرة المتجبرين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، إمام المرسلين، وقائد المجاهدين إلى يوم البعث والدين، أما بعد:

أتوجه إلى المولى خاضعاً ذليلاً في علاه بالحمد الخالص والشكر الجزيل، على ما أنعم به عليّ وأجزل، وامتنن به وتفضل، فله الحمد في الأولى والآخرة، على ما أعان وسهّل، وأسبل من النعم ويسرّ، وما لطف به وقدر، فله الحمد على ما أعانني لإتمام هذه الرسالة، الذي أسأل الله العليّ القدير أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله قيساً ينير به درب الباحثين.

وإنني أتقدم بأعذب كلمات المحبة والتقدير، وأسمى آيات الشكر والعرفان، معترفاً لأهل الفضل على فضلهم، لأستاذي وشيخي فضيلة الأستاذ الدكتور/ زكريا إبراهيم الزميلي، الذي وجهني وأرشدني ثم أمدني بالكتب والمراجع، وواصل متابعتي لهذه الرسالة العلمية حتى خرجت على أحسن حال، كما أتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة:

1. الأستاذ الدكتور: عبد الكريم الدهشان

2. الدكتور: وليد العمودي

3. الدكتور: ماجد سكر

لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما بذلوه من جهد في تجويد وتحسين الرسالة، وتصويبها، وتنقيحها؛ لتخرج بإذن الله عز وجل بأفضل ما يكون.

وجزيل الشكر وعظيم الامتنان لمنارة العلم وقبلة العلماء، مخرجة القادة والشهداء والعلماء؛ الجامعة الإسلامية بغزة، والشكر موصولاً إلى كلية أصول الدين، وخاصة أساتذتي في قسم التفسير وعلوم القرآن، وإلى الدراسات العليا التي أتاحت لطلاب العلم إكمال دراستهم العليا.

كما أتقدم إلى أهلي بالشكر الجزيل على ما قدموه لي من توفير الجو الملائم خلال رحلة الدراسة، فكانوا من بعد الله خير عون.

وأخيراً، أشكر كل من ساعدني في كتابة هذا البحث.

(1) صحيح: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، ذكر ما يجب على المرء من الشكر لأخيه المسلم عند الإحسان إليه، ج8/ ص199، ح 3407.

فهرس المحتويات

أ.....	إقرار
ت.....	ملخص الرسالة
ث.....	Abstract
ح.....	الإهداء
خ.....	شكر وتقدير
د.....	فهرس المحتويات
1.....	مقدمة
1.....	أولاً: أهمية الموضوع
2.....	ثانياً: أسباب اختيار الموضوع
2.....	ثالثاً: أهداف البحث وغاياته
3.....	رابعاً: منهج البحث
4.....	خامساً: الدراسات السابقة
4.....	سادساً: خطة البحث
8.....	الفصل الأول مفهوم العسكرية وأهميتها في الإسلام
9.....	المبحث الأول تعريف التربية العسكرية
9.....	المطلب الأول: تعريف التربية لغةً واصطلاحاً
10.....	المطلب الثاني: تعريف العسكرية لغةً واصطلاحاً
11.....	المطلب الثالث: تعريف التربية العسكرية
13.....	المبحث الثاني أهداف وعناصر التربية العسكرية وفضل القتال
13.....	المطلب الأول: أهداف وغايات التربية العسكرية في القرآن الكريم
24.....	المطلب الثاني: عناصر التربية العسكرية في القرآن
41.....	المطلب الثالث: بيان فضل القتال في سبيل الله
46.....	المبحث الثالث التربية العسكرية أهميتها وعلاقتها بالتربية الإسلامية ودور المسجد فيها

46	المطلب الأول: أهمية التربية العسكرية في الإسلام.....
48	المطلب الثاني: العلاقة بين التربية العسكرية والتربية الإسلامية.....
51	المطلب الثالث: دور المسجد في التربية العسكرية.....
57	الفصل الثاني دور التربية في تعزيز الأخلاق العسكرية وأمنها.....
	المبحث الأول: المنهج التربوي للمجاهد في غرس حب الشهادة، وبث الروح المعنوية في القتال.
58
58	المطلب الأول: المنهج التربوي لإعداد المجاهدين.....
63	المطلب الثاني: الشهادة في نفوس المجاهدين.....
68	المطلب الثالث: التعبئة المعنوية في تحقيق النصر.....
73	المبحث الثاني: الشورى العسكرية مشروعيتها وأهميتها وتطبيقاتها.....
73	المطلب الأول: تعريف الشورى ومشروعيتها.....
76	المطلب الثاني: أهمية الشورى.....
77	المطلب الثالث: تطبيقات عسكرية للشورى.....
86	المبحث الثالث: القتال في الإسلام.....
86	المطلب الأول: الأسباب العسكرية لمشروعية القتال في الإسلام.....
93	المطلب الثاني: أخلاق المسلمين في القتال.....
100	المطلب الثالث: القتال في سبيل الله تجارة رابحة.....
103	المبحث الرابع: الأمن والاستخبارات العسكرية في القرآن الكريم.....
103	المطلب الأول: تعريف الأمن والاستخبارات العسكرية.....
105	المطلب الثاني: أهمية الأمن والاستخبارات العسكرية في الإسلام.....
107	المطلب الثالث: صور من الأمن العسكري والاستخباري.....
119	الفصل الثالث القواعد العسكرية لميدان القتال.....
120	المبحث الأول: القتال العسكري أساليبه ووسائله ومبادئه وأوامره في القرآن الكريم.....
120	المطلب الأول: أساليب القتال العسكرية.....

المطلب الثاني: الوسائل القتالية العسكرية.....	123
المطلب الثالث: المبادئ العسكرية القتالية.....	131
المطلب الرابع: الأوامر العسكرية.....	156
المبحث الثاني الإعلام والتحالفات العسكرية في القرآن الكريم.....	161
المطلب الأول: التحالفات العسكرية.....	161
المطلب الثاني: الإعلام العسكري في القرآن الكريم.....	168
المبحث الثالث الحرب النفسية في القرآن الكريم أساليبها وطرق الوقاية وإزالتها.....	189
المطلب الأول: تعريف الحرب النفسية.....	189
المطلب الثاني: أساليب الحرب النفسية في القرآن الكريم.....	190
المطلب الثالث: الوقاية من الحرب النفسية وإزالة آثارها.....	196
الفصل الرابع: التمكين؛ أهدافه وأركانه ومراحله ومراتبه ونماذجه وصفات جيله. ...	206
المبحث الأول: تعريف التمكين شروطه وأسبابه ومعوقاته.....	207
المطلب الأول: تعريف التمكين لغةً واصطلاحًا.....	207
المطلب الثاني: شروط التمكين وأسبابه.....	209
المطلب الثالث: معوقات التمكين.....	226
المبحث الثاني: مراحل التمكين؛ أهدافه وصفات جيله.....	235
المطلب الأول: مراحل التمكين.....	235
المطلب الثاني: أهداف التمكين.....	240
المطلب الثالث: صفات جيل التمكين.....	248
المبحث الثالث: مراتب ونماذج التمكين.....	256
المطلب الأول: مراتب التمكين في القرآن الكريم.....	256
المطلب الثاني: نماذج قرآنية للتمكين.....	261
الخاتمة.....	267
أهم النتائج:.....	267

268	أهم التوصيات:
269	المصادر والمراجع
270	الفهارس العامة
292	أولاً: فهرس الآيات الكريمة
324	ثانياً: فهرس الأحاديث
332	ثالثاً: فهرس الأعلام
333	رابعاً: فهرس البلدان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أعزَّ جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على خير من وطئت قدماه الثرى محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تواجه الأمة الإسلامية اليوم الكثير من الصعوبات والتحديات، أمام هذا السيل الجارف من العداوات والمكائد التي ينصبُّ شراكها أعداء الله لأمة الإسلام.

لذلك كان لا بدَّ للقادة والدعاة وأولي الأمر، أن يُنعموا النظر في كتاب الله؛ كونه منهج حياة لهذه الأمة المحمدية، والمعرفة التامة بالسنة النبوية وأساليبها، والسيرة بجوانبها كافة؛ لأن المصطفى ﷺ هو قدوة المسلمين، ومبلغ الدين عن رب العالمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: 21].

والذي ينظر لحال الأمة الإسلامية اليوم يعتصر قلبه ألمًا، فيوشك أن يتسلل اليأس ليحيط بجوانبه؛ مما يراه من حالة الذل والهوان التي وصلت إليها الأمة الإسلامية، وعلى الرغم من تلك اللحظات العصيبة، يأتي موعود الله القريب بالنصر والتمكين لأمة المسلمين، إن حافظوا وبقوا على الطريق، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّنصِرُوا اللَّهَ يَصِرْ لَكُمُ يَدَايُوسُ ۝﴾ [محمد: 7].

وتأتي هذه الرسالة لتعلم الأمة أن القرآن الكريم منهجٌ وطريقٌ للوصول إلى التمكين في الأرض، وبغيره يكون الضياع والتَّيُّه، وأنَّ مسيرتنا الدعوية ورحلتنا الجهادية من أجل تحقيق العزة والكرامة، ولا بد أن ترتبط بالقرآن الكريم، وتستنير بنوره، وتسير وفق توجيهاته؛ فيكون هو المنهل لكي نعود إلى مصدر العزة وسرَّ القوة والنهضة.

أولاً: أهمية الموضوع

تبرز أهمية الموضوع من خلال ما يأتي

- تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب وهو القرآن الكريم؛ فالاشتغال به من أجل العلوم وأشرفها.
- صقل شخصية الباحث بالكتابة في الموضوعات التي تتعلق بالواقع الذي نعيشه، وربطها به.

- يتناول القرآن الكريم موضوعات متنوعة تحاكي الواقع الذي نعيشه، وخصوصًا الجوانب التربوية العسكرية في ظلّ حالة الصراع مع أعداء الله.
- حاجة الأمة اليوم إلى التسلّح بالتوجيهات التربوية العسكرية؛ لحسن إدارة الصراع مع أهل الباطل.
- إن كتاب الله تعالى مكنم العلوم، ومستودع المعارف، ولا بدّ من الارتباط به في كل مجالات الحياة، ليكون هو الموجّه والمرشد؛ لذا فإنّ الأمل في وجه الله معقود.
- إن الكثير من العلوم العسكرية التي جاء بها القرآن الكريم تدرس في أكاديميات غربية بطريقة تنافي القيم والأخلاق التي أمر بها الله تعالى.
- حاجة الأمة الإسلامية اليوم للتربية العسكرية؛ لتقود الناس على بصيرة وأخلاق، ولكي يفرق بين جهاد وقاتل صاحب الحق، وبين من يقاتل من أجل تشويه صورة الإسلام.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

- تعيش الأمة اليوم في حالة فراغ تربوي، لاسيما في الموضوعات التي تتعلق بالجوانب العسكرية، في ظلّ حالة الصراع بيننا وبين أهل الباطل.
- ابتغاء الأجر والثواب من خلال خدمة كتاب الله تعالى.
- الرغبة في التدبر والتفكير، طاعةً وامتنانًا لأوامر الله تعالى.
- فتح آفاق جديدة للباحثين، وأن يكتبوا في هذه الموضوعات لزيادة الوعي الجهادي العسكري التربوي.

ثالثًا: أهداف البحث وغاياته:

للبحث أهداف عديدة، وغايات سامية أذكر أهمها:

- توضيح مفهوم التربية العسكرية في الإسلام وبيان أهميتها.
- بيان أثر إهمال التربية العسكرية على المجتمع الإسلامي، وأثر ذلك على واقع الأمة.
- التعرّف على التوجيهات التربوية العسكرية من خلال القرآن الكريم؛ للاستفادة من أحداثها في إدارة الصراع مع أعداء الإسلام اليوم.
- بيان الطرق لإعادة الروح العسكرية التي غابت عن الواقع العربي المسلم.

- بيان أنَّ القرآن الكريم هو السبيل الوحيد للنهوض بهذه الأمة، وإيجاد حلول للقضايا الحالية والمستجدة.
- إبراز القيمة التربوية العسكرية من خلال القرآن الكريم.
- بيان نتائج التربية العسكرية، والتي تشتمل على التمكين من خلال البحث في القرآن الكريم.
- فتح آفاق جديدة أمام الباحثين، من خلال الموضوعات التي سيتم طرحها في هذه الأطروحة، والنتائج التي سيتوصل إليها الباحث.
- إثراء المكتبة الإسلامية بالموضوعات التي تخدم كتاب الله.
- بيان الفرق بين التربية العسكرية في القرآن الكريم، والعسكرية الوضعية.

رابعًا: منهج البحث:

1. اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي الموضوعي، وهو ما يعتمد على دراسة الواقع، ويهتم بوصف الظواهر وصفًا دقيقًا.
2. استفاد الباحث من المنهج التاريخي بالرجوع إلى كتب السيرة النبوية الشريفة، وكتب المغازي.

وذلك وفق الخطوات الآتية:

1. جمع المادة العلمية.
2. استنباط التوجيهات التربوية العسكرية من خلال سور القرآن.
3. تحديد واجب المؤسسات التربوية المختلفة في التربية العسكرية.
4. ترتيب المراجع والمصادر حسب الأحرف الهجائية.
5. إعداد فهرس للآيات، والأحاديث، والأعلام المترجم لهم في البحث، والمصادر، والمراجع، والموضوعات والبلدان.
6. عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وتوثيقها حسب الأصول، ومراعاة الأمانة العلمية في النقل، والتوثيق، والتعليق.
7. الاستدلال بالأحاديث النبوية التي تخدم الموضوع، وتخريجها تخريجًا علميًا، مع إيراد حكم العلماء عليها ما أمكن في غير الصحيحين.
8. الاكتفاء بالترجمة للأعلام المغمورة.
9. الاكتفاء بذكر اسم المرجع، واسم المؤلف والجزء والصفحة، وباقي المعلومات في فهرس المراجع.

خامسًا: الدراسات السابقة

- التربية في الإسلام: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني. دار المعارف بمصر.
- العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى دراسة تحليلية عسكرية: العقد ركن/ قاسم محمد صالح. ط1، سنة 1987م.
- منهج تربية المجاهدين في المدرسة النبوية: محمد سميح عبيد الله. رسالة ماجستير، كلية التربية بمكة المكرمة، سنة 1401هـ.
- التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال: أحمد تالي إدريس. رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، 1410هـ.
- الجهاد في الإسلام: محمد شديد. مؤسسة الرسالة بيروت.
- اختلفت رسالة الباحث عن باقي الدراسات السابقة أنها جمعت كل المتفرقات، حيث كانت كل دراسة تتحدث عن جانب معين، وقام الباحث بربط الموضوعات بالواقع.

سادسًا: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، كما يأتي:

- أولاً: أهمية الموضوع
- ثانياً: أسباب اختيار الموضوع
- ثالثاً: أهداف البحث وغاياته
- رابعاً: منهج البحث
- خامسًا: الدراسات السابقة
- سادسًا: خطة البحث

الفصل الأول مفهوم العسكرية وأهميتها في الإسلام

المبحث الأول تعريف التربية العسكرية.

المطلب الأول: تعريف التربية لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف العسكرية لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثالث: تعريف التربية العسكرية.

المبحث الثاني أهداف وعناصر التربية العسكرية وفضل القتال.

المطلب الأول: أهداف وغايات التربية العسكرية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: عناصر التربية العسكرية في القرآن.

المطلب الثالث: بيان فضل القتال في سبيل الله.

المبحث الثالث التربية العسكرية أهميتها وعلاقتها بالتربية الإسلامية ودور المسجد فيها

المطلب الأول: أهمية التربية العسكرية في الإسلام.

المطلب الثاني: العلاقة بين التربية العسكرية والتربية الإسلامية.

المطلب الثالث: دور المسجد في التربية العسكرية.

الفصل الثاني دور التربية في تعزيز الأخلاق العسكرية وأمنها.

المبحث الأول المنهج التربوي للمجاهد في غرس حب الشهادة، وبث الروح المعنوية في القتال.

المطلب الأول: المنهج التربوي لإعداد المجاهدين.

المطلب الثاني: الشهادة في نفوس المجاهدين.

المطلب الثالث: التعبئة المعنوية في تحقيق النصر.

المبحث الثاني الشورى العسكرية مشروعيتها وأهميتها وتطبيقاتها.

المطلب الأول: تعريف الشورى ومشروعيتها.

المطلب الثاني: أهمية الشورى.

المطلب الثالث: تطبيقات عسكرية للشورى.

المبحث الثالث القتال في الإسلام

المطلب الأول: الأسباب العسكرية لمشروعية القتال في الإسلام.

المطلب الثاني: أخلاق المسلمين في القتال.

المطلب الثالث: القتال في سبيل الله تجارة رابحة.

المبحث الرابع الأمن والاستخبارات العسكرية في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف الأمن والاستخبارات العسكرية.

المطلب الثاني: أهمية الأمن والاستخبارات العسكرية في الإسلام.

المطلب الثالث: صور من الأمن العسكري والاستخباري.

الفصل الثالث القواعد العسكرية لميدان القتال .

المبحث الأول القتال العسكري أساليبه ووسائله ومبادئه وأوامره في القرآن الكريم.

المطلب الأول: أساليب القتال العسكرية.

المطلب الثاني: الوسائل القتالية العسكرية.

المطلب الثالث: المبادئ العسكرية القتالية.

المطلب الرابع: الأوامر العسكرية.

المبحث الثاني الإعلام والتحالفات العسكرية في القرآن الكريم.

المطلب الأول: التحالفات العسكرية.

المطلب الثاني: الإعلام العسكري في القرآن الكريم.

المبحث الثالث الحرب النفسية في القرآن الكريم أساليبها وطرق الوقاية وإزالتها.

المطلب الأول: تعريف الحرب النفسية

المطلب الثاني: أساليب الحرب النفسية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الوقاية من الحرب النفسية وإزالة آثارها.

الفصل الرابع التمكين؛ أهدافه وأركانه ومراحله ومراتبه ونماذجه وصفات جيله.

المبحث الأول: تعريف التمكين شروطه وأسبابه ومعوقاته.

المطلب الأول: تعريف التمكين لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: شروط التمكين وأسبابه.

المطلب الثالث: معوقات التمكين.

المبحث الثاني: مراحل التمكين؛ أهدافه وصفات جيله.

المطلب الأول: مراحل التمكين.

المطلب الثاني: أهداف التمكين.

المطلب الثالث: صفات جيل التمكين.

المبحث الثالث: مراتب ونماذج التمكين.

المطلب الأول: مراتب التمكين في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: نماذج قرآنية للتمكين.

الخاتمة .

أهم النتائج .

أهم التوصيات.

المصادر والمراجع

الفهارس العامة.

أولاً: فهرس الآيات الكريمة.

ثانياً: فهرس الأحاديث.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس البلدان.

الفصل الأول
مفهوم العسكرية وأهميتها
في الإسلام

المبحث الأول تعريف التربية العسكرية

المطلب الأول: تعريف التربية لغةً واصطلاحًا.

أولاً: التربية في اللغة.

تتضمن التربية في اللغة مجموعةً من الدلالات التي تُشير إلى ما يجب أن تتضمنه العملية التربوية، وهي كما يأتي:

1. الإصلاح: ربَّ الشيءَ إذا أصلحه⁽¹⁾، والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة، وإنما التعديل والتصحيح.
 2. النماء: ربا الشيءُ يربو ربواً ورياء: زاد ونما⁽²⁾.
 3. نشأ وترعرع: النون والشين والهمزة أصلٌ صحيح يدلُّ على ارتفاعٍ وسمو، ونشأ فلانٌ في بني فلانٍ، أي كبر وترعرع⁽³⁾.
 4. ساسه وتولى أمره: تولى قيادتهم وإدارة شئونهم⁽⁴⁾.
 5. التعليم الرباني: من الرَبِّ؛ بمعنى التربية، حيث كانوا يُرَبُّونَ الْمُتَعَلِّمِينَ بِصِغَارِ الْعُلُومِ، قَبْلَ كِبَارِهَا، والرباني: العالم الراسخُ في العلم والدين، أو الذي يَطْلُبُ بِعِلْمِهِ وَجَهَ اللَّهِ⁽⁵⁾.
- يتضح للباحث أنَّ المعنى اللغوي للتربية يدور حول الإصلاح والزيادة والبركة في الأشياء.
- ثانياً: التربية في الاصطلاح.

1. هي إنشاء الشيء حالاً فحلاً إلى حدِّ التمام⁽⁶⁾.
2. إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا والآخرة⁽⁷⁾.
3. وعرفها الإمام البيضاوي في تفسيره بأنها: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً⁽⁸⁾.

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج1/ ص 401.

(2) المصدر السابق، ج1/ ص 401.

(3) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5/ ص 429.

(4) معجم اللغة العربية المعاصر، عمر، ج2/ ص 1133.

(5) لسان العرب، ابن منظور، ج1/ ص 404.

(6) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ج1/ ص 336.

(7) التربية وبناء الأجيال في الإسلام، الجندي، ج1/ ص 153.

(8) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1/ ص 28.

4. هي عملية تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها؛ روحياً، وعقلياً، ووجدانياً، وخُلقياً، واجتماعياً، وجسمياً، والقادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها⁽¹⁾.

5. التربية هي إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا والآخرة، والتربية من الناحية التطبيقية هي مهنة التنمية الإنسانية من جميع جوانبها، أما من الناحية الموضوعية فهي علم إنساني منظور قائم على أصول وتجارب تنمي سلوك الإنسان السوي وتضبطه⁽²⁾.

6. التربية الإسلامية: عملية مقصودة تستضيء بنور الشريعة، تهدف إلى تنشئة جوانب الشخصية الإنسانية جميعها؛ لتحقيق العبودية لله _ سبحانه وتعالى_، ويقوم فيها أفراد ذوو كفاءة عالية بتوجيه تعلم أفراد آخرين، وفق طرق ملائمة، مستخدمين محتوى تعليمي محدد، وطرق تقويم ملائمة⁽³⁾.

يرى الباحث أن تعريف التربية: عبارة عن مجموعة من التوجيهات والإجراءات المعنوية والمادية الملازمة للفرد والجماعة التي تصل بهم إلى حد الكمال الإنساني المنسجم مع تعاليم الإسلام.

المطلب الثاني: تعريف العسكرية لغةً واصطلاحاً.

أولاً: العسكرية في اللغة.

1. العَسْكَرَةُ: الشدة والجذب، وعسكر الليل، تراكمت ظلمته، وعسكر بالمكان، تجمع، والعسكر: مجتمع الجيش⁽⁴⁾.
2. العَسْكَرُ: الجمع، والكثير من كلِّ شيءٍ⁽⁵⁾.
3. عسكر القوم بالمكان تجمعوا، ويُقال عَسَكَرَ اللَّيْلُ تراكمت ظلمته، والشَّيْءُ جمعه⁽⁶⁾.
4. العَسْكَرَةُ: عسكر العساكر، إذا هيأها، (هيأ العسكر)⁽⁷⁾.

(1) أسس التربية الإسلامية، الزنداني، ص 27.

(2) نحو التربية الإسلامية، جريشة، ص 51، 52.

(3) مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، عبد الله وآخرون، ص 19.

(4) لسان العرب، ابن منظور، ج 10/ ص 150.

(5) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 440.

(6) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 601.

(7) مختار الصحاح، الرازي، ج 1/ ص 201.

يتضح الباحث أن المعنى اللغوي لكلمة عسكر تدل على مكان لتجمع عدد كبير من الأفراد (الجيش) الذين يتميزون بالقوة والبأس الشديد.

ثانياً: العسكرية في الاصطلاح.

1. "عمل يتم تنفيذه بقوة السلاح، وهو ما يؤديه الجنود من مهام تتعلق بالقوات البرية، وأحياناً الجوية، تمييزاً لها عن القوات البحرية"⁽¹⁾.

2. "العلم الذي يعالج أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ووضع خير المناهج والمبادئ بكل ما يتصل بها من حيث أهدافها وقوانينها وآدابها"⁽²⁾.

3. "هي عبارة عن وجهات النظر الرسمية للدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح، وما يتعلق بطبيعة الحرب وغايتها وطرائق إدارتها، والأسس الجوهرية لإعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب، وتحدد العقيدة العسكرية العليا لتحقيق الأهداف والغايات القومية العليا"⁽³⁾.

4. "مجموعة من المبادئ التي تشكل قواعد السلوك الحربي الهادف لإحراز النصر، والرافض لتقبل الهزيمة"⁽⁴⁾.

يرى الباحث أن العسكرية هي: عبارة عن إتقان الفنون القتالية التي تتعلق بميدان القتال العسكري لتحقيق النصر والغلبة.

المطلب الثالث: تعريف التربية العسكرية.

1. تنشئة الفرد المسلم على الاعتزاز بعقيدته ودينه والعمل به والدعوة اليه وبذل الجهد على نشره وأن يكون دائماً مسلحاً بالصبر والثبات والتضحية في سبيل الله تعالى وأن يكون مستعداً للجهاد بكافة الوسائل المادية والمعنوية؛ مراعيًا في ذلك متطلبات العصر الذي نعيشه ملتزماً بالأحكام الشرعية في القتال⁽⁵⁾.

(1) تكتيك العمليات العسكرية في ضوء السنة النبوية "دراسة موضوعية"، أبو عجينة، ص13.

(2) العلوم العسكرية في الحضارة الإسلامية، دراسة على الشبكة العنكبوتية، الرابط، <http://defensearab.com/vb/showthread.php?t=18997>

(3) العسكرية الإسلامية ونهضتها الحضارية، محفوظ، ص22.

(4) صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، رفاعي، ج1/ ص161.

(5) التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال، إدريس، ص91.

2. هي إعداد الناشئة خاصةً والأمة عامةً للجهاد، ويتطلب ذلك الإعدادُ تربيةً روحيةً تجعلهم يستعلون على الدنيا، وتربيةً فكريةً تجعلهم يعرفون دينهم ومكانة الجهاد فيه، وتربيةً نفسيةً تجعلهم يعتادون على متطلبات الجهاد من بذل للروح والمال والوقت في سبيل الله، وتربيةً بدنيةً تجعلهم ذوي أجساد متينة وقوية تتحمل أعباء الجهاد في ميدان القتال، وتربيةً سياسيةً يعتادون فيها على التعاون والشورى والتنسيق مع الآخرين، وتخلصهم من الأنانية والفردية⁽¹⁾.

3. هي التي تجعل صاحبها مجاهدًا في سبيل الله، تحرك مشاعره وعواطفه ووجدانه، وتقوي عزائمها؛ فتتمى روحه وتغذيه، وتخلصه من الخوف والجبن واليأس والكسل، وتُحليهِ بالشجاعة والصبر والثبات والتضحية، وتجعله منكرًا لذاته في سبيل الجماعة، وتنمي فيه شعور العزة والكرامة، وخلق البذل والعطاء، وحب الاستشهاد، وتزرع فيه معاني الجندية المسلمة من الطاعة والنظام، وتنمي روح الأخوة والتعاون والتساند، والتواصي بالخير، والتواصي بالحق⁽²⁾.

يرى الباحث أن التربية العسكرية: هي التي تُعنى بتربية الفرد المسلم عقائديًا، وعلميًّا، وبدنيًّا، ونفسيًّا، وعسكريًّا؛ لمواجهة أعداء الإسلام على بصيرة وهدى، وبحكمة بالغة في ميدان السُّلم وميدان القتال.

(1) التربية العسكرية، الدكتور / على جريشة. دراسة على الشبكة العنكبوتية، الرابط،

http://drkhaled.net/index.php?option=com_content&view=article&id=1123-2017-01-21-14-،.the-cms&Itemid=59,29-58&catid=29

(2) التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال، إدريس، ص91.

المبحث الثاني

أهداف وعناصر التربية العسكرية وفضل القتال.

المطلب الأول: أهداف وغايات التربية العسكرية في القرآن الكريم.

تحدث القرآن الكريم عن مجموعة من الأهداف التي تُعنى بالتربية العسكرية، لما لها من أثر كبير على سلوك أفراد الأمة الإسلامية، وهذه الأهداف والغايات للتربية العسكرية كما يلي.

1. الإخلاص:

جاء الإخلاص كهدف أول من أهداف التربية العسكرية؛ لما له من أهمية كبيرة في حياة المجاهدين لإثبات ولائهم لله تعالى، وليس لمغنم، أو شهرة، أو حمية، ولنا في سنة النبي ﷺ خير دليل على أن هناك من يكون انتماؤهم لله، ومن يكون لغير الله، فقد جاء في الحديث، عن أبي موسى الأشعري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً، ويقا تل حمية، فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً، فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله عز وجل)⁽¹⁾.

ولا يُرادُ بالإخلاص التوجه إلى الله في عمل من الأعمال، بل المقصود به أن يتوجه المكلف بأعماله كلها إلى الله وحده دون سواه، فلا يقصد بعبادته ملكاً أو ملكاً، ولا يعبد حجراً، ولا شجراً، ولا شمساً، ولا قمراً؛ والإخلاص أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة، فهو الدين الذي بعث الله به الرسل جميعاً، فكان محور دعوتهم ولبها، وهو الدين الذي طالبت به أرسلُ الأمم التي أرسلت إليها⁽²⁾.

والإخلاص: عنوان القبول وأساس الدين، وقد أمر الله عباده بالإخلاص في آيات كثيرة؛ دلالة على الأهمية العظيمة لهذه العبادة التي لا يطلع عليها إلا هو سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: 5].

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، باب من سأل، وهو قائم، عالماً جالساً، ج/1 ص 36 حديث رقم، 123.

(2) مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين، عمر سليمان الأشقر، ص 357.

وما أمروا إلا ليعبدوا الله (أي: أنهم ما أمروا في كتابهم إلا لأجل أن يعبدوا الله جاعلين دينهم خالصاً له تعالى، أو جاعلين أنفسهم خالصة له، حفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة إلى الإسلام)⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: 14].

الدعاء هنا الإعلان عن ذكر الله والعبادة، والأمر هنا مستعمل في طلب الدوام، فالمقصود: داوموا على الطاعات ولو كره الكافرون؛ لأن كراهية الكافرين ذلك من المؤمنين تكون سبباً لمحاولتهم صرفهم عن ذلك بكل وسيلة يجدون إليها سبيلاً؛ فالكراهية كناية عن المقاومة والصد⁽²⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 11]، (أي: فاعبد الله وحده مخلصاً له في عبادتك، ولا تقصد بعملك ونيتك غير ربك)⁽³⁾.

الإخلاص في اللغة: (خلص)، الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تفتية الشيء وتهذيبه⁽⁴⁾.

قال ابن منظور: خلص: خلص الشيء، بالفتح، يخلص خلوصاً وخلاصاً، إذا كان قد نشب⁽⁵⁾، ثم نجا وسلم⁽⁶⁾.

وجاء في المصباح: خلص الشيء من التلف خلوصاً، من باب قعد، وخلاصاً ومخلصاً سلم ونجا، وخلص الماء من الكدر صفاً، وخلصته بالتثنية ميزته من غيره، وخلصة الشيء بالضم ما صفا منه⁽⁷⁾.

وفي الاصطلاح: تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه، وكل ما يتصور أن يشوب غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص منه؛ سمي خالصاً⁽⁸⁾.

والإخلاص كما عرفه الجرجاني: (ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله)⁽⁹⁾.

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج9/ص185.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج24/ص105.

(3) صفوة التفاسير، الصابوني، ج3/ص64.

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2/ص208.

(5) نشب، نشب الشيء في الشيء بالكسر نشوباً أي، علق فيه؛ المحكم والمحيط الأعظم، المرسي، ج8/ص78.

(6) لسان العرب، ج7/ص26.

(7) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ج1/ص177.

(8) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد، ج1/ص42.

(9) التعريفات، ص5.

وقال الفضيل بن عياض⁽¹⁾: (ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص الخلاص من هذين، وألا تطلب لعملك شاهداً غير الله)⁽²⁾.

قال العز بن عبد السلام: "الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا توقيراً، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي"⁽³⁾.

والفرق بين الإخلاص والصدق أن الصدق أصل وهو الأول، والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر: الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل.

ويقول ابن القيم رحمه الله: (أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وإنّ النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح ماتت، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح)⁽⁴⁾.

وعن أبي أمامة الباهلي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا شيء له)، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: (لا شيء له)، ثم قال: (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه)⁽⁵⁾.

فالمجاهد في سبيل الله ينبغي أن يكون مجرداً من كل هوى شخصي أو غرض دنيوي، أو شهوة نفسية، أو نزعة أرضية، فلا يقصد بجهاده جاهاً ولا مغنماً ولا سمعة ولا شهرة، كما لا يقصد إعلاء جماعة على جماعة أو جنس على جنس أو طبقة على طبقة، إنما القصد والمبتغى رضوان الله تعالى⁽⁶⁾.

(1) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، الإمام، القدوة، الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي، اليربوعي، الخراساني، المجاور بحرم الله، ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم، سير أعلام النبلاء، للزركلي، ج7/ ص 393.

(2) المرجع السابق، ص 5.

(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج 1 / ص 146.

(4) بدائع الفوائد، ابن القيم، ص 1140.

(5) حسن صحيح: السنن الكبرى، النسائي، كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر، ج4/ ص 286، حديث رقم، 4333.

(6) الجهاد سبيلنا، رمضون، ص 87.

لذلك فإن المرتبة الأولى للإخلاص لم تأت من حُسن ترتيب الكلمة وجمال حروفها، إنما تقدمت كل الأهداف لأن بها يحصل الفوز والنجاة عند الله تعالى؛ كونها تحمل الصدق الخالص لله، فالعمل العسكري يحتاج إلى نفاء في القلب، وتجرد من كل شوائب الدنيا المعيقة أمام طريق الجهاد والمقاومة.

2. التوكل على الله:

إنَّ التوكل على الله عبادة الصادقين، وسبيل المخلصين، أمر الله تعالى به أنبياء المرسلين، وأوليائه المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان-58].

قال ابن رجب¹: (التوكل: صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة)⁽²⁾.

كما أنَّ التوكل على الله من أصل الإيمان والتوحيد: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: 3]، إنه صدق الاعتماد عليه عز وجل في جلب المنافع، ودفع المضار، هذا التوكل الذي هو صدق مع الله، وثقة بالله، إنه تفويض كامل واعتماد على الله، وهو أخذ بالأسباب المباحة. قال ابن عباس: (التوكل هو الثقة بالله، وصدق التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله، فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك)⁽³⁾.

وللتوكل على الله أثر عظيم في نفوس المجاهدين المقاتلين، فبه تُرفع المعنويات، وتُشحذ الهمم، وتقوى العزائم، كما أنَّ التوكل والاعتماد على الله يجب أن يكون أكثر من الاعتماد على القوة والعدة والعتاد، فحال المسلمين يوم حنين كان العُجب بكثرة العدد، وأن ذلك سيكون سبباً في النصر والغلبة، فلم تغن عنهم من ذلك بشيء، وهذا مصداقاً لقول الله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾

(1) الحافظ زين الدين وجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المقرئ المحدث شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام المحدث أبي أحمد رجب عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب لقب جده عبد الرحمن الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي المذهب قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة أربع وأربعين وسبعمائة وأجازه ابن النقيب والنووي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العسكري الحنبلي، ج8/ ص 581.

(2) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين من حديث جوامع الكلم، ابن رجب، ص 488.

(3) التوكل على الله، سليمان بن قاسم العيد، شبكة الألوكة، على الرابط،

<https://www.alukah.net/web/eleid/0/52989>

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ
وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ [التوبة: 25]

قال صاحب التحرير والتنوير: (كان المسلمون في عدد كثير، عندما خرجوا لقتال المشركين في غزوة حنين، فقال المسلمون: لن نغلب اليوم من قلة، ووثقوا بالنصر لقوتهم، وعدتهم وعتادهم، فلحقت بهم الهزيمة عند أول اللقاء، وجاءت هذه الهزيمة كعتاب من الله تعالى على نسيانهم التوكل على الله في النصر، واعتمادهم على كثرتهم، لذلك أسند النصر إلى الله بالصراحة لإظهار أن إثارة محبة الله والاعتماد عليه يجمع بين حظي الدنيا والآخرة، وتخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب؛ لأن المسلمين انهزموا أول المعركة ثم عاد إليهم النصر، عندما امتثلوا أمر الله ورسوله _ عليه الصلاة والسلام_) (1).

إن النصر على أعداء الله لا يكون بكثرة العدد والعدة، وإنما بصدق التوكل على الله والاتصال الوثيق به، والأخذ بأسباب النصر المادية والمعنوية، فهذا جيش المسلمين في بدر أحسنوا التوكل وخرجوا لله فكان النصر المؤزر، وعلى النقيض من ذلك كانت غزوة أحد هزيمة للمسلمين وفيهم خير خلق الله؛ لأنهم لم يلتزموا بأمر واحد كلفهم به رسول الله وهو البقاء على الجبل لحماية ظهر المسلمين، فخالفوا؛ فكان العقاب؛ إذن لا نصر مع الإخلال بقواعد النصر.

والناظر اليوم إلى حال الأمة العربية والإسلامية وما أصابها من تفكك وذل وهوان؛ الناتج عن ضعف الولاء والتخلي عن نصره الدين، والتوكل على غير الله، والموالاتة للكفار والمنافقين والمتريبين بالإسلام والمسلمين الدوائر؛ فقد صور القرآن الكريم حال الكفار والمشركين وبين العقوبة المستحقة لمن تولّى وأعرض عن منهج الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (٨١) [المائدة: 80-81].

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج 10 / ص 157، بتصرف

3. التقشُّف والزُّهد في الدنيا:

يحتاجُ المجاهد في سبيل الله تعالى إلى الزهد حاجةً مُلحَّةً مأسَّةً؛ لأن الزهد ليس من نافلة القول، بل هو أمر لازم لكل من أراد رضوان الله تعالى والفوز بجنته، فهو طريق النجاة، وسُلَّم الوصول، ومنهاج القاصدين، ومطلب العارفين، ومطية الصالحين، وطريق السالكين إلى مرضاة رب العالمين، وهو مسلكٌ شريف لنيل حب الله تعالى الذي هو منتهى أمل العبد وأقصى غايته، وهو مسلك للتأسي بالنبي ﷺ؛ لأنه كان إمام العابدين وسيد الزاهدين، وهو أكبر عَوْنٍ بعد الله تعالى في الرغبة في الآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء: 77]؛ إذ لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، فالدنيا دار سفر لا دار إقامة، ومنزل عبور لا موطن ثبوت، وينبغي للمجاهد أن يكون فيها على جناح سفر، يهیی زاده ومتاعه للرحيل المحتوم، والسعيد من وُفِّق لرؤية الأشياء على حقيقتها، واتخذ لهذا زادًا يبلِّغه رضوان الله تعالى، والفوز بالجنة، والنجاة من النار؛ لأننا في وقت كثرت فيه الدعوات الأرضية المضلَّة، واشتد فيه الظلام، وظهر الباطل على الحق ظهورًا أنيًّا، وسيطرت فيه المادية حتى تغيرت كثير من القيم السامية، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ١١٦ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ١١٧﴾ [آل عمران: 196-197].

فما أشد حاجة العبد المسلم المجاهد إلى الرقائق التي تثبت قلبه، في زمن حار فيه الكثير من الناس، فانغمسوا في القيم الهابطة التي غرَّت العقول والقلوب والمجتمعات. وأيام الصبر هي أيام الابتلاء في الدين والشهوات المستعرة والشبهات المستحكمة، فأسامها أيام الصبر؛ لأنه لا يستعمل فيها إلا الصبر والزهد؛ فهما الملاذ والحصن الحصين بعد الله⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ٧٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس: 7-8].

ثم إنَّ كونَ التربية قائمة على التقشُّف والزهد ليس معناه ترك الدنيا كليًّا، أو يكون السعي فقط للآخرة، إنما المقصود هو ترك الترف والحياة التي تورث الراحة التي تُبعد الإنسان المسلم عن هدفه، وللمسلم أن يتمتع بالطيبات المباحة من الرزق، بل هو واجب عليه؛ لأنه أولى الناس بذلك لإتباعه منهج الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص: 77].

(1) ينظر: فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، عويضة، ص2.

إنَّ أعظم درجات الزهد هو الجُود بالنفس في سبيل الله، ذلك أن المجاهد الذي ترك الدنيا كلها وراءه، بما فيها من العلائق التي تربط النفس بالدنيا، ومن الشهوات التي زُينت للناس، ونجد صوراً عجيبة من الصحابة الكرام تمثل إقبالهم على الجهاد وترك نعيم الدنيا⁽¹⁾.

فجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً، وعليه إهاب كبش قد تتطق به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيت بين أبي بن يغيث وأبي ذرٍّ ما ترون)⁽²⁾.

فهذا هو مصعب الذي كان من أنعم الناس عيشاً قبل إسلامه، فلما أسلم زهد في الدنيا، وتركها وراء ظهره، وحمل اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون وتضعضت صفوفهم أمام التقاف فرسان المشركين، أقبل نحوه ابن قمئة الليثي، وهو ثابتٌ رافع اللواء، فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)، وأخذ اللواء بيده اليسرى، وحنا عليه، فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، وهو يردد الآية نفسها، ثم حمل ابن قمئة على مصعب بالرمح فأنفذه من جسده، وكان مصعب رقيق البشرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، قُتل وهو ابن أربعين سنة أو يزيد⁽³⁾.

يُمثل هذا النموذج الرائع في حياة المجاهدين الأوائل الذين ضربوا أروع صور التضحية والإباء في سبيل الله، فقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه البخاري: (أنَّ عبد الرحمن بن عوف أُتِيَ بطعام، وكانَ صائماً، فقال: قُتِل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطيت رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عَجَلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَيْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ)⁽⁴⁾.

إنَّ الزهد في الدنيا منهج المجاهدين الأبرار الذين يعرفون طريق الله، وهو هدف جليل تصل به التربية العسكرية لإخراج جيل متوشحٍ بالعبادات، تاركٍ للشهوات، قادرٍ على تحقيق النصر.

(1) الزهد في الإسلام - قراءة في صفة الصفة، جرار، ص 51.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصفهاني، ص 108.

(3) صفة الصفة، ابن الجوزي، ص 143.

(4) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن من جميع المال، حديث رقم 1274 / ص 308

4. تقوى الله:

التقوى عبادة من أهم العبادات التي يلزم على المجاهد في سبيل الله أن يتحلى بها، لأنها سببٌ في تحقيق النصر والغلبة على الأعداء، فهي تُهذب السلوك، وتسمو بالأخلاق، وترتقي بالعبد إلى أعلى درجات العبادة، وتثمر في القلب الخوف والخشية من الله، فيستقيم على طاعة الله _ عزَّ وجلَّ، وتعصم العبد من نزعات الشيطان، فيُبصر طريق الحق، وينأى عن طريق الغواية والضلال، وهي سبب لدخول العبد في معية الله، فيحفظه ويرعاه، ويوفِّقه للخير ويرشده للحق، ومعية الله قوة ونصر وتوفيق وهداية وأمن وأمان وفرح واستبشار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128].

وقد جاءت آيات قرآنية تحثُّ وتوجه المسلمين إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، فقد أمر الله عباده بالتقوى، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102].

وهذا التنبيه والأمر من الله لعباده المؤمنين أن يتَّقوه حَقَّ تَقَاتِهِ، وأن يستمروا على ذلك، ويبثبتوا عليه، ويستقيموا إلى الممات؛ فإنَّ من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه وإمكانه مداومًا لتقوى ربه وطاعته، منيبًا إليه على الدوام، ثبتَّه الله عند موته، ورزقه حسن الخاتمة، وتقوى الله هو أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر⁽¹⁾.

وقد أمر تعالى في آية أخرى عباده المؤمنين بما يوجب الإيمان ويقتضيه من لزوم تقواه، سرًّا وعلانية في جميع الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره وشرائعه وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبلة قلوبهم، واهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيتها من القواطع والعوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا أيضًا أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[الحشر-18]. وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدتها، فإن رأى

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 149، بتصرف.

زلاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَوْا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿[الحشر-18].

ولنا في المجاهد الأول -رسول الله ﷺ- الأسوة الحسنة، فقد كان ملازماً للتقوى، وأخشى العباد لله وأتقاهم له، وكان يسأل الله الثبات على التقوى، وكان يوصى أصحابه بذلك، فقد قال ﷺ: (إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي)⁽²⁾.

والمعنى من هذا الحديث أن يكون العبد علاقته دائمة الاتصال بالله تعالى، ذلك هو النقي، والمراد بالغنى غنى النفس وليس بكثرة المال، وأما الخفي هو المنقطع إلى العبادة، والمنشغل بأمور نفسه، تارك الاشتغال بغيره من الخلق⁽³⁾.

وقد عرف التقوى طلق بن حبيب⁽⁴⁾، (أنها العمل بطاعة الله على نور من الله؛ رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله؛ مخافة عذاب الله).

خلاصة الباحث: إنَّ المجاهد الحقيقي يجب أن يكون من أكثر الناس خشية لله تعالى؛ لأنه يحمل روحه على كفه رخيصة في سبيل الله، وعليه أن يتسلح بالطاعة والإيمان والابتعاد عن مسالك الشيطان، التي تعيق النصر والتمكين؛ لأننا إذا فقدنا التقوى كان النصر للأقوى.

5. تبليغ الدعوة:

إنَّ الدعوة إلى الله تعالى وظيفةٌ جليئةٌ، وقرينةٌ عظيمةٌ، ولها منزلة عالية في الشريعة، ويكفيها شرفاً ومنزلة كونها وظيفة الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة، بل إنَّ الدعوة إلى الله أفضل الأعمال والأقوال، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: 33].

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 1006.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرفائق، ، حديث رقم / 2965.

(3) صحيح مسلم، ج/4 - ص 2277، شرح محمد فؤاد عبدالباقي، بتصريف.

(4) طلق بن حبيب العنزي، بصري زاهد كبير، من العلماء العاملين، حدث عن ابن عباس، وابن الزبير، وجندب بن سفيان، وجابر بن عبد الله، والأحنف بن قيس، وأنس بن مالك، سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج/4 - ص/601.

فحاجة الناس للدعوة إلى الله تعالى والهداية أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، بل لا يستقيم الحال إلا بالدعوة إلى الله تعالى، ولولا ذلك لأصبحت الأرض رجراجة مضطربة، ولعاش الناس في فوضى كالبهائم، فجنس الإنسان لا يستغني عن الأمر والنهي؛ لأنه لا يمكن أن يستقل بمعرفة الحق والخير على الكمال والتمام، وإن كان يدرك الشر والخير بالجملة، وذلك بما وهبه الله من عقل وحواس، إلا أنه لا يعرف حقائق الأشياء على التفصيل إلا بالوحي من الله تعالى، ولذلك احتاج الخلق إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وقيام الحجة، فقد كان النبي ﷺ يحث أصحابه على الدعوة إلى الله تعالى، ويُلهب حماسهم لذلك، ويبين ما لهم من الأجور ورفعة الدرجات عند الله، إن هم قاموا بذلك، ف جاء عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: (قال رسول الله ﷺ، لعلي بن أبي طالب: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم)⁽¹⁾.

إنَّ الدعوة إلى الله لم تُنشر بحد السيف، إنما بسماحة الإسلام العظيم، وكذلك القتال في سبيل الله إنما جُعل لغاية عظيمة؛ هي إعلاء كلمة التوحيد في الأرض، ونشر العدل، وإزالة الظلم، وليس لقهَر الناس واستعبادهم، قال النبي ﷺ: عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)⁽²⁾.

وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأدفعنَّ اليوم اللواء إلى رجل يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه "قال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ، فتناولت لها، فقال لعلي: "قم"، فدفع اللواء إليه، ثم قال له: "اذهب ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك"، فمشى هنيهة، ثم قام ولم يلتفت للعزمة، فقال علاماً أقاتل الناس؟ قال النبي ﷺ: (قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)⁽³⁾.

هكذا كانت وصايا النبي ﷺ للمجاهدين في سبيل الله، خير شاهد على سماحة الإسلام، فلم يأمر أحداً بالاعتداء أو البطش أو الغدر.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح/ 4210 - ص 4207.

(2) المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، ج/ 1 - ص 14، حديث رقم 25.

(3) صحيح: صحيح ابن حبان، كتاب مناقب الصحابة، باب ذكر وصف ما كان يقاتل عليه علي بن أبي طالب، ج/ 15 - ص 379، حديث رقم 6934.

وفي ذلك دلالة كبيرة على أن الجهاد في سبيل الله جاء لغاية عظيمة، هي تعبيد الناس لله رب العالمين، حيث إن التاريخ لم يشهد ولم يسجل على الإسلام أنه قاتل من أجل أموال أو ثروات أو طمعاً في خيرات بلد، إنما كان القتال من أجل الدعوة إلى الله، وأن المجاهدين في كل الميادين كانوا يضحون بكل ما يملكون في سبيل الله، والأخذ بأيدي الناس إلى طريق النجاة.

ومعنى بلوغ الدعوة أن يسمعوا بأصل الدين الإسلامي، أي الشهادتين، ولا يشترط إمهالهم مهلة النظر في صحة الدين؛ لأنه لم ينقل عن رسول الله أنه أمهل الكفار ساعة ليقتنعوا بصحة الدعوة⁽¹⁾.

6. الثبات والصبر عند اللقاء:

إن الثبات في الميدان وذكر الله تعالى من طبيعته أنه يشلُّ عزائم الأعداء ويفلِّ عدوانهم، ويُنيس العدو من النصر والظفر، وبذلك تنهار قواهم، ويفضلوا الفرار والنكوص على المقاومة والقتال، فأصحاب العقيدة لا ينكصون أمام الصعاب، ولا يولون الأدبار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْاَدْبَارَ ۗ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرُهُ ۗ اِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ اَوْ مَتَحَرِّزًا اِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَمَا وُجِّهَتْ جَهَنَّمَ وِبَسِّ اَلْمَصِيرِ ﴿١٦﴾ ﴿﴾

[الأفعال: 15 - 16].

المعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا واجهتم الذين كفروا زحفاً (أي: متقاربين) فلا تفروا عنهم، إلا أن يكون ذلك مكيدة حرب، حيث تختارون موقعاً أحسن، أو تدبرون خطة أحكم، أو أن يكون ذلك انضماماً إلى مجموعة قتالية أخرى من المسلمين، أو إلى قواعد المسلمين؛ لتعاودوا القتال، وأن من تولى، وأعطى العدو دبره يوم الزحف فقد استحق ذلك العقاب؛ غضباً من الله وماوى في جهنم⁽²⁾.

وهذا الخطاب من الله سبحانه للمؤمنين ينهاهم من الفرار أثناء المعركة بغير إذن القائد، مع ترك باقي الجند أمام العدو، فإن ذلك يسلم جند المؤمنين لعدوهم، ويمكنه من قتلهم أو أسرهم، ويُعدُّ ضعفاً وجُبناً أمام العدو، ويُطمع في المسلمين، فإن كان الهرب بإذن القائد أو كان من أجل خدعة قتالية، أو لأجل الالتقاء بمجموعة من الجنود يشدُّ بعضهم أزر بعض، لا يؤاخذ الله ولا يعاقبه، ومن يهرب خوفاً وضعفاً فهو من العاصين المعذبين⁽³⁾.

(1) الجهاد سيبلنا، رمضون، ص 87.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج 3/ ص 1488.

(3) الجهاد والفدائية في الإسلام، أيوب، ص 124.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)⁽¹⁾.

ويذكر الحديث جملة من الأمور التربوية التي يجب على المسلم أخذها بعين الجد، ولعل التولي يوم الزحف عند اللقاء الأمر الذي نريده من الحديث، فمن الأهداف المهمة في العسكرية التي يجب على المجاهد الالتزام بها الصبر والثبات، فهو مفتاح النصر عند اللقاء مع الأعداء.

وجاء عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)⁽²⁾.

فتربية النفوس على التحلي بفضائل الأخلاق، مثل: الإخلاص في الأعمال كلها، والصبر والثبات والصدق، والتوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب، وتقوى الله، تعدُّ من لوازم العمل الجهادي الذي لا ينفك عنه، فهذه دعوة لكل مجاهد مخلص أن يتقي الله في نفسه وفي غيره حتى ينال الأجر والثواب من الله⁽³⁾.

ولهذه المجموعة من الأخلاق الرفيعة، التي تسعى التربية العسكرية لتحقيقها بعد العون من الله، الأثر الكبير في تحقيق النصر والغلبة وفرض معادلات جيدة لصالح الأمة الإسلامية، لكن عند التخلي عن هذه القيم، وأتباع أراذل الأخلاق، عندها لا ننتظر النصر؛ لأننا قد ابتعدنا عن المقصد الحقيقي للجهاد والعمل المقاوم لأعداء الله.

المطلب الثاني: عناصر التربية العسكرية في القرآن

إنَّ موضوع التربية العسكرية _إذا دُكر_ اتَّجه فكر الكثير من الناس إلى القوات المسلحة فقط، معتقدين أنَّ الانضباط والطاعة والنظام وتحمل المشاق والشجاعة هي خاصة بالقوات المسلحة وحدها، لكن الأمر غير ذلك؛ فالتربية العسكرية في نظر الإسلام أمرٌ عامٌ يتعلق بالإنسان المسلم في كل مجالات العمل، سواء في الحياة المدنية أو العسكرية، وهذا المبدأ ينفرد به الإسلام عن غيره، والإسلام

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى، {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً} [النساء، 10]، ج4/ص 10، حديث رقم، 2766.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالثبات عند اللقاء، ج3/ص1362، حديث رقم، 1742.

(3) التربية الجهادية من خلال سورة الأنفال، إدريس، ص164، بتصرف.

لا ينتظر الفتى حتى يكبر ليغرس القيم السامية في نفسه، بل يبدأ في وقت مبكر في مرحلة التنشئة وبناء الشخصية، أما إذا دخل مرحلة الشباب دون أن تتم التربية، عندها سندخل في مرحلة جديدة هي مرحلة العلاج وليس التربية، لأن هناك فرقاً بين التربية التي تقي الآفات، والعلاج الذي يواجه الآفات، فإذا كان الشباب فيه آفات، فاعلم أنّ مرحلة من مراحل حياته مرّت دون أن يُرى.

عناصر التربية العسكرية

1. العلم⁽¹⁾

لو تأملنا عملية العلم والتعليم منذ فجر الإسلام؛ لوجدنا أن المسلمين منذ اعتناقهم هذا الدين اتخذوا لأنفسهم مواقف جديدة من كل قضايا الحياة، ومن علاقاتهم النفسية والأسرية والاجتماعية، وهذه المواقف الجديدة استلزمت تغيير سلوكهم الفردي والاجتماعي تغييراً مبنياً على برهان ودليل (أي: على إيمان صحيح)، فأصبح التعلم المنهجي الموحد ضرورة لازمة لجميع أبناء الأمة، لاسيما أنهم أسلموا وجههم لله ولشريعته، ووجهوا قلوبهم وسلوكهم نحو مرضاة الله.

ولقد أوجب الإسلام على المسلمين أن يستعدوا بكل قوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

قُوَّةٍ ﴿٦٠﴾ [الأففال:60]

ومعنى ذلك ألا يدع المسلمون غيرهم في أي علم يكون له دخل في توفير القوة لهم أن يحصلوا عليها، فليس من شك في أن العلم هو أول أسباب إعداد القوة، حيث إن القوة والإعداد يتغير ويتطور كلما تقدم الزمن، وهذا يتطلب التزوّد بكل جديد في العلم والأخذ بأسباب الارتقاء والتطور.

فقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً بالغاً؛ فحثّ عليه، ووجّه إليه، وجعله من أسس الدين، فكان وما زال للعلم الأثر البعيد في الدولة الإسلاميّة، حيث وُلد نشاطاً علمياً واسعاً في مختلف ميادين العلم والمعرفة، نشاطاً لم يعهد له التاريخ مثيلاً؛ ما جعله يحقق ازدهاراً حضارياً عظيماً على أيدي علماء المسلمين، ويمدُّ التراث الإنساني بذخيرة علميّة رائعة، يظلُّ العالم بأسره مديناً لها، وقد جعل الله العلم آية في كتابه تُتلى إلى يوم البعث والنشور، ولا أدلّ على ذلك من أنّ أول آية نزلت على قلب النبي

المصطفى من القرآن الكريم تتضمن مفتاح العلم "ألا وهي القراءة"، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ [العلق: 1-4].

(1) العلم العسكري والقيادة العلمية، محفوظ، ص 18.

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم الذي يعدُّ أهم أدوات العلم والمعرفة والحضارة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) [القلم: 1].

كما أثنى الله جل جلاله على العلم والعلماء العاملين به في أكثر من آية كريمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨) [فاطر: 28].

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) [الرعد: 19].

وأفرد الله العلماء بالمكانة السامية والدرجات الرفيعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١) [المجادلة: 11].

والأحاديث في فضل العلم وأهله كثيرة، قال النبي ﷺ، في الحديث الذي يرويه أبو هريرة ؓ قال: قال ﷺ: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة)⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة ؓ قال: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)⁽²⁾.

إنَّ الاهتمام والاعتناء بالعلم، من أهم عناصر العسكرية، التي يصل بها المقاتل إلى مبتغاه التربوي الأخلاقي والعسكري الحربي، فبغير علمٍ لا تطور في الصناعات الحربية العسكرية، ولا تطور في ميدان القتال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠) [الأنبياء: 80]

في هذه الآية، أضاف الله لنفسه التعليم، فذلك دليل في غاية الشرف نالها العلم والمتعلم، أي: علم الله داود عليه السلام صنعة الدروع، فألان الله له الحديد، وعلمه كيف يسردها، والفائدة فيها كبيرة، ففيها وقاية وحفظ عند الحرب، واشتداد البأس، وهذا من قبيل التطور الميداني والاستعداد الجيد للعدو، وهذا يتطلب الشكر لله على النعمة من الله عليكم⁽³⁾.

(1) صحيح: الجامع الكبير، للترمذي، باب فضل طلب العلم، ج/4، حديث رقم، 2645، ص/385.

(2) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته، حديث رقم 1631، ص1255.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج/1، 528، بتصرف.

2. الانضباط الذاتي

اعتنى الإسلام بتكوين الوازع الديني للمسلم المجاهد، بحيث يندفع إلى أداء واجبه على أكمل وجه، معتمداً على قوته الذاتية، مستعيناً على ذلك بالله تعالى، لا على قوة خارجية، وهذا أعلى مراتب الانضباط؛ لذلك فالوازع الديني للمسلم هو الذي يمنحه القدرة على حسن السلوك والجديّة والتصرف في المواقف الحرجة، وهو الذي يدفع المسلم إلى أن يرفع الله في عمله؛ لأنه الرقيب المطلع على السرائر.

كما أن الانضباط في الإسلام يدعو إلى مواجهة الحياة؛ فهو سر التقدم والنجاح في المجالات العسكرية والمدنية كافةً، والانضباط العسكري بمثابة الروح للجسد، فهو السلاح الخفي الذي يحقق النصر في المعركة، وهو عنصر قوي في نزع الخوف وزرع الشجاعة في نفوس المقاتلين، ومخطئ من يرى أن الانضباط مقصورٌ على القوات العسكرية المسلحة، وينسى أن الدين الإسلامي هو دين الانضباط في المقام الأول، فمثلاً: الصلاة في أوقاتها والاصطفاف فيها صفوفًا مستقيمة، وإتباع الإمام وعدم الخروج أو السبق في التحركات كافةً، وهذا من تمام الانضباط⁽¹⁾.

ولقد مدح الله سبحانه وتعالى الذين يصطفون لقتال أعدائهم في صفوف منتظمة منضبطة متراصّة، دلالةً على حب الله للمجاهدين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُورٌ﴾ [الصف:4].

تأتي هذه الآية لتبين ثمره عظيمة من ثمار الانضباط الإسلامي، وهي حب الله للمجاهدين الذين يصفون أنفسهم عند القتال صفًّا، ويثبتون في أماكنهم عند لقاء العدو، كأنهم في ترابهم وثبوتهم في المعركة، بناءً قد رُصَّ بعضه ببعض، وألصق وأحكم حتى صار شيئاً واحداً⁽²⁾.

ومن عجيب صنع القرآن في تربية هذا الوازع الخلقي، أنه لم يجعل نتيجة الخوف أمراً سلبياً، وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرُّض للعذاب، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزءاً إيجابياً

(1) الانضباط العسكري، سعيد، ص 2/1.

(2) صفوة التفاسير، الصابوني، ج 3 / ص 350، بتصرف.

وثمره أُخرى فوق الخلاص من العقاب، وهي الثواب الجزيل والأجر العظيم من الله⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ﴿٤١﴾﴾ [النارعات: 40-41].

يقول صاحب الظلال: (والذي يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشري قاده خوف هذا المقام الجليل إلى الندم والاستغفار والتوبة، فظلَّ في دائرة الطاعة، ونهَى النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها، والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، وكتب له بهذا الجهاد الشاق الجنة مثابة ومأوى؛ لأن الله يعلم ضخامة هذا الجهاد وقيمته، كذلك في تهذيب النفس البشرية وتقويمها ورفعها إلى المقام الرفيع)⁽²⁾.

وتأتي منح الله تعالى لتغرس في نفوس المجاهدين المسلمين التربية الذاتية، والتقرب إليه بخشيته، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ۗ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: 46]، والتكثير في الثواب بالجنة إشارة إلى أن كثرة المراتب التي يحصل عليها المسلم لا تحدّ ونعمه لا تعد؛ لأنهم عرفوا عظمة الله فخافوه، لا لذلي منهم، بل لعظمة جانب الله⁽³⁾.

الخلاصة: يعدُّ عنصر الانضباط الذاتي من أهم عناصر التربية العسكرية؛ لأنه يولد في النفس الثبات والطمأنينة والإيجابية؛ لأن المجاهد استمد ذلك من قربه لله تعالى، فتمثل انضباطه في الصلاة خلف الأمام، وفي الصيام والحج ابتغاء وجه الله، وكذلك في قتال الأعداء تحت قيادة واحدة، طمعاً في نيل إحدى الحسنين النصر أو الشهادة.

3. الحرية:

الحرية فطرة في النفس الإنسانية، قرر الإسلام العظيم الحفاظ عليها، ومقاومة العبودية لغير الله تعالى في كل ميدان من الميادين؛ ومن أهم الأمور التي أقرتها الحرية، حرية العبادة والاتصال بالله تعالى، من غير وساطة بين العبد وربّه، فالله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قَالَ تَعَالَى:

(1) العسكرية في الإسلام، محفوظ، ص 73.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج6/ ص 3819.

(3) ينظر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، ج14/ ص 147.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) [البقرة: 186].

وقد دعى الإسلام للتحرُّر والخلص من أسباب الخوف والحزن، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]، فالذين اتصلوا وأخلصوا لله العبادة والطاعة لا ينالهم هم ولا حزن.

وتبرز الحرية بموقف حاسم في تاريخ البشرية، بإعلان ميلاد الحرية الحقيقية، فما الحرية إلا بالاستعلاء بالعقيدة على جيروت المتجبرين، وطغيان الطغاة، والاستهانة بالقوة المادية التي تملك أن تتسلط على الأجسام، لكن ليس لها في القلوب أثر؛ لأن في القلوب إيمان راسخ لا يتزعزع بفضل من الله، ويتمثل هذا بموقف السحرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (١٢٥) وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ أَمَّا بَيَّاتٍ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَتْ نَأْرًا رَبَّنَا أَوْرَعَّ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (١٢٦) [الأعراف: 125-126]

وفي هذه الآية الكريمة، حين تستعلن النفس البشرية حقيقة الإيمان تستعلي على قوة الأرض، وتستهيئ ببأس الطغاة، وتنتصر فيها العقيدة على الحياة، وتحترق الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم، والذي يدرك طبيعة المعركة بينه وبين الطاغوت، يعرف أنها معركة عقيدة، فلا يُداهن ولا يناور، ولا يرجو الصفح والعفو من عدو لن يقبل منه إلا ترك العقيدة؛ لأنه إنما يحاربه ويطارده على العقيدة⁽¹⁾.

وقد جعل الله عز وجل من مقاصد القتال إقرار مبدأ الحرية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا عَمَلْتُمْ بَصِيرٌ﴾ (٣٩) [الأنفال: 39].

في هذا السياق، يأمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال المشركين قتالاً بلا انقطاع إلى غاية، وهي: ألا تبقى فتنة أو شرك، ولا اضطهاد لمؤمن أو مؤمنة من أجل دينه، وحتى يكون الدين كله لله خالصاً، فلا يُعبد مع الله أحد سواه، فإن انتهوا عن الشرك والظلم، فكُفُّوا عنهم، وإن انتهوا في الظاهر ولم ينتهوا في الباطل فلا يضرركم ذلك؛ لأن الله سيظهرهم لكم ويسلطكم عليهم⁽²⁾.

(1) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج3/ 1352، بتصرف.

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ج2/ ص308، بتصرف.

وقد جاءت الحرية في النفس والمال والعرض، فنفس الإنسان معصومة، ولا يجوز الاعتداء عليها أو النيل منها، وكذلك مال الإنسان معصوم، ولا يؤخذ منه شيء إلا بحقه، وكذلك الإنسان لا يُهان ولا يُخدش، فقد أرسى النبي قواعد الحرية التي تهتم بالإنسان، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحاسدوا، ولا تناجسوا، ولا تباغضوا، ولا تباذروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ النَّفْوَ هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ _ بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرِضُهُ⁽¹⁾).

وقد جعل الله في القرآن الكريم ضوابط للحرية، وهي⁽²⁾

أ. لا تتعارض الحرية مع العقيدة، فمن حق الإنسان أن يفكر ويعبر لكن دون التعرض للدين، فالحرية لا تعني الإغراق في الأوهام والخيالات أو الطعن في الدين، ولذلك قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَخَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝﴾ [التوبة: 64 - 66]، فالحرية تقتضي المسؤولية والانضباط في القول والفعل، وإلا تحوّل الأمر إلى فوضى وعبث.

ب. ألا تتعارض الحرية مع أصول الأحكام، فقد منح الإسلام الفرد حرية الكلمة والاعتقاد والتصرف والانتقال والمعاملات، ما لم تخالف الشريعة، فإذا خالفت صارت مُروفاً وانحرافاً لا حرية، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ۝﴾ [الأحزاب: 36].

ج. ألا تتعارض مع المصالح العامة، حيث تؤدي إلى تفكك المجتمع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ۝﴾ [المؤمنون: 71].

(1) صحيح مسلم، كتاب البير والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم، 2564، ص 1986.

(2) حديث القرآن عن الحرية، زيادي، الرابط، <http://montdatarbawy.com/show/122756>

الخلاصة: إن الحرية التي أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده، هي تلك الحرية، التي تقوم على مبادئ وقيم الإسلام العظيم، التي ترفض كل مظاهر التخلي والانحطاط، الذي يؤدي بالإنسان إلى مهاوي الردى، فيخسر الدين والدنيا.

4. التربية النفسية

أراد الله من المؤمنين أن يحققوا في أنفسهم ما يؤهلهم إلى مواجهة التحديات القاسية التي تمر بهم في معترك الحياة مع أعدائهم، وأن يكون الإقدام على التضحية وإتقان الجهاد والثبات في مواطن البأس، والتمسك بمبادئ الفروسية الإسلامية، جزءاً أصيلاً من التربية النفسية والبدنية للمجاهد في سبيل الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

أي: إن الذين جاهدوا في الله هم المؤمنون الأولون، وهذا الجهاد هو صبر النفس على الفتن والأذى ومدافعة كيد العدو، وهم الذين بذلوا كل ما يملكون من في سبيل إعلاء ديننا، وقدموا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل رضائنا وطاعتنا، وأخلصوا لنا العبادة والطاعة، فإننا لن نتخلى عنهم، بل سنهديمهم إلى الطريق المستقيم، ونجعل العاقبة الطيبة لهم، فقد اقتضت رحمتنا وحكمتنا أن نكون مع المحسنين في أقوالهم وأفعالهم، وتلك سنتنا التي لا تتغير ولا تتبدل⁽¹⁾.

ويأتي القرآن الكريم ليقرر أهم المبادئ التربوية النفسية التي تتعلق بجوانب مهمة تجاه النفس البشرية، وأهمها المرتبط بالجانب الروحي (العقدي)، الذي يرسخ جوهر العقيدة في نفوس المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163].

فمعنى قوله: "واللهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم"، أي: هو الذي يستحق أيها الناس الطاعة له، ويستوجب منكم العبادة، وأنه معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحدٌ، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه سواه⁽²⁾.

كما أن العقيدة الإسلامية تُعدل سلوك الإنسان وترتقي به، فقد أبطلت الخمر والميسر والربا والعبادات المذمومة كلها بآيات من الذكر الحكيم، تَلَقَّتْهَا الْأَنْفُسُ الَّتِي رَبَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ بِالرِّضَا وَالْقَبُولِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١٠]

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، ج 11/ ص 58، بتصرف.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 3/ ص 265.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ

﴿٩١﴾ [المائدة: 90 - 91].

وتُساهم العقيدة في تنمية القدرات العقلية التي يحتاجها المسلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَانَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ﴿١٧﴾ [محمد: 17]، أي زادهم تفهيمًا وبيانًا لحقيقة ما جاءهم، وأعانهم عليها⁽¹⁾.

وتثبتت النفس عند الشدائد، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم: 27].

أي: إن كرامة الله وثوابه ثابتة للمؤمنين في الآخرة بالقول الذي كان يصدر عنهم في الدنيا، وهو الإيمان المستقر بالحجة والبرهان في قلوبهم، والمقصود: بيان أن الثبات في المعرفة والطاعة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى، والله يثبت المؤمنين في الدنيا بعدم تعرضهم للفتنة في دينهم بالرغم من التعذيب، وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عن معتقدتهم ودينهم في موقف الحساب، لم يتلعثموا، ولم تحيرهم أهوال الحشر⁽²⁾.

يقول الدكتور دراز: (لا يمكن لقائد أن يدفع جنوده إلى بذل أقصى جهودهم في العمل، إلا إذا كانت ضمائرهم مرتاحة إلى ما يعملونه، ويقيني أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى؛ لأن خطر التدني الخُفي والنفسي في أفراد المقاتلين والجيش أعظم من خطر العدو؛ لذلك لا نستطيع أن ننتصر في أي معركة، إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء)⁽³⁾.

جاء في الحديث الذي يرويه فضالة بن عبيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المجاهد من جاهد نفسه في الله)⁽⁴⁾.

يقول ابن القيم في زاد المعاد: (كان جهاد النفس مُقدِّمًا على جهاد العدو في الخارج، وأصلًا له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولًا لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نُهييت عنه، ويحاربها في الله، لم يمكنه جهادُ

(1) محاسن التأويل، القاسمي، ج8/ ص 471.

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج13/ ص245.

(3) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص 101.

(4) صحيح: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب السير، باب فرض الجهاد، ج11/ ص 5، حديث رقم، 4706.

عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه، والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له، ومتسلط عليه، لم يجاهده، ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه، حتى يجاهد نفسه على الخروج⁽¹⁾.

الخلاصة: إنَّ الإسلام أوجب جهاد النفس وتربيتها؛ للتخلص من النزعات والنقائص المعوقة؛ كالغرور وحب الظهور، وكل ما يفسد القلب، ويعلُّ النَّفس من الأمراض؛ كالطمع والحقد والبغض والحسد، وهذا دليل على أهمية سلاح تربية النفس في الانتصار، والفتك بالأعداء، واجتلاب مدد السماء، وهذا ما يظهر للأسف بواقع الأمة الإسلامية، عندما تبنت تلك المفاصد، أصبحت تتنازع الأمم على البقاء بذلة وهوان.

5. التربية البدنية

حثَّ الإسلام العظيم المقاتلين على تعزيز وتقوية الجانب البدني الجسماني؛ من أجل تحمُّل أعباء الجهاد والمهام الشاقة التي يقوم بها المجاهد في ساحة الميدان، وقد مدح الإسلام المؤمن القوي، ويُعَدُّه أفضل من المؤمن الضعيف⁽²⁾، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)⁽³⁾، والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه، وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها، ومحافظة عليها⁽⁴⁾.

ولذا أوصى الرسول ﷺ أمته بالاهتمام بالقوة الجسمانية وممارسة الرياضة البدنية، وحثهم على إتقان استخدام السلاح ب مداومة التدريب عليه، حتى يكونوا ذوي بأس شديد، وكما هو واضح أنَّ القوة الجسمانية تؤدي إلى قوة التحمُّل، والتدريب الجيد على السلاح الذي يوفر الدعم في الحرب، وقد أمر رسول الله ﷺ بالتدريب الجيد للرماية، حينما فسر الآية الكريمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ج 3 / ص 6.

(2) العسكرية في الإسلام، محفوظ، ص 80.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز، ج 4 / ص 2052، حديث رقم، 2664.

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج 16 / ص 215

قُوَّةٌ ﴿٦٠﴾ [الأَنْفَال: 60] أَي أَعَدُّوا لِأَعْدَائِكُمُ الْكُفَّارِ السَّاعِينَ فِي هَلَاكِكُمْ وَإِبْطَالِ دِينِكُمْ، بِكُلِّ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْبَدْنِيَّةِ، وَأَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ، وَتَعَلَّمَ الرَّمِيَّ، وَالشَّجَاعَةَ وَالتَّدْبِيرَ الْقِتَالِيَّ (1).

وجاء في الحديث الشريف، الذي رواه عقبه بن عامر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: (أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ) (2)، وفي هذا الحديث حثٌّ على فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك؛ بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح، وكذا المسابقة بالخيل وغيرها كما سبق في بابه، والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدريب والتحذق فيه، ورياضة الأعضاء بذلك (3)، والإعداد للجهاد بكل ما يستطيع المسلم من الأمور التي حضَّ عليها الشرع الحنيف؛ صيانة للأمة، ونشرًا للإسلام والعدل، وحماية للدين والعرض، وخصَّ النبي ﷺ الرمي مع أن الجهاد يحتاج إلى إعداد أمور أخرى، مثل السيف والرمح وركوب الخيل، وغير ذلك مما يحتاجه المقاتل في سبيل الله، إلا أنه خصَّ الرمي في تفسير القوة؛ لأنه يحتاج إلى مُمارسة دائمة وتدريب مستمر حتى لا يُنسى، ولأنه أكثر نكاية في العدو من غيره، وإنما يكون تعلم الرمي المأمور به في الحديث في كل زمان على حسب ما هو موجود فيه من أدوات الرمي، فيتعلم الرمي بالسهم في زمنه، ويتعلم الرمي بالرصاص والقنابل والصواريخ ونحوها في زماننا (4).

6. العقيدة العسكرية الجهادية:

تُمثل العقيدة العسكرية لأي دولة السياسة العسكرية المرسومة التي تعبر عن وجهات النظر الرسمية لهذه الدولة، فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح، وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها من وجهة نظرها وطرق إدارتها، والأسس الجوهرية لإعداد البلاد والقوات المسلحة لها، وعرفنا أن العقيدة العسكرية تنبثق من الأهداف والغايات القومية العليا التي بمقتضاها يتم تحديد الأسس العامة والمبادئ السياسية للاستراتيجية العسكرية، أما بالنسبة للأمة الإسلامية فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الرافدان الأساسيان للعقيدة العسكرية الإسلامية، فالقرآن الكريم ليس كتاب

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/ ص 324.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، ج1/ ص 1522، حديث رقم، 1917.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج13/ ص 64.

(4) الدرر السنية، الموسوعة الحديثية، الرابط، <https://dorar.net/hadith/sharh/20348>

دين يحث على إخلاص العبادة لله والتقرب إليه فحسب، إنما إلى جانب هذا، وما يتصل به من عقائد وعبادات وأوامر، هو أعظم دستور فيما يتضمنه من القواعد القوية الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم في جوانبه كافة⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

ولهذا فإن العقيدة العسكرية الإسلامية تتبوأ مكانة عالية، وتتميز بالاستقرار والثبوت؛ لأنها من هدى الدين، وليست ميراثاً من حروب البشر، وليست من صنع إنسان يخطئ ويصيب، بل هي منبثقة من القرآن والسنة؛ لذلك هي في غاية الإحكام والدقة جملة وتفصيلاً، وبغيرها يكون المقاتل في حالة من الضعف والخوف، على النفس والإرث⁽²⁾.

والعقيدة العسكرية الجهادية تعدُّ منبع الإرادة القتالية، والشعلة التي تضئ قلب المجاهد بنور الإيمان بالقضية التي يقاتل من أجلها، والتي تشكل في نفسه قوة ذاتية تحركه إلى الفدائية في القتال، واسترخاض النفس في سبيل الله، وقد جعل الله تعالى الجهاد في سبيله الوظيفة الشريفة التي كرم بها الأمة الإسلامية⁽³⁾.

فقد جاء في محكم التنزيل، في آية الحج، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: 78].

فإن اختيار الله تعالى هنا تكريمٌ وتشريفٌ لهذه الأمة التي جعلها _جَلَّ شَأْنُهُ_ في خير منزلة بين الأمم (أي: هو اختاركم من بين الأمم لنصرة دينه)⁽⁴⁾.

وقد ربط الله _سبحانه وتعالى_ الإيمان بالجهاد في صورة متماسكة لا انفصام لها، بحيث يزول الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه، فإنَّ عقد الإيمان الذي بين المؤمنين وبين الله تعالى، من أهم شروطه أن يبيع المؤمنون بمقتضى هذا العقد أنفسهم وأموالهم في سبيله _جَلَّ شَأْنُهُ_،

(1) العقيدة العسكرية، محفوظ، ص/ 24، 25.

(2) العقيدة العسكرية، محفوظ، ص 26، بتصرف.

(3) العسكرية في الإسلام؛ محفوظ، ص 91.

(4) صفوة التفاسير، الصابوني، ج 2/ ص 275.

وثن ذلك إنما هو الجنة (1)، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: 111]

يخبر الله تعالى في هذه الآية، أنه عوّض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوا في سبيله الجنة التي فيها النعيم المقيم، والسعادة التي لا تنقطع، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضّل به على عباده المطيعين له (2).

وهذا الكلام معناه أن الله تعالى أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم بالجنة، فعبر عنه بالشراء؛ لما فيه من عوض ومعوض؛ ولأن الثواب على الجهاد إنما يستحق، إذا كان في طاعته ولوجهه، الجنة عوضًا عن جهادهم سواء قتلوا أو قُتلوا (3).

7. الطاعة:

الطاعة دعامة من دعائم الحكم في الإسلام، وقاعدة من قواعد نظامه السياسي والعسكري، وهي من الأمور الضرورية لتمكين الإمام من القيام بواجبه الملقى على عاتقه، وضرورية أيضًا لتمكين الدولة من تنفيذ أهدافها وتحقيق أغراضها.

جاء في المصباح المنير: (لا تكون الطاعة إلا عن أمر، كما أن الجواب لا يكون إلا عن قول، يقال أمره فأطاع) (4).

فإذا مضى لأمره فقد أطاعه، وإذا وافقه فقد طاعه (5).

والمراد بالطاعة فيما نحن بصدده، هو طاعة الأنظمة والقوانين العسكرية الصادرة من قيادات الجيش إلى الأفراد الخاضعين لتلك القيادات، سواءً فيما يتعلق بتدبير شؤون الجيش وقت السلم، أو تدبير شؤون القتال وقت الحرب، فقد أوجب الله الطاعة على عباده، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

(1) العسكرية في الإسلام، محفوظ، ص 93.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 4/ ص 218، بتصرف.

(3) تفسير النكت والعيون، الماوردي، ج 2/ ص 406.

(4) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ج 2/ ص 380.

(5) مجمل اللغة، ابن فارس، ج 1/ ص 589.

أَلَا مَنَّتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَتَائِبَهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿٥٩﴾ [النساء: 57-59].

"لَمَّا أمر الله الرُّعاة والولاة بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، أمر الرعية من الجيوش وغيرهم بطاعة أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك، إلا أن يأمرُوا بمعصية الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (1).

"والمراد بأولي الأمر منكم، أمراء الحق؛ لأن "أمراء الجور" اللّهُ ورسوله بريئان منهم، فلا يُعطفون على اللّهُ ورسوله في وجوب الطاعة لهم، وإنما يجمع بين اللّهُ ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إثارة العدل واختيار الحق، والأمر بهما، والنهي عن أضدادهما؛ كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان، وكان الخلفاء يقولون بلسان الواحد: أطيعوني ما عدلت فيكم، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم" (2).

هذا فيما جاء في القرآن الكريم ممّا يدل على وجوب الطاعة لأولي الأمر، أما ما جاء من نصوص السنة فكثيرة هي الأدلة، فجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة) (3).

وما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني) (4).

خُلاصة القول:

"لا قيمة لجيش دون أن تُهيمن عليه الطاعة والانضباط العسكري؛ لهذا لم تكن الطاعة لأنظمة الجيش وقوانينه مجرد أمر مستحب، أو مندوب إليه، ولو كانت كذلك لما أثمر ذلك الانضباط المنشود،

(1) محاسن التأويل، القاسمي، ج3/ ص 184.

(2) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج1/ ص 524.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم، 7142.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، حديث رقم، 1835.

بل كانت الطاعة أمرًا واجبًا لا رخصة فيه، حتى جعلت طاعة أولي الأمر في كل المجالات؛ ومنها مجال الجيش، والجهاد قرينةً لطاعة الله والرسول⁽¹⁾.

8. الصبر في الجهاد:

جاء في موسوعة الأخلاق: أن الصبر هو حبس النفس عن الجزع، والسَّخَط، والشكوى، وتشويش الجوارح، وهو على ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على قضاء الله وقدره في البلاء⁽²⁾.

ومن هنا؛ فإنَّ الإسلام يُعَلِّمُ المجاهد ويُربِّيه على قوة التحمل والصبر على مشاق القتال، وأن يحتفظ بأعصابه وثباته ورباطة جأشه، ولا يهتز أمام المفاجآت أو الصدمات، فتلك هي عناصر القوة في الجهاد، وهي تتعلق بالمجاهد قبل أن تتعلق بمعدات القتال، وهكذا تثبت المدرسة العسكرية أن معدات القتال وحدها لا تشكل عنصر القوة في الجهاد، بل لا بدَّ من قلبٍ مؤمنٍ وعزيمةٍ صادقةٍ، وصبرٍ قويٍّ ورغبةٍ ومصابرةٍ للأعداء⁽³⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]

{يا أيها الذين آمنوا اصبروا} (أي: اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد)، {وصابروا} (أي: غالبوا أعداء الله بالصبر على أهوال القتال وشدائد الحروب)، {ورابطوا} (أي: لازموا ثغوركم مستعدين للكفاح والغزو)، {واتقوا الله لعلكم تفلحون} (أي: خافوا الله فلا تخالفوا أمره لتفوزوا بسعادة الدارين، وقد اقترن الفلاح بالصبر والرباط والتقوى)⁽⁴⁾.

وقد جاء الأمر من الله تعالى للمؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

يتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيرًا، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع، والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض بين

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، هيك، ص/ 1098.

(2) موسوعة الأخلاق، الخراز، ص 75.

(3) العسكرية في الإسلام، محفوظ، ص/94.

(4) صفوة التفسير، الصابوني، ج 1/ ص 232، بتصرف.

شتى الصراعات والعقبات، والذي يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب، مجندة القوى، يقظة للمداخل والمخارج، ولا بد من الصبر في هذا كله على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على الجهاد، والصبر على الكيد بشتى صنوفه، والصبر على تأخر النصر، والصبر على طول المسير، والصبر على انتفاش الباطل وسيطرته، والصبر على قلة الناصر، والصبر على التواء النفوس وتراخيها، وضلال القلوب، وثقله العناد، ومضاضة الإعراض، وحين يطول الأمد، ويشق الجهد، قد يضعف الصبر، أو ينفذ، إذا لم يكن هناك زاد ومدد، ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر فهي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد، والمعين الذي يجدد الطاقة، والزاد الذي يزود القلب، فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع، ثم يضيف إلى الصبر الرضى والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين (1).

الخلاصة: في حالة عدم الحصول على النصر الكامل، فإن الإسلام لا يقرب الانهيار في الروح المعنوية أو إرادة القتال، بل يدعو المجاهدين إلى طرح الحزن، واستعادة قوتهم، والإبقاء على بطولتهم وشجاعتهم، والمحافظة على روحهم المعنوية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ يَمْسِكُمْ فَجْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَجْحٌ مِثْلُهُ ﴿١٤٠﴾ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلْهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴿١٤١﴾ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٢﴾ [آل عمران: 139 - 140]

فإنه تعالى كان يربي روح الصبر في المجاهدين بحملهم على تذوق الأذى والبلاء، حتى إذا نزل البلاء بهم لم يكن مفاجئاً لهم (2)، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزِلْوْا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١٤٣﴾ وَإِنَّ الصَّبْرَ وَالْمَصَابِرَةَ مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ؛ لِأَنَّهُ حَبَسَ النَّفْسَ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَمِمَّا تَكْرَهُهُ النَّفْسُ، الْقِتَالُ الَّذِي تَسِيلُ فِيهِ الدَّمَاءُ وَتَزْهَقُ فِيهِ النَّفْسُ، وَهُوَ مِنْ حَيْثُ طَبِيعَتُهُ مَكْرُوهٌ، كَمَا يَنْبَغُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١٦﴾ [البقرة: 216]

9. التعاون وتماسك الصف:

التعاون لغة: تعاون القوم، أي عاون بعضهم بعضاً (3).

(1) في ظلال القرآن، قطب، ج1/ ص 142، ينظر.

(2) العسكرية في الإسلام، محفوظ، ص/ 96، بتصرف.

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج2/ 638.

التعاون في الاصطلاح: المساعدة على الحق ابتغاء الأجر من الله سبحانه⁽¹⁾.

إنَّ التعاون أساس العمل المتكامل، وعلى قدر تعاون الأفراد يكون رُقي الأمم ونهضتها، وتكون أيضاً قوة جيشها، ولقد حثَّ القرآن الكريم على التعاون الإيجابي بين المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتعاون على فعل الخيرات، وهو البر؛ والتعاون على ترك المنكرات، وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل⁽²⁾.

اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، فيما بينهم وبعضهم لبعض، وفيما بينهم وبين ربهم، قال: فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة، فالواجب على المسلم فيها أن يكون اجتماعه بهم، وصحبته لهم تعاوناً على مرضاة الله، وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه، ولا سعادة إلا بها، وهي البر والتقوى اللذان هما جماع الدين كله⁽³⁾.

وعندما سئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2] قال: هو أن تعمل به، وتدعو إليه، وتعين فيه، وتدلل عليه⁽⁴⁾.

وقد حذر القرآن الكريم من التنازع؛ لأنه يُبعد ما بين النفوس، ويُذهب روح التناصر والتعاون، فيكون أبعد وأشد تنكياً بالأمة الإسلامية وجيشها مما يفعله العدو، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قال الطبري: (الفشل، هو الضعف عن جهاد عدوه والانكسار لهم)⁽⁵⁾.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ ويريد بالريح: النصر الذي يرسله الله عز وجل لنصر أوليائه وهلاك أعدائه⁽⁶⁾.

(1) موسوعة الأخلاق، الخراز، ص/441.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 2/ ص 12.

(3) الرسالة التبوكية، ابن القيم، ج 1/ ص 6، ينظر.

(4) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، ج 7/ ص 284.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 13/ ص 577.

(6) النكت والعيون، الماوردي، ج 2/ ص 324، بتصرف.

والتعاون والمشاركة تبعثان في نفوس المسلمين المتعاونين المتكاتفين روح الألفة والمحبة، فيصبحون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)⁽¹⁾.

ففي هذا الحديث تصور كامل لتكتل الأمة الإسلامية، ووجوب تجميعها؛ لصيانة مقدساتها وحرمتها، وحماية ديارها؛ فهي تأتلف بكل وحداتها كالبناء الواحد، إذا أصيب منها ركن، اختلَّت بقية الأركان⁽²⁾.

خُلاصة القول: كل إنسان يريد أن يربي نفسه، أو أن يرتقي بنفسه فلا بدّ أن يؤصل في نفسه هذا المعنى، وأن يحملها على هذا المبدأ الإسلامي الأصيل، وهو التعاون والمشاركة في الخير وعلى البر والتقوى، حيث إن التعاون ووحدة الصف بين جيش المسلمين من أهم الأمور التي يجب أن يتحلَّى بها الجند والقادة؛ لأن في ذلك استجابة لله وللرسول، والأخذ بأسباب النصر والغلبة على أعداء الله تعالى.

المطلب الثالث: بيان فضل القتال في سبيل الله.

إنَّ آيات القتال المذكورة في كل سورة من سور القرآن _حين يتلوها المقاتل أو حين يسمعها_ تبعث في نفسه الشجاعة والجرأة على قتال العدو والثبات في وجهه، وقد حددت الآيات أن القتال لا ينفك عن كونه في سبيل الله، و طبيعة المعركة وحقيقتها وغرضها، وتبيّن أنّه إنما جاء لتحرير الإنسان من القهر والإذلال والهوان والخوف؛ ليختار العقيدة التي يؤمن بها، ويعيش في المجتمع الإسلامي، ويحكم بشرع الله دون أن يُكرهه على عقيدة من العقائد، كما أن الآيات التي يذكر فيها القتال توضح سمو الهدف وبيان فضله من خلال اقتترانه بأنه في سبيل الله، كما أنّه ليس لمغرم ولا لسمعة، إنّما هو لإعلاء كلمة الله ورفع راية الإسلام، وتوفير الحماية للناس في اختيار ما يعتقدونه دون إكراه، وتأديب

(1) صحيح مسلم، للإمام مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، حديث رقم، 2586، ج4/ص 1999.

(2) العسكرية في الإسلام، محفوظ، ص/ 78.

العدو الغادر وزجره ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِلَيْكُمْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: 190]

قال الطبري: (وقاتلوا أيها المؤمنون في سبيل الله وسبيله، طريقه الذي أوضحه، ودينه الذي شرعه لعباده، من قاتلكم من الكفار، وادعوا إلى دين الله من ولئى عنه واستكبر، بالأيدي والألسن؛ حتى ينيبوا إلى طاعة الله، أو يعطوكم الجزية صغاراً إن كانوا أهل كتاب) (1).

ولا تعتدوا (أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى السلم، وكف يده، فإن فعلتم هذا فقد اعتديتم) (2).

وقد تباينت الأغراض القتالية في الهدف والغاية، وتبين شرف وفضل من كان قتاله في سبيل الله، وخسران من قاتل في سبيل الشيطان، وفي لمسة نفسية أخرى؛ لاستنهاض الهمم، واستجاشة العزائم، وإنارة الطريق، وتحديد القيم والغايات والأهداف، التي يعمل لها كل فريق؛ فمن هنا تتضح الأهداف، فينقسم الناس إلى فريقين تحت رايات متمايزة، فريق في سبيل الله، وآخر في سبيل الطاغوت، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 76]، وقد حددت هذه الآية الكريمة فريقين؛ فريقاً يقاتل في سبيل الله، وآخر يقاتل في سبيل الكفر والطغيان.

الفريق الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، يقاتلون في سبيل الله؛ لتحقيق منهجه، وإقرار شريعته، وإقامة العدل بين الناس باسم الله، لا تحت أي عنوان آخر؛ اعترافاً بأن الله وحده هو الإله الحاكم.

الفريق الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾، يقاتلون في سبيل الطاغوت؛ لتحقيق مناهج شتى غير منهج الله، وإقرار شرائع شتى غير شريعة الله، وإقامة قيم شتى غير التي أذن بها الله،

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج3/ ص563.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ج1/ ص325.

ونصب موازين شتى غير ميزان الله! عندها سيقف الذين آمنوا مستنديين إلى ولاية الله وحمانيته ورعايته، ويقف الذين كفروا مستنديين إلى ولاية الشيطان بشتى راياتهم، وشتى مناهجهم، وشتى شرائعهم، وشتى طرائقهم، وشتى قيمهم، وشتى موازينهم⁽¹⁾.

وقد فاضت هذه الآية بفوائد عظيمة تضمنتها، ومنها:

أ. أنه بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله، وإخلاصه ومتابعته، فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولوازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب الكفر ومقتضياته. ب. أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاثلون وهم على باطل، فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعالى في هذا المعنى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: 104].

ج. أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمداً على ركن وثيق؛ وهو الحق، والتوكل على الله، فصاحب القوة والركن الوثيق يُطلب منه من الصبر والثبات والنشاط ما لا يُطلب ممن يقاتل عن الباطل، الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة، فهذا قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76].

والكيد: سلوك الطرق الخفية في ضرر العدو، فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ، فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق، ولا لكيد الله لعباده المؤمنين⁽²⁾.

والأحاديث الدالة على هذا الفضل تفيض بها كتب السنة المطهرة، قال رسول الله ﷺ: (من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار)⁽³⁾.

وفي هذا الحديث بيان فضل من اغبرت قدماه في سبيل الله من أثر الاقتحام في المعارك وقتال الكفار، ولا شك أن الغبار يثور في المعركة حال مصادمة الرجال، ويعم سائر الأعضاء، ولكن تخصيص القدمين بالذكر لكونهما عمدة في سائر الحركات⁽⁴⁾.

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج2/ص709، بتصرف يسير.

(2) صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ج3/ص1512.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، ج4/ص20، حديث رقم، 2811.

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج14/ص108 بتصرف يسير.

وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله)⁽¹⁾.

معنى الحديث: تختلفُ نوايا المقاتلين ومقاصدهم، فمنهم من يقاتل طمعاً في الغنيمة، ومنهم من يقاتل ليتحدث الناس عنه بالبطولة والفروسية، ومنهم من يقاتل لينال مكانة مرموقة، ومنزلة عالية في المجتمع، فمن هو المجاهد في سبيل الله؟ هو الذي إذا مات، مات شهيداً، وإن سلم عاد إلى أهله بأجر وغنيمة، والمجاهد الحقيقي هو الذي يحقق لنفسه كل هذه المزايا، بقتاله لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه دون أي دافع من الدوافع النفسية الأخرى⁽²⁾.

وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، قال: سمعت أبي، وهو بحضرة العدو، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أبواب الجنة تحت ظلل السيوف)، فقام رجل رثُ الهيئة، فقال: يا أبا موسى، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال: نعم، قال: "فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه⁽³⁾ فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل"⁽⁴⁾.

يُفهم من الحديث الحُضُّ على الجهاد والقتال في سبيل الله والإخبار بالثواب عليه، والحض على مقاربة العدو، واستعمال السيوف والاعتماد عليها، واجتماع المتقاتلين حين الزحف بعضهم لبعض، حتى تكون سيوفهم بعضها تقع على العدو، وبعضها ترتفع عليهم، حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها، والمراد أن الضارب بالسيف في سبيل الله يُدخله الله الجنة بذلك⁽⁵⁾.

(1) صحيح البخاري، البخاري، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، كتاب الجهاد والسير، ج4/ ص20 حديث رقم، 2810.

(2) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، قاسم، ج4/ ص84.

(3) جفن سيفه، أي غمده، وغلافه وغطاؤه، تاج العروس، للزبيدي، ج8/ ص469.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ج3/ ص1511، حديث رقم، 1902.

(5) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، البكري، ج7/ ص103

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تقجر أنهار الجنة)⁽¹⁾.

أعدَّ الله تعالى للمجاهدين في الجنة، بل أعلى درجاتها منازل لا يبلغها إلا من جاهد في سبيله، والمجاهد في سبيل الله هو الذي يجاهد لإعلاء كلمة الله، ونصرة الدين من غير التفات إلى الدنيا⁽²⁾.
الخلاصة: لقد شرف الله تعالى، في زماننا هذا الذي يعج بالفتن، والمصائب التي أصابت أخلاق الناس، المجاهدين الذين عرفوا فضل الله عليهم، وما بدلوا وغيروا، رغم تكالب القريب والبعيد، ورغم الاتهامات الباطلة، والأوصاف الناظمة، إلا أن العزة التي حازها المجاهدون لم تكتب لغيرهم، وسط الزعمات التي تدعي الإسلام.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ج4/ص16، حديث رقم، 2790.

(2) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن شهاب الدين، ج5/ص37، حديث رقم، 2790.

المبحث الثالث

التربية العسكرية أهميتها وعلاقتها بالتربية الإسلامية ودور المسجد فيها

إن مكانة التربية الإسلامية عظيمة في نفوس الأمة، فهي الوقود لتحقيق الأهداف السامية، والمطالب الرفيعة، لذلك فإن أهميتها تكمن في إصلاح الفرد المسلم، والجماعة المسلمة، لنصل بذلك تحقيق المراد.

المطلب الأول: أهمية التربية العسكرية في الإسلام.

لقد اختار الله هذه الأمة لشرف القتال والجهاد في سبيله والدعوة إليه، وبوأها مكانة الزعامة والقيادة، وقد تعرضت الدعوة لمقاومة عنيفة، وكان أمامها طريقان؛ إما تستمر وتصمد وتقاوم ليسطع نور الله تعالى، وإما أن تقبع حيث هي، ويستسلم الداعي للقوى المضادة، وينتهي كل شيء، وقد اختار رسول الله ﷺ طريق الدعوة؛ وهو طريق معروف أنه يقود إلى صدام مسلح مع قوى كثيرة تقف له بالمرصاد، وتملك القوة والإمكانات، ولكنه ﷺ رأى من آيات ربه أن النصر له؛ لأنه من عند الله أصلاً، فداوم المسير على الطريق الذي اختاره، وسار معه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إيماناً صادقاً، وعقيدة راسخة، وبذلاً بلا حدود، وأملاً في نصر أو شهادة، ومع صدور الإذن بالقتال، أخذت التربية العسكرية مكانها على مسرح الأحداث⁽¹⁾.

فواقع التربية العسكرية منذ لحظاتها الأولى أنها تعرضت إلى تغييب فريضة الجهاد تماماً عن العقل والوجدان العربي والمسلم، وعن المحاضن التربوية في العالم الإسلامي كافة، وظل هذا الأمر قائماً حتى يومنا هذا، وما الحرب على المناهج الشرعية والدراسية في العالم الإسلامي إلا لحذف كل ما له صلة بالجهاد؛ ولذا فإن الصور على طمس التربية العسكرية كثيرة، حتى يكاد المتابع يُجزم أنه لا يوجد إلا نذرٌ قليلٌ من التربية العسكرية في العالم الإسلامي.

وما كانت نذر اللقاء المسلح تلوح، حتى أُذن للمسلمين بالقتال وحمل السلاح، ومواجهة القوى المضادة؛ دفاعاً عن الدين والحرية، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39]، ومع صدور الإذن بالقتال، أخذت التربية العسكرية دورها ومكانها على مسرح الأحداث، وبدأت في إعداد العقول التي ترسم وتخطط، والرجال الذين يحملون عبء التنفيذ، ولمَّا كان

(1) المدرسة العسكرية الإسلامية، محمد فرج، ص 16.

المسلمون في بداية الطريق وعددهم وعدتهم محدودة، لجأ رجال العسكرية الإسلامية إلى القرآن، يستمدون منه أسلوب العمل لمرحلة الجهاد، فوجدوا في آياته فيضاً من التوجيهات والإرشادات التي أصبحت عماداً لكل عسكري⁽¹⁾.

وجاء التوجيه التربوي الرياني للمقاتلين في سبيل الله يُحدد الهدف من القتال، وإرشاد المقاتلين بعدم الاعتداء على الأمنيين المسالمين الذين لا يشكلون خطراً على الدعوة الإسلامية، ولا على الجماعة المسلمة؛ كالنساء، والأطفال، والشيخوخ، والعباد المنقطعين للعبادة⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعَدِّينَ ﴾ [البقرة: 190].

وقد كانت وصايا رسول الله ﷺ لجيش المسلمين أن "اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا"⁽³⁾.

وجاءت وصية أبي بكر على نفس المنهج النبوي التربوي، فقال ﷺ لجيش أسامة بن زيد حين بعثه إلى الشام: "لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"⁽⁴⁾.

وبعد ذلك، جاء التوجيه الرياني للصحابة الكرام، ولمن بعدهم بأن يقتدوا بالرسول القائد، قَالَ تَعَالَى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21].

وبالتالي فإن الأمة اليوم بحاجة إلى إعادة النظر في توظيف الأساليب التربوية العسكرية مقارنة بتوظيف غير المسلمين لها؛ لأن المرحلة القادمة من التصعيد على الإسلام تستدعي جيلاً متفرداً من المقاتلين المسلمين المترين تربية عسكرية إسلامية، وفق قواعد فريضة الجهاد دون إفراط أو تفريط، ومن هنا يمكن أن نلمس بعض الومضات التربوية العسكرية التي يمكنها أن تساعد في بناء جيلٍ قادرٍ على إجادة العسكرية علمًا وعملاً، وذلك من خلال:

(1) المدرسة العسكرية الإسلامية، محمد فرج ، ص 17، بتصرف

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج1/ص188، بتصرف.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ج3/ص 1357، حديث رقم، 1731.

(4) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج2/ص200.

1. إحياء سيرة رسول الله ﷺ والصحابة الكرام في غزواتهم مع الكفار والمشركين، وكذا المواقع الحربية التي انتصر فيها المسلمون عبر التاريخ، وكيف كان بذلهم وتضحياتهم من أجل خدمة الدين الإسلامي وإعلاء رايته.
2. إسقاط الانتصارات والفتوحات الإسلامية على الواقع الراهن، بحيث يكون بكل الوسائل التربوية داخل المجتمع؛ فالأسر تغرس في نفوس الأبناء هذه العزة وتلك الانتصارات.
3. إعادة ربط العسكرية الإسلامية بالمجتمع، وتكوين علاقة وجدانية فيها حب وألفة بين أفراد المجتمع والمجاهدين⁽¹⁾.

وأهمية التربية العسكرية تأتي لما كان القتال والحرب ظاهرة اجتماعية، عالجهما الإسلام ووضع لها المبادئ الرئيسة لكل ما يتصل بها، من حيث أهدافها وأساليب إدارتها وقوانينها وآدابها، حيث أصبح للعرب بعد الإسلام مدرسة عسكرية لأول مرة في تاريخهم، وكان الرسول ﷺ قائدها ومعلمها الأول، ولو نظرنا إلى المدارس العسكرية الشرقية والغربية، لوجدناها تقوم على أساس المصالح والأهواء، ولا تلتزم بحرمات أو محاذير؛ أما التربية العسكرية الإسلامية، فقد أخذت تربيتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، فما هو القائد العسكري الأول محمد ﷺ قد مدحه الله تعالى في كتابه⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

المطلب الثاني: العلاقة بين التربية العسكرية والتربية الإسلامية.

تعدُّ التربية العسكرية جزءًا من التربية الإسلامية، ومن المعلوم أن التربية الإسلامية تربية شاملة ومتوازنة، تلبّي حاجات المجتمع المسلم؛ ومن حاجاته الدفاع عن وجوده، ولأن حالة المسلمين اليوم تتطلب تربيتهم على الإسلام، وإحياء روح الجهاد والتضحية في سبيل الله؛ فقد استمدت التربية الإسلامية نورها وسيرها من وحي القرآن الكريم، ومن تعاليم الرسول العظيم، فهي تدعو إلى الحرية والعدالة، وترعى الجوانب الإنسانية من جوانبها كافةً، وتردع الظالم، وتُخفي معالم الطغيان، وإنَّ من عظيم ميادينها، ميدان التربية العسكرية الذي يعدُّ جزءًا أصيلاً من التربية الإسلامية⁽³⁾.

(1) العسكرية الصهيونية صورة واقعية، الهيثم زعفان، الرابط، <http://almoslim.net/node/105150>.

(2) العسكرية الإسلامية ونهضتها الحضارية، محفوظ، ص 11، بتصرف.

(3) التربية الإسلامية من خلال القرآن الكريم، الحاج علي، ص 11، بتصرف.

فالعالم الإسلامي اليوم يعيش تربية مستوردة من أعدائنا، وهي تربية هابطة ساقطة، ومن دلائلها أنها لا تلبى حاجات المجتمع المسلم؛ وأهمها الجهاد، بل إنها تُبعد الناشئة عن الجهاد، وتقدم للمجتمع شبابًا ناعمًا بعيدًا عن صفات المجاهدين؛ لذلك يتطلب من الإنسان تغييرًا تجاه نفسه في علاقته مع ربه جل في علاه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]

ومعنى الآية أن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا أنفسهم؛ فإن كانوا في خير، يأتيهم رزقهم رغدًا من كل مكان، ولا يغير الله حال قوم أصابهم الضر والشر والخذلان والهزيمة أمام أعدائهم، إلا إذا غيروا حالهم من فساد إلى صلاح، ومن تخاذل نفسٍ وتفترقٍ إلا إذا غيروا أنفسهم واجتمعوا على الحق، وتركوا التنازير والتدابير، وما أحرانا نحن المسلمون بالاعتبار بهذه الآية، فلقد كنا أعزّة بعزة الله تعالى حتى تفرقنا، وأضعنا أحكام القرآن بيننا، حتى صارت غريبة تُستغرب إذا ذكرت، وضاعت لغتنا، واستتكرت حال من يستمسك بها، ويقا تل المسلمون بعضهم بعضًا، واستتصرنا بالأعداء من دون الله وصرنا وراء كل الأمم، فهل لنا أن نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله حالنا⁽¹⁾.

وقد أخبر المولى عز وجل عن أهمية التربية الإيمانية للنفس والأهل، وبها كان التحذير من عذاب الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

فالواجب على المسلم أن يصلح ويربي نفسه أولًا، وبقي نفسه شر النار وغضب الجبار، ثم يتجه ثانية إلى تكوين أسرته على مبادئ الدين الحنيف، ويغرس في نفوسهم أدب القرآن الكريم. والفضائل الإسلامية العليا، والقيم المثلى، ويقوم بالتوعية والإرشاد الذي يضمن فيه صلاحهم⁽²⁾.

إنَّ منهل التربية العسكرية هي التربية الإسلامية التي تصنع الرجال، وتخلق الأبطال، وتصل بالأمّة إلى كرامة الدنيا وشرف الآخرة، حيث إنها تخلّص الإنسان من الأمراض النفسية والخلقية والاجتماعية، وجُملة هذه الأمراض كما ذُكرت في القرآن هي الضّعف واليأس، والبطر والعُجب، والفخر، والظلم والجحود، والعجلة والطيش والسّفه، والبخل والشح، والجدل والمِرءاء، والشكُّ والجهل،

(1) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ج7/ ص 3911.

(2) التفسير الواضح، محمود حجازي، ج3/ ص 705، ينظر.

والغفلة واللَّد في الخصومة، والغرور والادِّعاء الكاذب، والهلع والجزع والمنع، والتمرُّد والعناد، والطغيان وتجاوز الحدود، وحب المال، والافتتان بالدُّنيا⁽¹⁾.

وإنَّ اهتمامنا بالتربية العسكرية نابغٌ من توجيهات القرآن الكريم، كعنايته بخصلة البطولة والإقدام، وتخليصها من رذيلة الجبن والإحجام، وتذكيرها بسوء عاقبة الجبناء، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثُرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة: 8].

فقد أشارت هذه الآية إلى أن عاقبة الجبناء الابتلاء بذِي قوة لا يعرف للعهد حرمة، ولا يُقيم للعدل وزنًا، ومَن الذي يرتاب في أنَّ الموت في مواطن البطولة أشرف من حياة يغمرها الذل والهوان، ومن الآيات المنبِّهة على أنَّ الجبناء قد فقدوا جانبًا من رجولتهم القتالية، قوله تعالى في توبيخ قوم تأخَّروا عن المحاربين، وقعدوا بين من لم يُخلقن للطعن والضرب، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87].

ومما اتخذته القرآن وسيلة لتربية الشجاعة في النفوس: عقيدة القضاء والقدر، فقال تعالى في الرد على قوم يظنون أن من لا يخرجون إلى القتال تمتدُّ آجالهم: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: 154].

فالإنسان مطالب بالحدز من مواقع الخطر والتهلكة، ولكن الإقدام في الدفاع عن العزة والكرامة لا يعدُّ من قبيل الإلقاء بالنفس في تهلكة، وإنما هو قيام بواجب، فإن قضاء وعاد سالمًا، فقد استحقَّ الحمد، وعرف أنَّ أجله لم يأت بعدُ، وإن أُصيب فقتل، فإنَّما هو أجله المقدور، الذي لا يتأخَّر ساعة ولا يتقدم، قد أدركه في أشرف حالة، هي المسابقة إلى دفع يدٍ عادية عن نفوس بريئة، أو أعراض مصونة، وأموال محترمة⁽²⁾.

إنَّ التربية العسكرية هي تربية جيل متمسك بعقيدته ودينه، يعي مفهوم الجهاد في سبيل الله تعالى، ويعمل بموجبه، مهما كانت مكانته، ويسعى لنشر دينه ويتحمل الأذى في سبيله، ولأنَّ نشر

(1) مظاهر التربية الإسلامية، سيد سابق، الرابط، <https://www.alukah.net/social/0/28420>.

(2) الروح العسكرية في الإسلام، حسين، الرابط، <https://dorar.net/article/1230>

الدين الاسلامي ودعوة الناس، ليس مقصورًا على أحد من أفراد الأمة، إنما المسؤولية تقع على الأمة بكل أفرادها، والواجب أن يعمل كل فرد بقدر طاقته واستطاعته، ولا يستغني أحد مهما كان في المجتمع الإسلامي عن الجهاد في سبيل الله، والتربية العسكرية وحدها لا تتحقق مصادفةً أو عفواً إلا إذا كانت مترتبة بالتربية الإسلامية من خلال مؤسساتها التربوية المختلفة ووسائلها المتعددة وأساليبها المتنوعة، فالأسرة أول مدرسة تربوية للناشئ، وبعانها المسجد؛ فهو من أهم الأماكن العاملة في التربية؛ لأنه ملتقى المسلمين، حيث له الأثر البالغ والكبير في بث الروح الجهادية إلى قلوب المؤمنين⁽¹⁾.

الخلاصة: لا نجد أحد على وجه الأرض يقاتل بأخلاق الرجال كمن آمن بالله واليوم الآخر، فهذه هي التربية، التي دعا لها الإسلام الحنيف، فهم لا يقاتلون من أجل القتال، بل من أجل هدف أسمى وأعز، وهو تعبيد الناس لله رب العالمين، على عكس من يقاتل من أجل دنيا أو مناصب زائلة، أو من أجل البقاء كما يريد، حتى لو كان على حساب أقرب من حوله.

المطلب الثالث: دور المسجد في التربية العسكرية

للمسجد مكانة عظيمة؛ فهو أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع العلم والمعرفة في الإسلام، وهو يحمل خاصية أساسية بالنسبة للمجتمع المسلم، ومصدر الانطلاقة الأولى لدعوة الإسلام ونبع الهداية الربانية، وعلى منبره يعلم الإيمان، وعلى أرضه الطاهرة تعلم الأخلاق، وهو المرتكز الذي تدور حوله قاعدة الجهاد الكبرى، والمحضن الذي يربي الصفوة، والرواد الذين يحملون مشاعل النور والهداية، ويطوفون البلاد يحملون صفة المسجد ورائحته وطهره⁽²⁾.

والمساجد لها الدور الأكبر في إعداد المجاهدين؛ لأنها تصل أهل الأرض بأهل السماء، وتصلهم جميعاً برب الأرض والسماء، وذلك كونها:

1. بيوت الله، تقام فيها الصلوات، وتُنزل فيها الآيات، ويذكر فيها الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ

فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ [الجن: 18].

(1) التربية الجهادية من خلال سورة الأنفال، إدريس، ص 95 بتصرف.

(2) الأثر التربوي للمسجد، السدلان، ص / 7.

2. المساجد من أعظم الأماكن عند الله منزلة، وهو سبحانه الذي فضّل المساجد، ورغّب في بنائها وعمارته، حساً ومعنى، وجعل أصل وظائفها ذكره، وإقام الصلاة له، وهى أهم أركان عبادته بعد الشهادتين، اللتين هما أصل عبادته وذكره كما، قَالَ تَعَالَى: ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ [النور: 37/35].

إن الإسلام دين نظام، والنظام روح العسكرية، وعمودها الفقري، والمسجد هو المكان الأول لفرض النظام والتدريب العملي على تعاليم الإسلام، فما أحرانا أن نعود إلى المسجد، مقرّاً للقيادة، ومكاناً لرفع المعنويات، وموضعاً للتدريب، وموقعاً للسمو الروحي⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: (أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)⁽²⁾.

3. "المسجد بوتقة لا بد منها؛ لتصهر فيها النفوس، وتتجرد من علائق الدنيا، وفارق الرتب والمناصب، وحواجز الكبر والأنانية، وسكرة الشهوات والأهواء، ثم تتلاقى في ساحة العبودية الصادقة لله بصدق وإخلاص، وإن ركعة واحدة يؤديها المسلمون في بيت من بيوت الله، جنباً إلى جنب، تغرس في نفوسهم من حقائق المساواة الإنسانية وموجبات الود والأخوة، ما لا تفعله عشرات من الكتب التي تدعو إلى المساواة وتحدث عن فلسفة الإنسان المثالي، لهذا وغيره بدأ رسول الله إقامة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة بعمارة المسجد، معلناً بذلك أنه الركن الأول والدعامة الأولى لقيام هذا المجتمع، حتى إذا تمت عمارة المسجد وأقبل المسلمون إليه، شد رسول الله ﷺ قلوب المسلمين في ظله"⁽³⁾.

(1) دور المسجد في التربية، الأهدل، ص 45.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد، ج 1/ ص 464، حديث رقم، 671.

(3) الأثر التربوي للمسجد، السدلان، ص 5.

وإن مكانة المسجد في الإسلام، تظهر بجلاء؛ كون الرسول ﷺ لم يستقر به المقام عندما وصل إلى حَيِّ بني عمرو بن عوف في قباء، حتى بدأ ببناء مسجد قباء، وهو أول مسجد بني في المدينة، وأول مسجد بُني لعموم الناس كما ذكر ابن كثير رحمه الله⁽¹⁾.

4. اهتمام الرسول ﷺ ببناء المسجد أول قدمه المدينة، يدل على مكانة المسجد وأهميته في الإسلام، وأنه من ركائز الإسلام التي لا يستغني عنه المسلمون، لكن الذي يدل على مكانة المسجد أكثر، هو كون الرسول ﷺ لم يكتفِ ببنائه للصلاة وغيرها من الشعائر التعبدية فقط، بل للوظائف الأخرى المتعلقة بسياسة الدولة بأكملها، التعبدية وغيرها من أمور الدولة، ليعرّف أمتَه أن الدين شامل لإقامة كل خير في هذه الأرض، وليس خاصًا بنوع معين من أنواع العبادة التي تؤدي لله تعالى، ولو كان المسجد خاصًا بأداء الشعائر الدينية المشهورة عند الناس، ولا يصلح إلا لها، لسارع رسول الله ﷺ إلى تخصيص مكان آخر لإدارة شئون الدولة فيه، ولا يعجزه عن ذلك شيء، ولعل فعل رسول الله ﷺ، ذلك كان بأمر من ربه الذي يعلم أنه سيأتي بعد نبيه ﷺ من أمته من يدعو إلى التفريق بين الدين والدنيا، والعبادة والسياسة، بين ما لله الله وما لقيصر لقيصر، وأراد الله تعالى أن يكتب جوابًا عمليًا في صفحات التاريخ للعلمانيين الذين يريدون أن يعتدوا على حكم الله، فيجعلونه ملكًا لهم ليرضوا أهواءهم، ويستعبدوا عباد الله من دونه؛ لغياب حكمه الذي فرضه على عباده، هذا هو الأساس الأول الذي أقام الرسول ﷺ دولته عليه⁽²⁾.

ومما يدل على وظائف المسجد التربوية، تطبيقه العملي للدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله، ففي صحنه يؤخذ الإيمان، ويؤدّى العمل الصالح، ويُدعى إلى الجهاد في سبيل الله، وفيه تنظم كتائب الجهاد في سبيل الله، ومنه تنطلق جحافل الإيمان تحت راية الجهاد في سبيل الله، وفيه يشاورهم ويلبس سلاحه ويخرج إلى أصحابه من مسجده⁽³⁾.

5. وضع الرسول ﷺ بالبيان العملي رسالة هذه المدرسة الإسلامية، وتبعه من بعده السلف الصالح، فيقول ابن تيمية في ذلك: (كانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه

(1) البداية والنهاية، ابن كثير، ص 12.

(2) زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم، ج 3/ص 63، بتصرف.

(3) البداية والنهاية، ابن كثير، ص 13/12 بتصرف

السياسة والجهاد وعقد الألوية والرايات، وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده، لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم⁽¹⁾.

والأثر التربوي العسكري للمسجد نابع من الإسلام؛ إذ إنَّ المسجد ليس بأحجاره وجدرانه، بل بالعلماء العاملين والمجاهدين المقاتلين، الذين يحافظون على كرامة الأمة وحثَّ الإسلام على الطاعة، والطاعة هي الضبط والنظام، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَأَلْمُومُونَ كُلُّ عَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَّتْ كَيْبُهُ وَكُنْهُ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

﴿البقرة: 285﴾

كما أن صلاة الجماعة وإقامتها في المسجد تدريب عملي على الضبط والنظام، قَالَ

تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: 18]، ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفًا للصلاة يؤدون ركعاتها وسجاداتها في تناسق مدهش وفي نظام ووقار، لا يمكن أن يغفل ما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية عسكرية في نفوس المسلمين، والإسلام دين نظام، والنظام روح العسكرية، وعمودها الفقري، والمسجد هو المكان الأول لفرض النظام والتدريب العملي على تعاليم الإسلام، فما أحرانا أن نعود إلى المسجد، مقررًا للقيادة، ومكانًا لرفع المعنويات، وموضعًا للتدريب، وموقعًا للسمو الروحي.

6. المسجد في التربية العسكرية كان يتمثل بالتدريب على الفروسية والترامي بالسهم، وفي ذلك دعوة من النبي ﷺ للتربية العسكرية، والحثُّ على القتال في سبيل الله، وقد ترك النبي ﷺ بعض الجنود يتدربون على السلاح، فعن أبي هريرة ؓ، قال: (بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرايبهم، دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها)، فقال: (دعهم يا عمر)⁽²⁾.

قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: (واللعب بالحرايب ليس لعبًا مجردًا، بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب، والاستعداد للعدو)⁽³⁾.

(1) مجموع الفتاوي، أحمد بن تيمية، ج35/ص26.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اللهو بالحرايب ونحوها، ج4/ص38، حديث رقم 2901.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، ج1/ص549.

7. في المسجد يتلقى المؤمنون تعاليم الدين الحنيف، وفي المسجد يقوى الإيمان ويشتد، وقد أشاع الإسلام معاني الخلق الكريم، والصبر الجميل، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

8. في المسجد غرس الإسلام روح الشجاعة، والإقدام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ بِدُبْرَةٍ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16].

والتحذير من التولي يوم الزحف، وأمر الإسلام بالثبات في ساحة القتال، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45].

ولكن القول بأن الإسلام يوجب الحوافز المعنوية في المقاتل لا يُغني عن كل قول، وإن دور المسجد لا يقتصر على غرس هذه المنل العليا العسكرية في عقل المسلم الحق ونفسه، بل إن روح المسجد الذي يتسم بذكر الله يجعل القلوب تطمئن، والنفوس تهدأ اتجاهاً إلى العمل الصالح خدمة للإسلام. ودعا الإسلام إلى الجهاد بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15].

9. "المسجد في حقيقة الأمر ملازم للجهاد الإسلامي بمفهومه المتميز به في سبيل الله، لا ينفك عنه في أي حال من الأحوال، سواء على مستوى التربية، أو التدريب، أو الإعداد، وإضفاء الروح المعنوية للشخصية المجاهدة المتميزة، هذا الارتباط وهذه الصلة نستطيع أن نأخذ لها نموذجاً حياً يعيشه المسلم المجاهد يومياً، وهو يعيش بين جدرانهِ ويتربى عليها المسلم، ومن أول إدراكه لحقائق الأشياء والتمييز بينها، وأبرز مثل لهذا النموذج التربوي التدريبي الإعدادي للمستوى الأول، هو إلزام المسلم بالتردد إلى المسجد كل يوم على الأقل خمس مرات لأداء الصلاة المفروضة جماعة مع المسلمين بتلك الطريقة، وذلك الاستعداد الذي تضمّن أعلى معاني التربية والتدريب، والإعداد للشخصية المجاهدة، وأفضل حالة يجب أن يكون عليها المجاهد في حالة القتال ومنازلة الأعداء من النظافة وحسن الهيئة، والهدام، والانضباط التام، والطاعة المنضبطة، ورضّ الصف، وعدم التقدم على القائد، والتأخر عن

(1) الوسيط في رسالة المسجد العسكرية، خطاب، ص 281.

الجنء؁ إلى غير ذلك من المعاني العسكرية القتالية التي يتءرب عليها المسلم كل يوم وليلة إزامًا لا تطوعًا واختيارًا؁ مع ما يكتسبه من الروح المعنوية العالية؁ وروح الفريق المتمثل في التعارف بجميع من يعيش بينهم؁ ويتعاون معهم في هذا الباب"⁽¹⁾.

(1) الءور التربوي للمسءء؁ الواشلي؁ الرابط؁ <http://eyooon.net/view.aspx?id=23089>

الفصل الثاني
دور التربية في تعزيز الأخلاق
العسكرية وأمنها

المبحث الأول

المنهج التربوي للمجاهد في غرس حب الشهادة، وبث الروح المعنوية في القتال.

المطلب الأول: المنهج التربوي لإعداد المجاهدين.

إن المنهج التربوي للمجاهد هو منهج شامل متكامل في إطار واحد، يضم جوانب شخصية وعقلية وروحية، إنها التربية التي تهدف إلى تنشئة المجاهد تنشئةً سليمةً يؤدي فيها رسالته بأمانة وإخلاص؛ لذلك فإن المنهج التربوي الإسلامي للمجاهد يتميز عن غيره بأنه مشتق من خصائص الإسلام، فهو رباني المصدر، ثابت الأسس، موافق للفطرة، شامل شمول الإسلام، معتدل متوازن، مرن التطبيق، متفائل وإيجابي⁽¹⁾.

"والمنهج التربوي الخاص بإعداد المجاهدين الذي يُعنى بتربية المقاتل وبنائه بناءً متكاملًا متوازنًا ومتطورًا، تتبع مبادئه وقيمه من مصدرين أساسيين، يتصف كل واحد منها بالثبات والشمول والاستقرار، وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة، فهما يعززان القيم الروحية في نفس المقاتل، وتكوين اتجاهات مرغوبة لديه، تجعله لا ينظر إلى الخلف ولا يتقهقر ولا يجبن، ويبقى صابرًا ثابتًا؛ ما يزيد صدارة هذا المنهج عن غيره؛ نظرًا لأساليبه التربوية الفريدة التي تستخدم لرفع المعنويات، فتارة تخاطب العقل ترغيبًا، وتارة أخرى زجرًا"⁽²⁾.

ومن خلال آيات القرآن الكريم، فلا بدّ من بناء المجاهد وفق منهج تربوي سليم يتميز بوضوح الهدف الذي يجاهد الإنسان لتحقيقه، وهو هدف التربية الإسلامية، وترويض النفس تبعًا لذلك الهدف، ومن أهم المناهج التربوية لإعداد المجاهدين، القرآن الكريم: الذي يعدّ الغذاء الأول للروح المعنوية لدى المقاتل في سبيل الله، فالقرآن الكريم ربيع قلوب المؤمنين، وقرّة أعينهم، وغذاء أرواحهم، ومصدر إخلاصهم وثباتهم في ميادين القتال وعند لقاء العدو.

(1) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، عبد الرحمن نحلاوي، ص 81 بتصرف.

(2) رسالة ماجستير بعنوان، منهج تربية المجاهدين في المدرسة النبوية، محمد سميح عبيد الله، ص 37.

ولقد أرسى القرآن الكريم أسس المناهج التربوية لإعداد المجاهدين عسكرياً، وهي:

1. تعزيز جانب الإخلاص والولاء لله في نفوس المقاتلين

وهو توجيههم نحو الهدف الأسمى، الذي يُعنى بالانتماء والولاء لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:16]، لقد رى الله المجاهدين على مبدأ الإخلاص والانتماء له، باختبار ولائهم، فشرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان، وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين⁽¹⁾، والوليعة: هي الخيانة، أو البطانة، أو الدخول في ولاية المشركين⁽²⁾.

ومن مقتضيات الولاء لله والرسول، تربية المجاهدين على الاهتمام بالأمة الإسلامية وتفضيل الأخوة في الله، على أي مصلحة أخرى، والعمل على نصرته المستضعفين والمضطهدين من المسلمين في كل بقاع الأرض الذين يشاركونا الولاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]

هذه الآية توجه المجاهدين نحو التربية والولاء العام لله، وتقديم حب الله والجهاد على كل حب، يقول السعدي: (إن كان آباؤكم ومثلهم الأمهات وأبناؤكم وإخوانكم في النسب والعشيرة، وأزواجكم وعشيرتكم أي قريباتكم عموماً وأموال اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، وقد خصها بالذكر؛ لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصاً عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كد، وتجارة تخشون رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب، ومسكن ترضونها من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فأنتم فسقة ظلمة، فانتظروا ما يحل بكم من العقاب حتى يأتي الله بأمره الذي لا مرد له، والله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئاً من المذكورات)⁽³⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 331.

(2) تفسير القرآن، ابن عبد السلام، ج2/ ص 10.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 332.

2. التربية على الصبر والثبات عند لقاء العدو

إن النفس البشرية تبحث عن طيب العيش، وتتعلق بالملذات والخلود إلى الراحة، أما الخروج إلى القتال يقتضي ترك الملذات وتوطين النفس على المشقات، وتعريضها للموت في سبيل الله، إيماناً بما وعد الله من أجر عظيم للمجاهدين، فجاء القرآن الكريم يروض ويربي في نفوس المؤمنين الثبات عند لقاء عدوهم⁽¹⁾.

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: 45]. فالآية تدعو إلى الثبات المقترن بذكر الله، وفي تفسير الذكر قولان:

القول الأول: أن يكونوا بقلوبهم وبألسنتهم ذاكرين لله؛ لأن الله أمر أوليائه بذكره في أشد أحوالهم، تنبيهاً على أن الإنسان لا يجوز أن يُخلي قلبه ولسانه عن ذكره، ولو أن رجلاً أقبل من المغرب إلى المشرق ينفق الأموال سخاءً، والآخر من المشرق إلى المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله، كان الذاكر لله أعظم أجراً.

القول الثاني: أن المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر والظفر؛ لأن ذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى⁽²⁾.

أما الصبر في منهج القرآن، ليس صبر المتواكلين المتخاذلين، إنما الصبر الذي يمثل الرضى بقدر الله؛ لأن ما عند الله خير وأعظم أجراً، فالمؤمن يصبر على البلاء وعلى تبعات التغيير إلى ما هو أفضل، ولا يسأم من البذل في ساحة المسؤولية، ولو كان الثمن النفس والمال⁽³⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [إل عمران: 142].

في هذه الآية يخاطب المولى تعالى معشر أصحاب النبي ﷺ، أظننتم أن تدخلوا الجنة وتنالوا كرامة ربحكم، وشرف المنازل عنده، ولما يتبين لعبادي المؤمنين، المجاهد منكم في سبيل الله، على ما أمره به، ويعلم الصابرين عند البأس على ما ينالهم في ذات الله من جرح وألم ومكروه⁽⁴⁾.

(1) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، نحلاوي، ص/188 بتصرف.

(2) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج 15/ ص 489.

(3) معالم قرآنية في البناء، الصالح، ص 44.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 7/ ص 246.

3. الحياة الدينية دار محنة وابتلاء

هذا المعنى يمثل جانباً من جوانب التربية في العقيدة الإسلامية، وعليه يجب أن يوطن المرء حياته لله؛ لأنه تعالى خلق الموت والحياة ليختبر جميع البشر ويبلوهم أحسن عملاً، وعلى هذا فإن الحياة فترة مرحلية لا يفضلها المجاهد على الموت في مرضاة ربه⁽¹⁾.

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: 2-3].

يقول صاحب الظلال: (الله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكتوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر؛ فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحداً إلا بما استعلن من أمره، وبما حققه فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه، وسنة الله في ابتلاء الذين يؤمنون وتعريضهم للفتنة حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين، ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان، وهذه هي الصورة البارزة للفتنة، المعهودة في الذهن حين تُذكر الفتنة، ولكنها ليست أعنف صور الفتنة⁽²⁾).

فالتربية الإسلامية بدورها تضع منهجاً لإعداد مستمر يجعل حياة الناشئ كلها جهاداً، كلما دعا داعي الحرب، وجدت الأمة عندها جيشاً منظماً مُتمثلاً أهدافه، عارفاً بفنون القتال، يُقبل على الموت بمحض إرادته ورغبته، ولا يتحقق ذلك المنهج، ولا ذلك الإعداد، إلا إذا تربي الناشئ على أن الحياة وجدت فعلاً لتكون جهاداً مستمراً منبثقاً من عقيدته وإيمانه الصادق بالله⁽³⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ الطَّغُوتِ فَقَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء: 76].

(1) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، نحلاوي، ص، 183.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج 5/ ص 2720.

(3) المرجع السابق، ص، 183/182، بتصرف.

أما الجانب الذي يمثل العقيدة الفاسدة التي هي في سبيل الطاغوت، للذي يقاتل بدون عقيدة أو هدف، أنه لما اختلفت كلمة قريش في شأن حرب بدر، رأى أبو جهل المضي للخروج إلى المسلمين، وصاح في الناس: (والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم عليها ثلاثًا، نحرر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها فامضوا)⁽¹⁾.

4. التربية على مجاهدة النفس والشيطان

إنَّ تربية المجاهد على تهذيب نوازعه ورغباته، ومدافعة وساوس الشياطين من أهم الأمور التي تعين على الطاعة والجهاد؛ لأنه يكون في حالة حرب ضروس مع نفسه والشيطان، فإذا خرج منها المرء منتصرًا، سيكون ما بعد ذلك أسهل وأيسر.

وتكمن أهمية الإعداد الإيماني للمجاهدين حتى يلقوا عدوهم وهم مستعدون معنويًا وإيمانيًا لذلك؛ لأن الأصل في الإعداد الذي يسبق جهاد الكفار، هو جهاد النفس والشيطان، والمعركة معها متواصلة منذ بلوغ المسلم سنَّ التكليف إلى أن يوافيه الأجل، فهو جهاد لا يتقيد بوقت، بل مطلوب قبل وأثناء وبعد المعركة؛ لأن النصر على الأعداء مرهون بالانتصار على النفس والشيطان⁽²⁾.

وفي الحديث الذي يرويه ابن مسعود رضى الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، فقال: "هذا سبيل الله"، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: (وهذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)⁽³⁾، ثم تلا: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

وصراط الله هي الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه، ووضَّحه لعباده، الموصلة إليه، وإلى دار كرامته، فاتبعوه لتتالوا الفوز والفلاح، وتدرخوا الآمال والأفراح، ولا تتبعوا السبل، أي الطرق المخالفة للدين، فتفرق بكم عن سبيله، أي تضلُّكم عنه وتفرِّقكم يمينًا وشمالًا، فإذا ضللتكم عن الصراط المستقيم، فليس لكم إلا الطرق التي توصل إلى الجحيم، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون، أي: إنكم إذا

(1) المجموع شرح المذهب، النووي، ص 170.

(2) التربية الجهادية في ضوء القرآن والسنة، الجليل، ص 70.

(3) حسن صحيح: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، ج 1/ ص 180، حديث رقم، 6.

قمتم بما بيّنه الله لكم علمًا وعملاً، أصبحتم من المتقين، وعباد الله المفلحين، وتوحيد الصراط وإضافته إلى الله؛ لأنه سبيل واحد موصل إليه، والله هو المعين للسالكين على سلوكه⁽¹⁾.

إنّ التربية على محبة الله، واجتناب سخطه، تورث التقوى في القلب، والتقوى تورث ثمارًا عديدة كتفريج الكرب، وتيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: 2]، ومنها تأليف القلوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۖ ﴿١٦﴾﴾ [مريم: 96]. فكلما كثر في المجاهدين من يتصف بهذه الصفات، والاستعداد بالأعمال الصالحة، وتجنب هوى النفس، عندها سيكون نصر الله حليف المؤمنين⁽²⁾.

فالمسلمون اليوم يُقاسون من الذلة والمهانة وتسلط الأعداء الشيء العظيم، وما نتج ذلك إلا من خلال الإعراض عن الدين وحب الدنيا وترك الجهاد في سبيل الله، فأصبح المسلمون يواجهون غزواً فكرياً، واحتلالاً عسكرياً في عقر دارهم، والذي ساعد الأعداء هم المنافقون من المسلمين الذين تربوا على يد أعداء الله.

المطلب الثاني: غرس الشهادة في نفوس المجاهدين.

"المجاهدون في سبيل الله، هم جند الله الذين يُقيم بهم دينه، ويدفع بهم بأس أعدائه، ويحفظ بهم بيضة الإسلام، ويحمي بهم حوزة الدين، وهم الذين يقاتلون أعداء الله؛ ليكون الدين كله الله، وتكون كلمة الله هي العليا، وقد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه وإعلاء كلمته ودفع أعدائه، وهم شركاء لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التي يعملونها، وإن باتوا في ديارهم، ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم، فإنهم كانوا هم السبب فيه، والشارع قد نزل المتسبب منزلة الفاعل التام في الأجر والوزر، ولهذا كان الداعي إلى الهدى والداعي إلى الضلال لكل منهما بتسببه مثل أجر من تبعه، وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عمّا لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات"⁽³⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج 1/ ص 280.

(2) التربية الجهادية في ضوء القرآن والسنة، الجليل، ص 77.

(3) فضل الجهاد في سبيل الله، ابن القيم، ص 23.

ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرٍ مُّجْتَمِعٍ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف: 10]، بدأت الآية بالنداء والاستفهام للتشويق وجذب الانتباه لأمرٍ بالغٍ في العظم لما بعده، وهي التجارة الرباحة مع الله عز شأنه المرتبط بالجهاد في سبيله، حيث إن النصر من عند الله مضمون، والموت منهل لا بد من وروده سواء خاض الإنسان الصعاب أو احتسب في القصور المشيدة⁽¹⁾.

وعندها تشوقت النفوس إلى تلك التجارة الرباحة التي دل عليها رب العالمين، قال تعالى: ﴿تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: 11].

أي: اثبتوا على إيمانكم، وأخلصوا لله العمل، وجاهدوا بالأنفس والأموال في سبيل الله بنشر دينه وإعلاء كلمته، وجهاد العدو في ميدان القتال لنصرة الدين، وجهاد للنفس بقهرها ومنعها عن شهواتها التي ترددها، وجهاد فيما بين المرء والدنيا بألا يتكالب على جمع حطامها، وألا ينفق المال إلا فيما تجيزه الشرائع، وتقره العقول السليمة، فيكون هذا الإيمان والجهاد خيراً لكم من كل شيء في الدنيا من نفس ومال وولد، إن كنتم من أهل الإدراك والعلم بوجوه المنافع وفهم المقاصد⁽²⁾.

وإن من عظيم ما يدفع النفس للبيع، ويغرس فيها حب الشهادة، ويرغبها في الآخرة هو أن الذي يشتري تلك الأنفس هو الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثِهِمْ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: 111].

وقد رغب الله المؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته بعد بذلهم أنفسهم في سبيله تعالى، وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء، فكانت أنفس المؤمنين وأموالهم الثمن الذي به يحصلون على رضى الله والجنة⁽³⁾.

ومن عظيم ما يحفز النفس على الموت في سبيل الله، وعدُّ الله بالحياة الأبدية الخالدة بعد الشهادة، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٤﴾﴾ فَرِحِينَ بِمَا

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي ج20/ ص33، بتصرف.

(2) تفسير المراغي، المراغي، ص 28/ 90.

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، العمادي محمد بن مصطفى، المعروف بأبي السعود ج4/ ص106.

ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَكَسَّبَتْ بَشْرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
[آل عمران: 169-170].

جاء في أسباب نزول هذه الآية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ،
"لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها
وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من
يبلغ إخواننا عنا أنا في الجنة نرزق، لئلا يزهدهوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب"، فقال الله عز وجل:
"أنا أبلغهم عنكم"، ما رأيتم من النعمة والفرحة والبشارة والوعد الذي تحقق، فأنزل الله الآية⁽¹⁾، ﴿ وَلَا
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾.

ونزل في قتلى بدر من المسلمين، قرآن كريم ليردّ على من كانوا يقولون للرجل الذي يُقتل في
سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها، فأنزل الله هذه الآية⁽²⁾، ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ
يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: 154].

فقد نهى الله سبحانه القول لمن يُقتل في سبيله ميت، فإنّ الميت من خلقي من سلبته حياته
وأعدمته حواسه، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيمًا، فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي، أحياء
عندي، في حياة ونعيم، وعيش هنيء، ورزق سني، وأن أرواح الشهداء تعارف في صور طير بيض
يأكلن من ثمار الجنة، وأن مساكنهم سدرة المنتهى، وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال من
الخير: من قتل في سبيل الله منهم صار حيًّا مرزوقًا، ومن غلب آتاه الله أجرًا عظيمًا، ومن مات رزقه
الله رزقًا حسنًا⁽³⁾.

وجاءت السنّة النبوية حافلة بالأحاديث الشريفة التي تُدلل على فضل الجهاد وغرس حب
الشهادة والقتل في سبيل الله، فعن أبي هريرة ؓ، قال: سمعت النبي: (والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا
من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو

(1) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ج1/ ص 129.

(2) المرجع السابق، ج1/ ص 44.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج3/ ص 214.

ولما اشتدَّ القتال، وقلَّ الثبات بين الصحابة يوم أُحد، بدأ النبي ﷺ تحفيز الرجال على الشهادة والدفاع عن بيضة الإسلام، فقال النبي: من رجل يشري لنا نفسه؟ فقام زياد بن السكن⁽¹⁾، في نفر خمسة من الأنصار، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً ثم رجلاً، يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين، فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: أدنوه مني، فأدنوه منه، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ⁽²⁾ فقال الرسول: (ما أنصفنا أصحابنا)⁽³⁾.

فقد جاء عن أنس بن مالك، أنّ رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه⁽⁴⁾، قال: (من يردهم عنا وله الجنة)، أو (هو رفيقي في الجنة)، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضاً، فقال: (من يردهم عنا وله الجنة)، أو (هو رفيقي في الجنة)، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: (ما أنصفنا أصحابنا)⁽⁵⁾.

الخلاصة: من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المذكورة، يجد الباحث أنها مليئة بغرس حب الجهاد والشهادة في سبيل الله، ولا أدلّ من ذلك أنه سبحانه عرض السلعة الجنة والمغفرة للمجاهدين الذين يدافعون عن الإسلام والمسلمين، فيدفعون ضريبة ذلك النفس والدماء رخيصة من أجل مولاهم، فيقتلون ويقتلون في ساحات الوغى، عندها سيجدون الحياة الأبدية المنعمة المكرمة في حواصل طير خضر، وتحت ظل عرش الرحمن، عندها سيتذوق المجاهد حلاوة ما كان عليه في الدنيا.

(1) زياد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي يجتمع هو وسعد بن معاذ في امرئ القيس، قتل يوم أحد شهيداً، وكان من الخمسة الذين ثبتوا حول النبي ﷺ يوم أحد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج2/ ص 335.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، ج2/ ص 81، بتصرف.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ج7/ ص 418.

(4) رهقوه، بكسر الهاء أي غشوه وقربوا منه، وأرهقه أي غشبه وأدركه، وقيل لا يستعمل ذلك إلا في المكروه، ج12/ ص 147.

(5) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ج3/ ص 1356، حديث رقم، 1789.

المطلب الثالث: التعبئة المعنوية لتحقيق النصر

لقد حرص الإسلام على انتزاع عوامل الضعف من نفوس المسلمين حتى لا تذهب ريحهم أو تضعف شوكتهم، وعوامل الضعف قد تأتي بعد النصر غرورًا، كما تأتي بعد الهزيمة يأسًا وقنوطًا، وكلا الأمرين حاربه الإسلام الحنيف، فلقد انتصر المسلمون وهم قلة في بدر على عدوهم الذي يفوقهم عددًا وعدة، ومثل هذا النصر قد يدفعهم إلى الغرور والاستهتار بعدوهم، وهذا ما أراد الله أن ينتزعه من قلوبهم، فذكرهم بالحقيقة الواقعة التي قد تغيب عن عقولهم بأن النصر الذي أحرزوه هو من الله تعالى، لا من أنفسهم⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال:17].

ولئن كان الله سبحانه قد نزع الغرور من نفوس عباده المجاهدين، فقد نزع رسول الله ﷺ اليأس والقنوط من نفوسهم أيضًا؛ إيمانًا منه بأثر الإعداد المعنوي والنفسي في تقرير مصير الحروب، حيث تعدُّ الروح المعنوية العالية من أهم عوامل النصر في الحرب؛ إذ هي الباعث الأساسي لإرادة القتال، وهي مستودع القوة والقدرة على مواجهة مشاق المعركة وأهوالها عليها، والتصميم على إحراز النصر على العدو، مهما كانت التضحيات⁽²⁾.

إن من أهم العوامل التي تعمل على نجاح القتال في سبيل الله، وتكون سببًا في الانتصار هي العوامل المعنوية، والتي تشمل صفات الجنود والقادة المتمثلة بأخلاقهم، وحُسن نظامهم، وشجاعتهم، واعتقادهم الراسخ بحقيقة الغرض الذي يحاربون من أجله⁽³⁾.

ولإكمال الإعداد المعنوي للجهاد، لا بد من مجاهدة النفس والشيطان والمنافقين، فأول خطوة جهاد النفس بحملها على منهاج ربها، ويكون بتعليمها دين الإسلام بالالتزام بما تعلمت من قيم السماء والدعوة لدين الحق لتزكو النفوس إلى بارئها⁽⁴⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:7-10].

(1) سورة التوبة دراسة عقائدية، عبد العزيز، ص 63.

(2) المرجع السابق، ص 63.

(3) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، فرج، 222.

(4) سورة التوبة دراسة عقائدية، العزيز، ص 64.

فقد حرص أصحاب الرسول ﷺ على هذا المبدأ، وأوصوا به قاداتهم، فهذا عمر يوصي سعد بن وقاص حينما أرسله لمحاربة الفرس، فقال: يا سعدُ "سعد بني وهيب"، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيء بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواءً، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ منذ بعث إلى أن فارقتنا، فالزمه فإنه الأمر، وهذه عظمتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها، حبط عملك وكنت من الخاسرين⁽¹⁾.

لقد حدث أن أصيب المسلمون يوم أحد، فازدادت معنويات العدو حتى سارع شيخهم أبو سفيان، وأشرف على الجبل فنادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه، ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة؛ لعلمه وعلم قومه أن قوام الإسلام بهم، فقال: أما هؤلاء، فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله لك ما يسوئك، فقال: قد كان في القوم مثلة لم أمر بها، ولم تسؤني، ثم قال: أعل هبل، فقال النبي ﷺ: ألا تجيبونه؟ فقالوا: ما نقول؟ قال: "قولوا: الله أعلى وأجل" ثم قال: لنا العزى، ولا عزى لكم. قال: ألا تجيبونه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: "الله مولانا ولا مولى لكم"⁽²⁾.

فَبَعْدُ أُحُدٌ لَمْ يَتْرِكْ اللهُ عِبَادَهُ بِحَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ مَتَعَبَةٍ ضَعِيفَةٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَخَاطِبُهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٣) إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿[آل عمران: 139-140].

ولكي يرفع رسول الله ﷺ معنويات أصحابه، وحتى لا يدب الضعف والوهن في نفوس المسلمين، ويخرجهم من الحالة النفسية التي أصابتهم في أحد، هم بمطاردة جيش الكفر، وهم مثقلون بالجراح في يوم الغد من أحد، فما كان قولهم إلا سمعنا وأطعنا، فتحرك جيش المسلمين، حتى إذا بلغ

(1) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ج2/ ص 366.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ج3/ ص180.

حمراء الأسد عسكر فيها، فما برح المسلمون حتى تراجعت قريش ودب الخوف فيهم، فعاد المسلمون إلى المدينة⁽¹⁾.

وليس أدل على حرص الإسلام الحنيف على تقوية الروح المعنوية في نفوس المؤمنين من هذه الآيات البينات التي نزلت على قلب النبي ﷺ بين الحين والآخر؛ لتثبت الحماسة في نفوس جيش المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ أُمَّاتِكَةَ أَيُّ مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

فقد توخَّى الإسلام تقوية الروح المعنوية، وما إمدادات المجاهدين بالملائكة، إلا لتطمئن قلوب المقاتلين، أي لتقوية معنوياتهم على أصح وأوثق أقوال المفسرين⁽²⁾.

"إن القتال في الحقيقة يقع بين إرادتين، إرادة قوية مصممة على القتال والاستمرار حتى النهاية، وإرادة ضعيفة منهزمة منهارة لا تقوى على الثبات منذ الصدمة الأولى، ولا تقوى على الاستمرار في القتال، فقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه على أن يكونوا أصحاب إرادة قوية راسخة ثابتة ثبات الشم الرواسي، فيملاً قلوبهم شجاعةً وجرأةً وأملاً في النصر على الأعداء"⁽³⁾.

وهذا المنهج التعبوي المعنوي يعتمد على كتاب الله تبارك وتعالى، فقد حدثنا القرآن أن قتال الأعداء فرض، وعلينا أن نقوم بهذا الفرض حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

ولقد حدثنا القرآن عن طبيعة عداوة المشركين واليهود والنصارى، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكَ ذَلِكَ بِأَنْ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 82].

(1) الرحيق المختوم، المباركفوري، ج1/ ص 224، بتصرف.

(2) الرسول القائد، خطاب، 25.

(3) المدرسة العسكرية النبوية، أبو فارس، ص 140.

ويذكر القرآن الكريم المؤمنين بخيانة ومكر أعدائهم، حتى يحشد نفوس المسلمين على قتالهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ لَبَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرُوا سَاءَ لِمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ وَمَا يَنْزِلُ فِيهِ الْقُرْآنُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 13].

ويؤكد القرآن أنَّ النصر للمؤمنين المجاهدين الصابرين، والهزيمة والخذلان للكافرين، وهذا يرفع من الروح المعنوية، فعندما يعلم المقاتل أنه منتصر، فهذا يبعث في نفسه الأمل والثبات، ومن التعبئة المعنوية ترغيب المقاتل في سبيل الله بالثبات والقتال والصبر؛ لما سيحققه من فوز عظيم ومثوبة جلييلة⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةِ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

بل إن المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية المختلفة، وتآمر الأعداء وتكالبهم لكي يستأصلوا شأفة المسلمين، إلا إيماناً واستعداداً للبدل والتضحية والتوكل على الله، متيقنين أن الله كافئهم⁽²⁾، كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه: قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَظْتُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

وقد كان النبي ﷺ يشجع أصحابه قبل القتال وأثناءه، ويرفع من معنوياتهم حتى لا يكثرثوا بتفوق المشركين المحاربين بالعدد عليهم، ولم تكن معنويات الذين مارسوا الحرب وعرفوها من المسلمين عالية فحسب، إنما كانت معنويات الأحداث الصغار الذين لم يمارسوا حرباً وقاتلاً عالية أيضاً⁽³⁾.

فعن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده، قال: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بـغلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرت أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم

(1) المدرسة العسكرية النبوية، أبو فارس، ص 143.

(2) النظرية الإسلامية في الحرب النفسية، محفوظ، ص 38، بتصرف.

(3) الرسول القائد، خطاب، ص 83.

انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه فقال: أيكما قتله؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: كلاكما قتله⁽¹⁾.

الخلاصة: إنَّ هذه الروح المعنوية العالية التي كان يتمتع بها المجاهدون هي التي جعلت خالد بن الوليد يخاطب قادة الفرس من الأمراء والوزراء، ويدعوهم إلى الله وإلى الدخول في دين الإسلام؛ ليثبت ملكهم عليهم، وإلا فليدفعوا الجزية، وإلا فليعلموا وليستعدوا لقدمه عليهم بقوم يحبون الموت كما يحبون هم الحياة، فجعلوا يعجبون من جرأة خالد وشجاعته، ويسخرون من ذلك لحماقتهم.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فرض الخمس، من لم يخمس الأسلاب، ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس، وحكم الإمام فيه، ج4/ص91، حيث رقم، 3141.

المبحث الثاني

الشورى العسكرية مشروعيتها وأهميتها وتطبيقاتها

المطلب الأول: تعريف الشورى ومشروعيتها

أولاً: تعريف الشورى

1. تعريف الشورى في اللغة

- (شور) الشين والواو والراء أصلان مطردان، الأول منهما إبداء شيء وإظهاره وعرضه، والآخر أخذ شيء⁽¹⁾.
- الأصل الأول: إبداء شيء وإظهاره وعرضه.
- شرت الدابة شوراً: إذا عرضتها على البيع⁽²⁾.
- هو المكان الذي تعرض فيه الدواب للبيع هو المشوار، ويقال: إياك والخطب، فإنها مشوار كثير العثار⁽³⁾.
- واستشار أمره، إذا تبين واستنار⁽⁴⁾.
- والشورة بالضم: الجمال والحسن، كأنه من الشور عرض الشيء وإظهاره؛ ويقال لها أيضاً: الشارة، وهي الهيئة⁽⁵⁾.
- الأصل الثاني: أخذ شيء.
- ومنه قولهم: شار العسل يشوره شوراً وشياراً وشياراً ومشاراً ومشاره، أي: استخرجه⁽⁶⁾.
- ومن هذا الباب شاورت فلاناً في أمري، قال: وهو مشتق من شور العسل، فكأن المستشار يأخذ الرأي من غيره⁽⁷⁾.
- واستشاره: طلب منه المشورة⁽⁸⁾.

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3/ ص 226.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، ج2/ ص704.

(3) مختار الصحاح، الرازي، ص، 170.

(4) لسان العرب، ابن منظور، ج4/ ص 435.

(5) المصدر السابق، ج4/ ص 435.

(6) المحكم والمحيط الأعظم، المرسي، ج8/ ص 117.

(7) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3/ ص227.

(8) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص، 421.

يتضح أن المعنى اللغوي للشورى حول الاستخراج والإظهار.

2. تعريف الشورى في الاصطلاح.

- طلب الرأي ممن هو أهل له، أو هي استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها⁽¹⁾.
 - استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق⁽²⁾.
 - المراجعة في الآراء؛ ليتبين الصواب منها⁽³⁾.
 - استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض⁽⁴⁾.
- تعريف الباحث: هي عرض أمر على أصحاب الرأي لاستخراج الصواب والأنفع.

3. تعريف الشورى العسكرية:

- عرض المعضلة العسكرية _إن وجدت_ قبل نشوب القتال، وبعد نشوبه، وبعد توقف القتال بصورة وقتية أو دائمة، على المعروفين بتجربتهم وعلمهم ورجاحة عقولهم ونضوجهم، وسماع آراء هؤلاء، واستخلاص الحل المناسب لتلك المعضلة من تلك الآراء المعروضة، والقرار على وضع الحل المناسب في حين التنفيذ⁽⁵⁾.
- هي القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة من أصحاب الخبرة والرأي، عند عرض مشكلة تتعلق بشئون القتال؛ لتفادي مشكلة أكبر.

ثانياً: مشروعية الشورى.

تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نصوصاً صريحة تدل على أن الشورى من أبرز دعائم الحكم الإسلامي، فقد جاد القرآن الكريم بتلك الآيات التي تحدث عن المشروعية.

أ. القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ فِي الْأَمْرِ فَاذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

(1) الشورى في الإسلام، ابتهاج غبور، ص 6.

(2) الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي، عبد الرحمن عبد الخالق، ص 5.

(3) تفسير المراغي، المراغي، ج 25/ ص 50.

(4) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص 470.

(5) الشورى العسكرية في عهد الرسالة، خطاب، ص 6.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى: 38).

ويستنبط من هذه الآيات أن⁽¹⁾:

- الإسلام هو الدين السماوي الذي حافظ على الشورى كواحدة من تعاليمه ومبدأ من مبادئه.
- الشورى في الإسلام جاءت مرتبطة بالعبادة، وقرنت بالصلاة، فقال: ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾.

- تخصيص سورة في القرآن تسمى الشورى هو نوع من التأكيد المقصود من الله تعالى لإظهار أهمية هذا المبدأ، وخطره في حياة وكيان الأمة الإسلامية.

-وقد أثار الحق سبحانه وتعالى في العقول والقلوب استحسان الشورى في ثنايا عرضه قصة ملكة اليمن مع سليمان عليه السلام وذلك في طور مبكر من أطوار الدعوة الإسلامية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَهِي لِكَبِيرٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢٩) إِنَّهُ، مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٣٠ ﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنْتُنَّ مُسْلِمِينَ ﴿ ٣١ ﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿ ٣٢ ﴾ [النمل: 29 - 32].

توضح الآيات الكريمات أن البشر عرفوا الشورى كما أفاد القرآن العظيم في بواكير أطوار التاريخ؛ إذ أخبر أن الملكة بلقيس استشارت قومها في شأن سليمان، وما طلبه منها من الإتيان إليه والإيمان بالله تعالى⁽²⁾.

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ﴾، خاطبت الملكة أشرف قومها، أن أشيروا علي بما عندكم من الرأي والتدبير فيما عليكم، وما قد نزل بنا، فاستشارتهم في أمرها⁽³⁾.

وقد أعجب القرطبي بهذه المشاورة، فقال: (وهذه محاورة حسنة من الجميع)، ثم قال: (في هذه الآية دليل على صحة المشاورة)⁽⁴⁾.

ب. السنة النبوية:

- عن أبي مسعود الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: (المستشار مؤتمن)⁽⁵⁾.

(1) الحرية السياسية في الإسلام، د. أحمد الفنجري، ص 214.

(2) الشورى في ضوء القرآن الكريم والسنة، حسن عز، ص 44.

(3) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج5/ ص 2640.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13/ ص 194.

(5) صحيح: مسند الدارمي، الدارمي، كتاب السير، باب المستشار مؤتمن، ج3/ ص 1591، حديث رقم، 2493.

المطلب الثاني: أهمية الشورى.

ترجع أهمية الشورى إلى كون غيابها هو السبب الأساسي لجميع مشاكلنا، وسبب تحول المسلمين عن مركز الصدارة والقيادة بعد أن كانت سائدةً العالم حضارةً ورقياً.

فالشورى دعامةٌ من دعامات الأمة الإسلامية، وعليها مدار انتظامها وحُسن سلوكها وسعادتها، فأعدل الحكومات الحكومية الشورية، والمشاورة واجبة كونها ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية، ولا تستغني عنها أمة من الأمم، ولا جماعة من الجماعات، فهي سبيل معرفة الرأي الصواب؛ لأن كل مستشار يظهر رأيه ووجهة هذا الرأي ومدى فائدته، ويعرض هذه الآراء ومقارنتها ومناقشتها يظهر الصواب غالباً، وبهذا تستقيم الأمور وتحقق مصالح الأمة، فاختلاف الآراء وتدافعها يؤدي إلى نفع الأمة ودرء المفساد عنها، فالآراء الصائبة غالباً نتيجة احتكاك الآراء المختلفة مع بعضها، وقد بين الله تعالى أثر اختلاف الآراء⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251].

وترجع الأهمية للشورى لأنها:

1. ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وهي خيرو بركة، وما تشاور قوم إلا هدوا⁽²⁾.
2. تحرص على تطبيق الشورى؛ ما يؤدي إلى ترابط أفراد الأمة الإسلامية فيما بينها⁽³⁾.
3. أهمية الشورى تظهر في مختلف مجالات المجتمع العلمية والثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية كما يأتي⁽⁴⁾:

أ. في المجال الفكري والثقافي: تساعد على إيجاد مناخ حر يزدهر فيه الأدب والفكر ويتقدم العلم، وذلك عن طريق إزالة جميع المعوقات التي تحول دون انطلاق ملكة الإبداع والتطوير والتجديد.

ب. في المجال الاجتماعي: تظهر أهمية الشورى في زوال كثير من الأمراض والانحرافات الاجتماعية، والمتمثلة في انتشار الرشوة، وشيوع الحقد، وعدم الإخلاص في العمل، وضعف روح الولاء.

(1) الشورى في الإسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، ج/3 ص 12.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج/16 ص 36.

(3) الشورى في ضوء القرآن الكريم والسنة، حسن عز، ص، 40.

(4) الشورى بين التأثير والتأثر، الأنصاري، ص، 12.

ت. في المجال السياسي: الشورى المتمثلة في المشاركة العامة تساعد جهاز الحكم في إيجاد الحلول الصحيحة لمعالجة مختلف القضايا السياسية.

4. تقوم بإرساء دعائم الحق والعدل في المجتمع الإسلامي والإنساني، ومن ذلك أن الله تعالى جعل الشورى عماد الحكم الإسلامي؛ إذ أمر الله بها خاتم المرسلين، مع استغنائه عنها بالوحي الإلهي⁽¹⁾.

5. في المشاورة إعلام المستشار بأنه ممن يُستعان به، وذلك يؤدي إلى تقارب وجهات النظر، وإلى التعاون على البر والتقوى، والابتعاد عن الخصومات.

6. الشورى تؤدي إلى مجانية الانفراد بالتصرف، وعدم الاستبداد بالرأي، وفي ذلك نجاة الأمة من التعسف، ومن تبعة الخنوع لرأي لفرء، والذي يؤدي إلى الوقوع في الأخطاء التي تؤدي إلى المهالك.

7. في المشاورة نجاة الأمة من طغيان الرياء وروح التملق بين الرؤساء والرعية، ابتغاء المنافع الذاتية.

وقال بعض الحكماء: ما استثنى الصواب بمثل المشاورة، ولا حُصنتِ النعم بمثل المواساة، ولا اكتسب البغضاء بمثل الكبر⁽²⁾.

المطلب الثالث: تطبيقات عسكرية للشورى.

تعدُّ الشورى من أهم القواعد الأساسية التي تقوم عليها حياة الأمة الإسلامية، حيث وجَّه الله عباده إليها، وجعل الالتزام بها علامة من علامات الإيمان، وقد جعل الله الشورى منهجًا لكل راع وقائد، إذا طبَّق بأسسه الإنسانية، فتتألف الرعية مع راعيها، وتتجمع قلوب الجند حول قيادتها، وفيه إرضاء لله تعالى، وفيه الخير والمصلحة، وقد كان الرسول المعلم قدوةً لأصحابه وللأمة في تطبيق هذا المبدأ⁽³⁾.

وهذه بعض النماذج النبوية للشورى العسكرية، وكذلك نماذج لكبار صحابة رسول الله ﷺ:

(1) الشورى في ضوء القرآن الكريم والسنة، عز، ص 39.

(2) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج 1/ ص 340.

(3) السيرة النبوية، ابن كثير، ج 2/ ض 392.

1. غزوة بدر:

• مسيرة الاقتراب من بئر بدر:

خرج رسول الله ﷺ من المدينة لثمانٍ خلون من رمضان من السنة الثانية للهجرة⁽¹⁾، على رأس أصحابه قاصداً بدر، حتى إذا كان دون بدر، أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد⁽²⁾، لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له به⁽³⁾.

ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس، وإنما يريد الأَنْصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأَنْصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ: قال له سعد بن معاذ⁽⁴⁾: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسرّ بنا على بركة الله، فسرّ

(1) جوامع السيرة، ابن حزم، ج1/ ص 82.

(2) برك الغماد، موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل، بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان التيمي القرشي/ معجم البلدان، ج1/ ص 400.

(3) السيرة النبوية، ابن هشام، ج1/ ص 615.

(4) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت، واسمه عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، ثم الأشهلي، أبو عمرو، وأمّه كيشة بنت رافع، لها صحبة، أسلم على يد مصعب بن عمير، لما أرسله النبي ﷺ إلى المدينة يعلم المسلمين، فلما أسلم، قال لبني عبد الأشهل، كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا فأسلموا، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام، وشهد بدرًا، لم يختلفوا فيه، وشهد أحدًا، والخنندق. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج2/ ص 461

رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم⁽¹⁾.

كان لهذه الشورى العسكرية أثرها العظيم في إبراز إرادة القتال في المسلمين، واستعدادهم للجهاد بقيادة واحدة لتحقيق هدف واحد، كما رفعت معنويات المسلمين بعد انكشاف نياتهم، ولم يبق لدى المهاجرين شكٌ في نيات الأنصار، فازداد التلاحم بين المهاجرين والأنصار ارتباطاً ورسوخاً في الحرب⁽²⁾.

• قبيل المعركة:

سبق رسول الله ﷺ قريشاً إلى ماء بدر، فنزل النبي ﷺ على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، ثم قال لأصحابه: أشيروا علي في المنزل، فقال الحباب بن المنذر⁽³⁾: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل، أمناً أنزلكه الله، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: (بل هو الرأي والحرب والمكيدة)، قال: فإن هذا ليس بمنزل، انطلق بنا إلى أدنى ماء القوم، فإنني عالم بها وبقلبها، بها قلب قد عرفت عذوبة مائه، وماء كثير لا ينزح، ثم نبني عليها حوضاً ونقذف فيه الآنية، فنشرب ونقاتل، ونفسد ما سواها من القلب⁽⁴⁾، فقال رسول الله ﷺ: (يا حباب، أشرت بالرأي)، فنهض رسول الله ﷺ ففعل كل ذلك⁽⁵⁾.

لقد أنفذ الرسول ﷺ هذا الرأي، فما حلّ نصف الليل حتى تحول المسلمون إلى معسكرهم الجديد، وامتلكوا مواقع الماء، وأعلن الرسول ﷺ لأصحابه: (أنه بشر مثلهم، وأن الرأي شورى بينهم، وأنه لا يقطع برأي دونهم، وأنه في حاجة إلى حُسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم)، وكان لنقص الماء عند المشركين أثر كبير في انتصار المسلمين⁽⁶⁾.

(1) البداية والنهاية، ابن كثير، ج5/ ص 70.

(2) الشورى العسكرية في عهد الرسالة، خطاب، ص11.

(3) حباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي، يُكنى أبا عمر وقيل أبا عمرو وشهد بدرًا، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وهو صاحب مشورة بئر بدر، أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج1/ ص 665.

(4) القلب، جمع القليب، وهي البئر يذكر ويؤنث، وسميت قليلاً لأنه قلب ترابها، ينظر لسان العرب، لابن منظور، ج1/ ص 689.

(5) المغازي، الواقدي، ج1/ ص 53.

(6) الشورى العسكرية في عهد الرسالة، خطاب، ص، 12، ينظر.

• بعد المعركة:

"استشار رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب في شأن أسرى بدر، قال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هؤلاء أهلك وقومك، قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم، أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً، فأمئن عليهم من الله عليك، أو فادهم يستنقذهم بك من النار، فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله هؤلاء قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك! اضرب رؤوس الكفر وأئمة الضلالة، يوطئ الله عز وجل بهم الإسلام، ويذل أهل الشرك، حتى يعلم الناس أنه ليس في قلوبنا مودةً للمشركين، ما أرى أن تكون لك أسرى، فاضرب أعناقهم، هؤلاء صنائدهم وأئمتهم وقادتهم، ووافقهم على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة، فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه⁽¹⁾، ثم قام رسول الله ﷺ فدخل قبته فمكث فيها ساعة، ثم خرج والناس يخوضون في شأنهم، فقبل رسول الله منهم الفداء، وكان رأيه يميل لأبي بكر الصديق ﷺ" ⁽²⁾.

2. غزوة أحد:

لما علم رسول الله ﷺ بخروج قريش لحرب المسلمين، ووصولهم على مشارف المدينة، قال النبي ﷺ: أشيروا علي!

فقام عبد الله بن أبي فقال: يا رسول الله، كنا نقاتل في الجاهلية فيها (يريد المدينة)، ونجعل النساء والذراري في هذه الصياصي⁽³⁾، ونجعل معهم الحجارة والله، لربما مكث الولدان شهراً ينقلون الحجارة إعداداً لعدونا، ونشك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية، وترمي المرأة والصبي من فوق الصياصي والآطام⁽⁴⁾، ونقاتل بأسيافنا في السكك، يا رسول الله، إن مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط، وما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا، وما دخل علينا قط إلا أصابنا، فدعهم يا رسول الله، فإنهم إن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين، لم ينالوا خيراً، يا رسول

(1) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الباجوري ص، 107

(2) المغازي، الواقدي، ج1/ ص 109 ، ينظر التفاصيل، مغازي الواقدي، ص، 107.

(3) الصياصي، هي الحصون، لسان العرب، لابن منظور، ج14/ 474.

(4) الآطام، الحصون المرتفعة من الطين، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد، ج1/ ص 279.

الله، أطعني في هذا الأمر واعلم أنني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم، فهم كانوا أهل الحرب والتجربة.

وكان رأي رسول الله ﷺ مع رأي ابن أبي، وكان ذلك رأي الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله ﷺ: "امكثوا في المدينة، واجعلوا النساء والذراري في الآطام، فإن دخلوا علينا قاتلتناهم في الأزقة، فنحن أعلم بها منهم، وارموا من فوق الصياصي والآطام"⁽¹⁾.

وقال فتیان أحداث لم يشهدوا بدرًا، وطلبوا من رسول الله ﷺ الخروج إلى عدوهم، ورجبوا في الشهادة، وأحبوا لقاء العدو: اخرج بنا إلى عدونا.

وقال رجال من أهل السن، وأهل النية، وغيرهم من الأوس والخزرج ﷺ: إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبنًا عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا، وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل، فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا، ورسول الله ﷺ لما يرى من إلحاحهم كاره، وقد لبسوا السلاح يخطرون بسيوفهم، يتسامون⁽²⁾ كأنهم الفحول⁽³⁾.

وقال مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري ﷺ⁽⁴⁾: يا رسول الله نحن، والله بين إحدى الحسينيين، إما يظفرنا الله بهم، فهذا الذي نريد، فيذلم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر، فلا يبقى منهم إلا الشريد، والأخرى يا رسول الله، يرزقنا الله الشهادة، والله يا رسول الله ما أبالي أيهما كان، إن كلاً لفيه الخير، فلم يبلغنا أن النبي ﷺ رجع إليه قولًا، وسكت⁽⁵⁾.

فقال حمزة بن عبد المطلب ﷺ: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعامًا حتى أجالدهم بسيفي خارجًا من المدينة⁽⁶⁾.

(1) المغازي، الواقدي، ج1/ ص 209.

(2) يتسامون، أي يتبارون ويتفاخرون، لسان العرب لابن منظور، 14/ ص 397.

(3) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد المقرئ، ج9/ ص 249.

(4) مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبرج، واسمه خدره وهو أبو أبي سعيد الخدري، شهد مالك أحد وقتل يومئذ، قتله عراب بن سفيان الكناني، فلما رجع رسول الله ﷺ من أحد خرج أبو سعيد فتلقاه، فلما رآه رسول الله ﷺ، عزاه بأبيه، معجم الصحابة، للبخاري ج5/ ص 242.

(5) دراسة في السيرة، خليل، ج1/ ص 157.

(6) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، غلوش، ج1/ ص 331.

لقد كانت الشورى أساس النظام الإسلامي الذي لم يكن النبي يحيد عنه؛ ليعلم أصحابه في كل زمان ومكان أهمية تطبيقها لحاضر الإسلام والمسلمين، ولم تكن الشورى في أمر الحرب وحده، بل في أمر الحرب وغيره.

كما أن النبي ﷺ بعد أن اتخذ قراره بالخروج إلى أحد خلافًا لرأيه، وعودة الذين أرادوا الخروج عن رأيهم وتحبيذهم عدم الخروج، أراد أن يعلم أصحابه والأجيال المسلمة القادمة أن القائد إذا اتخذ قراره، وعزم على تطبيقه، فلا بد له من أن يمضي قدمًا في التطبيق، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:159]، وأهمها في الأمور العامة: حربية كانت أو سياسية أو إدارية المشاورة، وذلك أن نقض العزيمة ضعف في النفس وزلزال في الأخلاق، لا يوثق فيمن اعتاده في قول أو عمل، فإذا كان ناقض العزيمة رئيس حكومة أو قائد جيش، كان ظهور نقض العزيمة منه ناقضًا للثقة بحكومته وبجيشه، ولاسيما إذا كان بعد الشروع في العمل، ولذلك لم يُصغ النبي ﷺ إلى قول الذين أشاروا عليه بالخروج إلى أحد، حين أرادوا الرجوع عن رأيهم؛ خشية أن يكونوا قد استكروه على الخروج وكان قد لبس لأمته وخرج. وذلك شروع في العمل، بعد أن أخذت الشورى حقها. كما تقدم تفصيله. فعلمهم بذلك أن لكل عمل وقتًا وأن وقت المشاورة متى انتهى جاء دور العمل، وأن الرئيس إذا شرع في العمل تنفيذًا للشورى لا يجوز له أن ينقض عزمته ويبطل عمله، وإن كان يرى أن أهل الشورى أخطأوا الرأي. كما كان يرى ﷺ في مسألة الخروج إلى أحد كما تقدم. ويمكن إرجاع ذلك إلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين، وأي ضرر أشد من فسخ العزيمة وما فيه من الضعف والفشل وإبطال الثقة⁽¹⁾.

3. غزوة الأحزاب:

تجمّع الأحزاب من اليهود ومشركي العرب، بعد أن حشدوا جيشًا كبيرًا لقتال المسلمين، فلما علم الخبر رسول الله ﷺ، ندب رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم في أمرهم بالجد والجهاد، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتفقوا، وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله. وشاورهم رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يكثر مشاورتهم في الحرب، فقال: أنبرز لهم من المدينة، أم نكون فيها ونخذلها علينا، أم نكون قريبًا ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل؟ فاختلّفوا، فقالت طائفة: نكون مما يلي بعثت إلى ثنية الوداع إلى الجرف، فقال قائل: ندع المدينة خلوقًا! فقال سلمان: يا رسول الله، إنا إذ

(1) تفسير القرآن الحكيم، رضا، ج4/ ص 169، بتصرف.

كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين، وذكروا حين دعاهم النبي ﷺ يوم أحد أن يقيموا ولا يخرجوا، فكره المسلمون الخروج وأحبوا الثبات في المدينة، واختار المسلمون موضع الخندق، وأمر رسول الله ﷺ بحفره، وعمل بيده كأبي فرد من أصحابه، فتم حفر الخندق قبل وصول الأحزاب إلى المدينة⁽¹⁾.

فلما اشتد على الناس البلاء، بعث رسول الله ﷺ، إلى عيينة بن حصن⁽²⁾، وإلى الحارث بن عوف⁽³⁾، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المروضة في ذلك، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد⁽⁴⁾، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمراً نحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا، والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى

(1) المغازي، الواقدي، ج2/ ص 445.

(2) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، يكنى أبا مالك، أسلم بعد الفتح. وقيل، قيل الفتح، وشهد الفتح مسلماً، وهو من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للقرطبي، ج3/ ص 1249، وكان ممن ارتد وتبع طليحة الأسدي، وقاتل معه، فأخذ أسيراً، وحمل إلى أبي بكر ﷺ، فكان صبيان المدينة يقولون، يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك؟! فيقول، ما آمنت بالله طرفة عين، فأسلم، فأطلقه أبو بكر، وكان عيينة في الجاهلية من الجرارين، يقود عشرة آلاف، أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج4/ ص 318.

(3) الحارث بن عوف بن أبي حارثة الغطفاني، ثم الذبياني، ثم المري، قدم على رسول الله ﷺ فأسلم، وبعث معه رجلاً من الأنصار إلى قومه ليسلموا، فقتلوا الأنصاري، ولم يستطع الحارث أن يمنع عنه، أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج1/ ص 629.

(4) سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، ويكنى أبا ثابت، من أهل بدر، وكان سعد بن عبادة في الجاهلية يكتب بالعربية، ويحسن العوم والرمي، وكان من أحسن ذلك سمي الكامل، وشهد سعد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وكان سيداً جواداً، ولم يشهد بدرًا، وكان تهيأ للخروج إلى بدر، ويأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج، فنهش، فقال رسول الله ﷺ، "لئن كان سعد لم يشهدا لقد كان عليها حريصاً" وشهد بعد ذلك أحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج7/ ص 389.

يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا⁽¹⁾.

فكان بعد فضل الله على المسلمين بالظفر على الأحزاب الذين تجمعوا لإبادة المسلمين، مشاوراً القائد العام لجنوده.

4. الشورى زمن صحابة رسول الله ﷺ:

لم تكن الشورى في الحرب والسلم مقصورة على أيام الرسول ﷺ، وإنما كان الخلفاء يستشيرون.

• أبو بكر يستشير لقتال المرتدين:

لمّا شحت العرب على أموالها، قدم على أبي بكر عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس⁽²⁾، في رجال من أشراف العرب، فدخلوا على رجال من المهاجرين، فقالوا: إنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الإسلام، وليس في أنفسهم أن يؤدوا إليكم من أموالهم ما كانوا يؤدون إلى رسول الله ﷺ، فإن جعلوا لنا جعلاً نرجع فنكفيكم من وراءنا، فدخل المهاجرون والأنصار على أبي بكر، فعرضوا عليه الذي عرضوا عليهم، وقالوا: نرى أن تطعم الأقرع وعيينة طعمة يرضيان بها ويكفيانك من وراءهما، حتى يرجع إليك أسامة وجيشه، ويشتد أمرك، فإنما اليوم قليل في كثير، ولا طاقة لنا بقتال العرب، قال أبو بكر: هل ترون غير ذلك؟ قالوا: لا، قال أبو بكر: إنكم قد علمتم أنه كان من عهد رسول الله ﷺ، إليكم المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم، ولا نزل به الكتاب عليكم، وأن الله لن يجمعكم على ضلالة، وإني سأشير عليكم، فإنما أنا رجل منكم، تنتظرون فيما أشير به عليكم وفيما أشرت به، فتجتمعون على أرشد ذلك، فإن الله يوفقكم، وأما أنا فأرى أن ننبذ إلى عدونا، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وأن لا نرشو على الإسلام أحداً، وأن نتأسى برسول الله ﷺ، فنجاهد عدوه كما جاهدتم، والله لو منعوني عقلاً لرأيت أن أجاهدكم عليه حتى أخذه، فائتمروا يرشدكم الله، فهذا رأيي، وأما قدوم عيينة وأصحابه إليكم، فهذا أمر لم يرغب عنه عيينة، هو راضيه، ثم جاء له ولو رأوا ذباب السيف لعادوا إلى ما خرجوا منه أو أفناهم السيف إلى النار، قتلناهم على حق منعه وكفر، فبان للناس وجه أمرهم، وقالوا لأبي بكر لما

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، ج2/ ص 223.

(2) الأقرع بن حابس بن عقيل بن محمد التميمي ثم المجاشعي، له صحبة، وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان سيد قومه، واسم الأقرع فراس، ولقب الأقرع لقرع كان برأسه، وقدم دومة الجندل من أطراف أعمال دمشق في خلافة أبي بكر الصديق، مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر، ج5/ ص 13.

سمعوا رأيه: أنت أفضلنا رأياً، ورأينا لرأيك تبع، فأمر أبو بكر الناس بالتجهُّز، وأجمع على المسير بنفسه لقتال أهل الرِّدة⁽¹⁾.

• عمر   يستشير في الذهاب إلى العراق:

لَمَّا نَقَضَ أَهْلُ الدِّمَةِ بِالْعِرَاقِ عَهْدَهُمْ، وَنَبَذُوا المَوَاقِيقَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمُ، وَأَذُوا المَسْلَمِينَ وَأَخْرَجُوا العَمَالَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، كَتَبَ عُمَرُ إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنَ الجَيْشِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ إِلَى أَطْرَافِ البِلَادِ، فَرَكِبَ عُمَرُ،   فِي الجِيُوشِ مِنَ المَدِينَةِ، فَنَزَلَ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ: صَرَارُ، وَهُوَ مَوْضِعٌ بَقَرِبِ المَدِينَةِ عَلَى بَعْدِ حَوَالِي (5 كَم) مِنَ المَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِ العِرَاقِ مِنْهَا، وَهُوَ مَاءٌ مُحْتَفَرٌ، جَاهِلِيٌّ، عَلَى طَرِيقِ العِرَاقِ، فَعَسَكَرَ بِهِ عَازِماً عَلَى غَزْوِ العِرَاقِ بِنَفْسِهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِينَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ وَسَادَاتُ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ عَقَدَ مَجْلِسًا لِاسْتِشَارَةِ الصَّحَابَةِ فِيمَا عَزَمَ عَلَيْهِ، وَنَوْدِي: إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ، وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَدِمَ مِنَ المَدِينَةِ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ، فَكَلِمَهُمْ وَافَقَهُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى العِرَاقِ، إِلَّا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَخْشَى أَنْ كَسَرْتَ أَنْ تَضْعِفَ المَسْلَمِينَ فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَبْعَثَ رِجَالًا، وَتَرْجِعَ أَنْتَ إِلَى المَدِينَةِ، فَأَرْفَأُ عُمَرَ وَالنَّاسَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَاسْتَصَوَّبُوا رَأْيَ ابْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عُمَرُ: فَمَنْ تَرَى أَنْ نَبْعَثَ إِلَى العِرَاقِ؟ فَقَالَ: قَدْ وَجَدْتَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: الأَسَدُ فِي بَرَاتِنِهِ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ الزَّهْرِيِّ⁽²⁾، فَاسْتَجَادَ قَوْلَهُ وَأُرْسِلَ إِلَى سَعْدٍ، فَأَمَرَهُ عَلَى العِرَاقِ، وَأَوْصَاهُ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بَنِي وَهَيْبٍ، لَا يَغْرُنْكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ: خَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالحَسَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٍ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، فَالنَّاسُ شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ، اللَّهُ رِبُّهُمْ، وَهُمْ عِبَادُهُ، يَتَفَاضَلُونَ بِالعَافِيَةِ وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ، فَانظُرِ الأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْذُ بَعَثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَالزَّمَهُ، فَإِنَّهُ الأَمْرُ، هَذِهِ عِظْتِي إِيَّاكَ، إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبَطَ عَمَلُكَ وَكُنْتَ مِنَ الخَاسِرِينَ⁽³⁾.

(1) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ، والثلاثة الخلفاء، الحميري، ج/2 ص 90.

(2) سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن كلاب القرشي الزهري، يكنى أبا إسحاق، كان سابع سبعة في الإسلام، وشهد بدرًا، والحديبية، وسائر المشاهد، وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان مجاب الدعوة مشهورًا بذلك، تخاف دعوته وترجي، لا يشك في إجابتها عندهم، وذلك أن رسول الله ﷺ قال فيه، اللهم سدد سهمه، وأجب دعوته، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للقرطبي، ج/2 ص 606.

(3) البداية والنهاية، ابن كثير، ج/9 ص 614.

المبحث الثالث

القتال في الإسلام

المطلب الأول: الأسباب العسكرية لمشروعية القتال في الإسلام

لقد جاء الإسلام العظيم مغيراً لمفهوم القتال في الجاهلية من حيث الأهداف والكيفيات، فقد تغيّر السبب والهدف من كونه للحمية الجاهلية، والسعي للنهب والسلب والثأر والظلم والبغي والعدوان، وتخريب العمران، وتدمير البنيان، وهتك الحرمات، والبطش بالضعفاء والشيوخ والصبيان، وإهلاك الحرث والنسل، والعبث والفساد في الأرض، وما أن جاء الإسلام إلا وقد أُلّف بين قلوب القبائل المتناحرة التي أجهدها الحروب لسعى كل واحدة في القضاء على الأخرى، جاء الإسلام فغيّر مفهوم القتال بالنسبة لهذه القبائل، فجعله غايةً لا هدفاً، وجعله لتحقيق أهداف نبيلة، وأغراض سامية، وغايات محمودة، فنبت كل ما كان من أفعال الجاهلية، وأسس بنياناً للحفاظ على قوام الدنيا والدين بشريعة مستمدة من وحى رب العالمين⁽¹⁾.

فالقتال في الإسلام هادف، ليس قتالاً عبثياً من أجل سفك الدماء والإخلال بأمن المسلمين وغيرهم، فإن من أهم الأسباب التي جعلت للقتال أهدافاً سامية تلك التي وقعت في زمان النبي ﷺ وهي الدعوة إلى الإسلام، ورفع الظلم، وبسط العدل، ووأد الفتنة، ونصرة المستضعفين، ولجم الباغين، والعمل على نشر كلمة الله التي اتّسمت بالسماحة والرحمة، ولم يكن أبداً من أهدافه السيطرة والهيمنة وإشباع الرغبات المريضة، ويتجلى أول سبب في القتال في سبيل الله تعالى في:

1. إعلاء كلمة التوحيد لإبقائها خفاقةً فوق ربوع العالمين

إن من أهم أسباب القتال إعلاء كلمة التوحيد ونشر دين الله في الأرض؛ لتكون الحاكمية لله وحده، فغاية القتال في سبيل الله هي كسر الحواجز التي تعترض وصول الإسلام إلى الناس وإزالتها لتوصيل رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً.

(1) إرشاد البرية إلى أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، أبي عبد الرحمن غنيم عبد العظيم لواتي، ص 20، بتصرف يسير.

فمن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله عز وجل)⁽¹⁾.

المقصود بكلمة الله دعوة الله إلى الإسلام، والمراد أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط، بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سبباً من الأسباب المذكورة أخل بذلك⁽²⁾.

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ، (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسابه على الله)⁽³⁾، فهذا الحديث يدل على أن القتال هو من أجل توحيد الله عز وجل، والانتقيد لشريعته التي أرسل الله بها الرسل، فمتى قبل الناس الإسلام، أو أدوا الجزية كفف عنهم المسلمون وامتنعوا عن قتالهم، فقتاله معهم حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وهو الإقرار بالوحدانية وخلع ما دونه من الأوثان، فمن أقر بذلك منهم كان في الظاهر داخلاً في الإسلام، وأما من أنكر وجحد وقاتله حتى يقر بالوحدانية⁽⁴⁾.

2. مقاومة المعتدين الظالمين

وقد جعل الإسلام للقتال مسوغات، وهي حق الدفاع عن النفس، ورفع الظلم عنها؛ لكي تعيش في أمن واستقرار، وهذا واضح من خلال قوله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾⁽³⁹⁾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﷻ [الحج: 39-40].

تحمل هذه الآية الإذن بقتال المعتدين من المشركين الظالمين السالبيين حقوق المسلمين بغير وجه حق، إلا أنهم يقولون آمناً بالله رب العالمين، وهذا الأمر لا يوجب إخراج من يقول آمنت بالله من دياره وأرضه وسلب بلادهم، فحملت الآية الإذن بالقتال لمقتضى ذلك العدوان والظلم الكبير الواقع على المؤمنين⁽⁵⁾.

-
- (1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب من سأل، وهو قائم، عالماً جالساً، ج1/ص36، حديث رقم، 123.
 - (2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج2 / ص28.
 - (3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، ج4/ ص 48 حديث رقم، 2946.
 - (4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج14/ ص 215، بتصرف.
 - (5) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ج3/ ص 479.

وقوله تعالى: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ [البقرة: 246].

هذه الآية كأنها حادث واقع ومشهد منظور، عندما اجتمع المأ من بني إسرائيل، من كبرائهم وأهل الرأي فيهم إلى نبي لهم، وطلبوا إليه أن يعين لهم ملكاً يقاتلون تحت إمرته في سبيل الله، وهذا التحديد منهم لطبيعة القتال، وأنه في (سبيل الله) يدل على انتفاضة العقيدة في قلوبهم، وبقظة الإيمان في نفوسهم، وشعورهم بأنهم أهل دين وعقيدة وحق، وأن أعداءهم على ضلالة وكفر وباطل، ووضوح الطريق أمامهم للجهاد في سبيل الله، وهذا الوضوح هو نصف الطريق إلى النصر، وهنا ارتفعت درجة الحماسة والفورة بذكر المأ الأسباب الحافزة للقتال في سبيل الله؛ ما يجعل القتال هو الأمر المتعين الذي لا تردد فيه، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾، ونجد هنا أن الأمر واضح في حسهم، مقرر في نفوسهم، وأن أعداءهم قد أخرجوهم من ديارهم وسبوا أبناءهم ونسائهم، فقتالهم واجب والطريق الواحدة التي أمامهم هي القتال، ولا ضرورة إلى المراجعة⁽¹⁾.

وقد صرح القرآن الكريم بالقتال من أجل صد العدوان وعدم الاعتداء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: 190].

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، أي: ولا تعتدوا بالقتال فتبدؤوهم به، ولا في القتال فتقتلوا من لا يقاتل من النساء والصبيان والشيوخ والمرضى، ولا من ألقى إليكم السلم وكف عن حركم، ولا بغير ذلك من أنواع الاعتداء كالتخريب وقطع الأشجار، فإن الاعتداء من السيئات التي يكرهها الله تعالى⁽²⁾.
إن مقاومة المعتدين حق لكل أمة، بل ومن الواجب على كل أمة أن تدافع عن نفسها، وتدفع عدوان المعتدين، وجور الظالمين عن نفسها وعن مصالحها⁽³⁾.

(1) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج1/ ص 267

(2) تفسير المراغي، المراغي، ج2/ ص 89

(3) إرشاد البرية إلى أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، لواتي، ص 21.

3. منع الفتنة في الدين

إن أعداء الإسلام منذ بزوغ شمسهِ وظهورهِ، وانتشار ضيائه وجماله، ما انفكوا عن محاربتهِ، والصدِّ والمنع بكل السُّبل لجميع من يعتنق هذا الدين، إما بالقتل أو النفي أو التعذيب أو الحصار وغيره من وسائل القهر والظلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدُوَالُو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: 89].

تُظهر الآية الكريمة وتكشف خبث معتقدات المناققين والكافرين، وتحذير المؤمنين منهم، والمعنى: أنهم تمنوا كفركم، وهي غاية المصائب بكم، وهذا الودُّ منهم نابع عن حسد منهم؛ لما يرون ما للمؤمنين من ظهور في الدنيا وبُشريات في الآخرة⁽¹⁾.

وقد يعجز الطواغيت عن صرف الناس عن دينهم وتغيير مواقفهم بالتهديد بالسخرية وغيرها من الوسائل، ولكنهم يستمرون في المطاردة؛ رجاءً أن يحققوا أهدافهم ويبتكرون وسائل أخرى في التنديد والمطاردة، ومن الوسائل المؤثرة إلحاق الأذى الجسماني؛ لكي يحققوا أهدافهم في إجبار الناس على الكفر بالله، فيصبُّون غضبهم في ابتكار وسائل التعذيب والتكيل⁽²⁾.

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج تُبيِّن العداة والاضطهاد الديني تجاه من آمن بالله تعالى؛ لأنهم رفضوا كل ملذات الأرض ابتغاء مرضات الله، عندها نالتهم يد البغض والحقد تعذيباً وقتلاً، فقد جسَّدت قصة أصحاب الأخدود مثال الظلم الواقع والافتراء على المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج: 4-8].

هذا خبرٌ عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله _عزَّ وجلَّ_ فقهرتهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً، وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، ففدوهم فيها، وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يُضام من لاذ بجنابه، المنيع الحميد في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، وإن كان قد

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ج2/ ص 89، بتصرف يسير.

(2) القتال في الفتنة دراسة تأصيلية عقديّة، السويد، ص 41.

قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به، فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس⁽¹⁾.

فحينما يُفْتَنُ الناس في عقائدهم، ويُستضعفون ويتعرضون لألوان الظلم والاضطهاد، كان عليهم أن يتحرروا من ذلك، ويقاوتوا بكل قوة حتى يردوا الفتنة عن أنفسهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193].

إذا كان النص عند نزوله يواجه قوة المشركين في شبه الجزيرة، وهي التي كانت تفتن الناس، وتمنع أن يكون الدين لله، فإنَّ النص عام الدلالة، مستمر التوجيه، فالجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، ففي كل يوم تقوم قوة ظالمة تصدُّ الناس عن الدين، وتحول بينهم وبين سماع الدعوة إلى الله، والاستجابة لها عند الاقتناع، والاحتفاظ بها في أمان، والجماعة المسلمة مكلفة في كل حين أن تحطم هذه القوة الظالمة وتطلق الناس أحراراً من قهرها، يستمعون ويختارون ويهتدون إلى الله، وهذا المبدأ العظيم الذي سنَّه الإسلام في أوائل ما نزل من القرآن عن القتال ما يزال قائماً، وما تزال العقيدة تواجه من يعتدون عليها وعلى أهلها في شتى الصور، وما يزال الأذى والفتنة تلم بالمؤمنين أفراداً وجماعات وشعوباً كاملة في بعض الأحيان، وكل من يتعرض للفتنة في دينه والأذى في عقيدته في أية صورة من الصور، مفروض عليه أن يقاتل وأن يقتل وأن يحقق المبدأ العظيم الذي سنَّه الإسلام، فإذا انتهى الظالمون عن ظلمهم وكفُّوا عن الحيلولة بين الناس وربهم، فلا عدوان عليهم، أي: لا مناجزة لهم؛ لأنَّ الجهاد إنما يوجه إلى الظلم والظالمين، ويسمى دفع الظالمين ومناجرتهم عدواناً من باب المشاكلة اللفظية، وإلا فهو العدل والقسط ودفع العدوان عن المظلومين⁽²⁾.

4. الانتصار للضعفاء والمغلوبين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: 75].

هذا حثٌّ من الله لعباده المؤمنين، وتهييجٌ لهم على القتال في سبيله، وأن ذلك قد تعين عليهم، وتوجه اللوم العظيم عليهم بتركه، والسبب أنَّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8/ ص 366.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج1/ ص 190.

الدفاع عن أنفسهم، فصار جهادكم على هذا الوجه من باب القتال والذب عن الأقارب والأولاد والمحارم، لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في الكفار، فإنه وإن كان فيه فضل عظيم ويلازم المتخلف عنه أعظم اللوم، فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجراً وأكبر فائدة، بحيث يكون من باب دفع الأعداء⁽¹⁾.

يقول الفخر الرازي: (لا عُذْر لَكُمْ فِي تَرْكِ الْمَقَاتِلَةِ، وَقَدْ بَلَغَ حَالُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَا بَلَغَ فِي الضَّعْفِ، فَهَذَا حَتٌّ شَدِيدٌ عَلَى الْقِتَالِ، وَبَيَانَ الْعِلَّةَ الَّتِي صَارَ لَهَا الْقِتَالُ وَاجِبًا، وَهُوَ مَا فِي الْقِتَالِ مِنْ تَخْلِيصِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفْرَةِ)⁽²⁾.

ويذكر القرطبي في تفسيره للآية: (أنها حض على الجهاد، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته، وإظهار دينه، واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، من يد الظلم والطغيان)⁽³⁾.

5. قتال البغاة

ومن أسباب القتال، ردُّ البغي والافتراء، حتى وإن كان صادراً من المسلمين، فالله _عزَّ وجلَّ_ يأمر بإصلاح ذات البين بين المسلمين، وبَيِّنَ أنه لا بد من الوقوف لصدِّ عدوان البغاة، ورد عدوانهم على إخوانهم، وإلا لعلا المنكر وزاد الطغيان، وتكون النصرة للطائفة المستضعفة من المسلمين⁽⁴⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ مَا قَاتَلْتُمَا بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9].

أي: وإن اقتتلت طائفتان من أهل الإيمان مع بعضهم، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم الله والرضا بما فيه، سواء كان لهما أو عليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل، وإن أبت وعارضت الصلح إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم الله، وتعدت على ما جعله الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى فقاتلوا التي تعدي وتأبى الإجابة إلى حكمه؛ حتى ترجع إليه، وتخضع طائفة له، وإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياها إلى الرضا بحكم الله، فأصلحوا بينهما بالإينصاف والعدل حتى

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص، 187.

(2) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، ج 10/ ص 141.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 5/ ص 279.

(4) إرشاد البرية إلى أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، لواتي، ص 22.

لا يتجدد بينهما القتال في وقت آخر، ثم بعد ذلك أمرهم سبحانه بالعدل في كل أمورهم؛ لأن الله يحب العادلين في جميع أعمالهم ويجازيهم أحسن الجزاء⁽¹⁾.

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا) قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: "تأخذ فوق يديه"⁽²⁾.

أقوال علماء المسلمين عن الأسباب المشروعة للقتال:

• "سبب القتال ينحصر في رد العدوان، وحماية الدعوة، وحرية الدين، وفي هذه الدوائر وحدها شرع الله القتال"⁽³⁾.

• ويذكر السيد قطب أنّ أسباب القتال في كتاب السلام العالمي والإسلام قائمة على⁽⁴⁾:

أ. حماية الدين مع عدم إكراه المسلمين لغيرهم باعتراف دينهم.

ب. حماية المؤمنين حتى لا يفتنوا عن دينهم وكف القوة بالقوة.

ت. حماية حرية الدعوة وإزالة كل قوة طاغية في الأرض تمنع وصول دعوة الإسلام إلى الناس كافة.

ث. إقرار سلطان الله في الأرض.

ج. إقامة العدالة الكبرى في الأرض وتمتيع البشرية بهذه العدالة في الميادين كافةً.

ح. مكافحة الظلم والبغي ولو كان ظلم الفرد لنفسه، أو الجماعة لنفسها، أو الدولة لرعاياها، فحيثما كان على وجه الأرض ظلم فالأمة الإسلامية مكلفة أن تكافحه وتزيل أسبابه.

• الإسلام أسس علاقات المسلمين بغيرهم على المسالمة والأمان، لا حرب والقتال، إلا إذا أرادوا سوءاً لفتنتهم عن دينهم، وصددهم عن دعوتهم، فحينئذٍ يفرض عليهم الجهاد دفعًا للنشر وحماية الدعوة، وإن طريق الدعوة إلى التوحيد والإخلاص لله وحده هي الحجة والبيان قبل السيف والسنان، ولو أن غير المسلمين كفؤوا عن فتنتهم وتركوهم أحرارًا في دعوتهم، ما شهر المسلمون سيفًا ولا أقاموا حربًا⁽⁵⁾.

(1) تفسير المراغي، المراغي، ج26/ص130، بتصرف.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلح، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا، ج3/ص128، حديث رقم، 2444.

(3) القرآن والقتال، شلتوت، ص36.

(4) السلام العالمي والإسلام، ص151/152.

(5) السيادة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية، خلاف، ص77.

• الإسلام لا يقَرُّ الحرب الهجومية من أجل الفتح أو التوسُّع، الحرب المشروعة في الإسلام هي الحرب الدفاعية لردِّ اعتداء بدأ به العدو، أو للدفاع عن حق ثابت بمقتضى عهد أو معاهدة نقضها الخصم، أو تأميناً للدعوة⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أخلاق المسلمين في القتال

الأخلاق الإسلامية التي جاء بها الإسلام العظيم مستمدة من أهم مصدرين كتاب الله وسنة النبي ﷺ وقد دعا القرآن الكريم إلى مكارم الأخلاق، وقد تضافرت النصوص من كتاب الله _ عز وجل _ على الأمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة، ونصت على الكثير منها، فمن ذلك⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

وكذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199].

وهذا يدل على أنَّ أخلاق القتال لجيش المسلمين مستمدة من نور القرآن الكريم، وتوجيهه الحكيم، المعبرة عن منظور الإسلام للقتال، التي مارسها الرسول ﷺ وأرشد إليها أصحابه أثناء قتال غير المسلمين باختلاف أصنافهم، من وقت نزول الإذن بالقتال إلى آخر معركة خاضها الرسول ﷺ قبل وفاته، ولا تخرج هذه الأخلاقيات عن الإطار العام للأخلاق الإسلامية التي هي أوسع مفهومًا مما جاءت به الشرائع والفلسفات الأخرى، فالأخلاق الإسلامية يدخل في إطارها جميع العلاقات الإنسانية مع بعضها لبعض، وحتى علاقة الإنسان بالكائنات الأخرى⁽³⁾.

وكذلك نهت عن الأخلاق المذمومة التي تنتافي مع القيم المثلى ومن ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّسَانِ يَسْسُ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَنْبَأْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنْ

(1) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، المستشار علي منصور، ص 296.

(2) موسوعة الأخلاق، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، ص 13، بتصرف.

(3) أخلاق الحرب في السيرة النبوية، عبد الرحمن، ص 26.

الظن إنك بعض الظن إنهم ولا يحسبوا ولا يعتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه
وأنقوا الله إن الله تواب رحيم ﴿١٢﴾ [الحجرات: 11-12].

وقد رسمت السنة النبوية منهجاً عظيماً للأخلاق، فيها حدّد رسول الإسلام والسلام محمد ﷺ
الغاية الأولى من بعثته الشريفة، والمنهاج المبين في دعوته⁽¹⁾، فعن أبي هريرة، ﷺ قال: قال رسول
الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"⁽²⁾.

وعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق
حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء"⁽³⁾.

وقد استمدّ المسلمون أخلاقهم من المعلم الأول للبشرية محمد ﷺ صاحب الأخلاق والمثل
العليا، الذي مدحه ربه في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: 4].

فأخلاق المسلمين ربانية المصدر، منبعها رب العباد، فلا تتنازعها الأهواء والمطامع، فهي
صالحة لتحقيق مصالح الناس جميعاً، وتقويم اعوجاجهم إن انحرفوا عن الطريق المستقيم، فهي أخلاق
ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والمواقف، ومع ثباتها فهي صالحة لكل زمان ومكان، فهي أخلاق نبيلة
أول ما تراعي الصالح العام للبشرية جمعاء، وتحقيق الغايات السامية، والأهداف العالية، وإرساء دعائم
الأمن والسلام في واقع الناس⁽⁴⁾.

وقد جاءت التربية الأخلاقية لجيش المسلمين؛ لكي نفهم أخلاق الحروب في الإسلام، ولن
نفهمها إلا إذا فهمنا أخلاق الحروب في الجاهلية، حتى ندرك النقلة الهائلة للبشرية التي عبر عنها
القرآن الكريم⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿الرَّكَتَدُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ
صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿١﴾ [إبراهيم: 1].

(1) خلق المسلم، الغزالي، ص 7.

(2) صحيح: السنن الكبرى، البيهقي، بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ج 10/ ص 323، حديث رقم، 20782.

(3) صحيح: سنن الترمذي، الترمذي، باب ما جاء في حسن الخلق، ج 4/ ص 362، حديث رقم، 2002.

(4) أخلاق الحرب في السيرة النبوية، عبد الرحمن، ص 6.

(5) المرجع السابق، ص 9.

أي: أنزلنا إليك يا محمد كتابًا وهو القرآن الكريم؛ لتخرج الناس من ظلمات الكفر والجهالة والضلال، إلى نور الإيمان والعلم والهداية، وهذا الإخراج إنما هو بإذن الله ومشيئته وإرادته وأمره، فهو طريق الله العزيز الذي يغلب ولا يغلب، وأسند سبحانه الإخراج إلى النبي ﷺ باعتباره المبلغ لهذا الكتاب المشتمل على الهداية التي تنتقل الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الجهالة إلى الهداية⁽¹⁾.

ولو أردنا أن نتحدث عن الأخلاق حال القتال لوجدنا للإسلام النصيب الأعظم منه، حيث لم تعرف الدنيا قائدًا مثل رسول الله ﷺ، ولا غازيًا أو فاتحًا أرحم منه بمحاربيه ومن يقع في يديه من الأسرى، وهذه دعوى قد تبدو مبالغًا فيها، إذا لم يذكر لها البيّنات الشاهدة على صدقها، لذلك سنتعرف على أخلاق الجيش الإسلامي من خلال القرآن الكريم وهدى النبي ﷺ قبل القتال وأثناءه وبعده؛ لنقرأ من ذلك أجمع وأعظم دروس الإنسانية الأخلاقية وأروع قيم الحضارة⁽²⁾.

وعلى الرغم من كون القتال عملية تزهق فيها الأرواح وتُجرح فيها الأبدان، ويقصد فيها إلحاق أنواع الأذى بالأعداء، فإن رسول الله ﷺ شرع لأُمَّته آدابًا سامية، وضوابط حاكمة على سلوك المقاتل المسلم، توجب على مخالفتها عقوبات زاجرة في الدنيا والآخرة، فلا يستخدم في القتال في سبيل الله إلا الوسائل المشروعة والأساليب النزيهة⁽³⁾.

فقد كانت وصايا النبي ﷺ وقادة جيش المسلمين خير شاهد على الأخلاق الإسلامية في الحياة العسكرية، فعن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا..."⁽⁴⁾.

وعن المرقع بن صيفي بن رباح، أخي حنظلة الكاتب أن جده رباحًا أخبره، أن رسول الله ﷺ غزا غزوة كان على مقدمته فيها خالد بن الوليد، فمرَّ رباح وأصحابه على امرأة مقتولة، مما أصاب المقدمة، فوقفوا عليها يتعجبون من خلقها، حتى لحقهم رسول الله ﷺ ففرجوا له، حتى نظر إليها، فقال:

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي ج7/ ص510، بتصرف.

(2) أروع القيم الحضارية في سيرة خير البرية، انجوغو امكي صمب، ص 38.

(3) المرجع السابق، ص 39.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها ج3/ ص1357.

"ها، ما كانت هذه تقاتل" ثم نظر في وجوه القوم، فقال لأحدهم: "الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية، ولا عسيفاً"⁽¹⁾⁽²⁾.

وصار كبار الصحابة على النهج الذي رسمه المصطفى ﷺ لهم، فعندما أنفذ أبو بكر الصديق جيش أسامة ﷺ أوصاه بوصايا تنم على العدل المطلق للإسلام، فقال: يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني " لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعفروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بغيراً إلا لمأكلة، وسوف تمررون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً، فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقاً، اندفعوا باسم الله"⁽³⁾.

وقال فاروق هذه الأمة ﷺ: " اتقوا الله في الفلاحين، ولا تقتلوهم إلا أن ينصبوا لكم الحرب"⁽⁴⁾.

ومن الأخلاق العظيمة والمبادئ الثابتة التي يتمتع بها جيش المسلمين، أنهم لم يقاتلوا لإكراه الناس على الإسلام، ولا للاستعلاء في الأرض والاستكبار فيها بغير وجه حق، بل كان جلُّ همهم أن يوفروا للبشرية كلها الأمن والهدوء، ويحققوا لهم كل سعادة وكرامة في الدنيا والآخرة⁽⁵⁾.

ومن رحمته وأخلاقه ﷺ التي اقتدى بها أصحابه، والمسلمون من بعدهم، في قتلى بدر، وكان من القتلى العدد الكبير، لم يأمر ﷺ التمثيل بجيف المشركين ولا تركها فوق الأرض، إنما أمر أن تلقى في القليب، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب، فطرحوا فيه، إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملاها، فذهبوا ليحركوه، فتنزيل، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة، فلما ألقاهم في القليب، وقف عليهم رسول الله ﷺ، فقال: "يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً" قال: فقال له أصحابه: يا رسول

(1) العسيف، العبد المستعان به، تاج العروس، الحسيني، ج24/ص158.

(2) المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ج2/ص133، حديث رقم 2565.

(3) أبوبكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، رضا، ص 39.

(4) معرفة السنن والآثار، البيهقي، ج13/ص254.

(5) أخلاقيات الحرب في الإسلام، الندوي، ص 68.

الله، أتكلم قوماً موتى؟ فقال لهم: "لقد علموا أن ما وعدتهم حق" قالت عائشة: والناس يقولون: "لقد سمعوا ما قلت لهم" وإنما قال رسول الله ﷺ: "لقد علموا"⁽¹⁾.

وعن أنس بن مالك، قال: سمع أصحاب النبي ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول: "يا أهل القلب، يا عتبة ابن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام، فعدد من كان منهم في القلب، هل وجدتم ما وعد ركم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقال المسلمون: يا رسول الله أنتادي قوماً قد جيفوا؟ فقال: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني"⁽²⁾.

ومن الأخلاق العسكرية التي تمتع بها المسلمون، لما وضعت الحرب بين الجيشين أوزارها، وصار الفريقين بين غالب ومغلوب، وكانت الغلبة للإسلام ووقع المقاتلون من الأعداء وما بأيديهم في سيطرة المسلمين، وسقطت دولهم أمام جحافل الإسلام، طبق الرسول ﷺ أحكام الإسلام العادلة في أسرى الحروب، والتي تراعي فيها مصلحة الجماعة المسلمة ومعاني الكرامة الإنسانية⁽³⁾.

ومن النماذج التي تدلُّ على أخلاق الجيش والقيادة المسلمة

• كان سهيل بن عمرو من خطباء قريش وفصحاءها، وطالما أذى المسلمين بلسانه، فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أنزع ثنيتي سهيل، يدلع لسانه أي يخرججه، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً، فقال عليه الصلاة والسلام: "لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبياً، وعسى أن يقوم مقاماً لا تدمه"⁽⁴⁾، وقدم بفدائه مركز بن حفص، ولما ارتضى معهم على مقدار حبس نفسه بدله حتى جاء بالفداء، هذا وقد حقق الله خبر الرسول في سهيل، فإنه لما مات عليه الصلاة والسلام أراد أهل مكة الارتداد، كما فعل غيرهم من الأعراب، فقام سهيل خطيباً، وقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ألم تعلموا أن الله قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144].

(1) اسناده حسن: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ج43/ص380، حديث رقم، 26361.

(2) السيرة النبوية، ابن كثير، ج2/ص449.

(3) أروع القيم الحضارية في سيرة خير البرية، انجوغو امبكي صمب، ص 42.

(4) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبي شيبه، ج7/ص365، حديث رقم، 36739.

ثم قال: والله وإني أعلم أنّ هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها فلا يغربكم هذا، يريد أبا سفيان من أنفسكم، فإنه يعلم من هذا الأمر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد⁽¹⁾.

• وهذا وهب بن عمير الجمحي، كان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش كثير الإيذاء لرسول الله ﷺ، جلس يوماً بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان بن أمية، يتذكران مصاب بدر، فقال عمير: والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الفقر بعدي، كنت آتي محمداً فأقتله، فإن ابني أسير في أيديهم، فقال صفوان: دينك عليّ وعيالك مع عيالي، فأخذ عمير سيفه وشحذه وسمّه، وانطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر مع نفر من المسلمين، إذ نظر إلى عمير متوشحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله ما جاء إلا بشراً، ثم قال للنبي - عليه الصلاة والسلام - هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه فقال: أدخله عليّ. فأخذ عمر نور بحمائل سيفه وأدخله، فلمّا رآه عليه الصلاة والسلام قال: أطلقه يا عمر، أذن يا عمير، فدنا وقال: أنعموا صباحاً، فقال عليه الصلاة والسلام: قد أبدلنا الله تحية خيراً من تحيتك، وهي: السلام، ثم قال ما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: فما بال السيف؟ قال قبّحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال عليه الصلاة والسلام: أصدقني ما الذي جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذلك، قال عليه الصلاة والسلام: كلا بل قعدت أنت وصفوان في الحجر وقتلتما كذا وكذا، فأسلم عمير، وقال: كنّا نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان! فقال عليه الصلاة والسلام: فقّهوا أحاكم في دينه وأقرؤوه القرآن، وأطلقوا أسيره، فعاد عمير إلى مكة وأظهر إسلامه⁽²⁾.

ومن الخلق الرفيع أنه كان ﷺ والصحابة ثم المسلمون يحفظون المعروف حتى للأعداء، مثلما قال ﷺ عن المطعم بن عدي في أسرى معركة بدر، وكان قد توفي قبلها لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتمهم له"، بل أكثر من ذلك، فقد أحسن إلى أعدائه المسلحين الذين هاجموا المعسكر الإسلامي في صلح الحديبية يريدون غرته، فأسرهم جميعاً، ثم منّ عليهم دون مقابل ودون أي شرط، بل ومن غير طلب من قريش⁽³⁾.

وكذا أيضاً، فإنّ التماس العذر للأعداء كان حاضراً في الأخلاق الإسلامية لجيش المسلمين، فعن ابن عباس ؓ: أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم

(1) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الباجوري، ص، 109

(2) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الباجوري، ص، 110/111.

(3) السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، الحجي، ص، 407.

وغيرهم قد أخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختری بن هشام بن الحارث ابن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهًا، وإنما نهى رسول ﷺ عن قتل أبي البختری؛ لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب⁽¹⁾.

فالمسلم بطبيعة تربيته الأخلاقية التي يتربى عليها من خلال القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ يكره القتل والدماء، ومن ثم فهو لا يبدأ أحدًا بقتال، بل إنه يسعى بكل الطرق لتجنب القتال وسفك الدماء، فقد كان القتال عند المسلمين عبادةً، ولم يكن في يوم من الأيام استتالة على أحد باسم القوة، ملكوا فسامحوا؛ لأنهم كانوا يسيرون باسم الله حقًا يريدون إسعاد الناس بدلالتهم على ربهم عز وجل⁽²⁾.

إن أخلاق القتال لجيش المسلمين مستمدة من نور القرآن الكريم، وتوجيهه الحكيم، المعبرة عن منظور الإسلام للقتال، التي مارسها الرسول ﷺ وأرشد إليها أصحابه أثناء قتال غير المسلمين باختلاف أصنافهم، من وقت نزول الإذن بالقتال إلى آخر معركة خاضها الرسول ﷺ قبل وفاته، ولا تخرج هذه الأخلاقيات عن الإطار العام للأخلاق الإسلامية التي هي أوسع مفهومًا مما جاءت به الشرائع والفلسفات الأخرى، فالأخلاق الإسلامية يدخل في إطارها جميع العلاقات الإنسانية مع بعضها لبعض، وحتى علاقة الإنسان بالكائنات الأخرى⁽³⁾.

الخلاصة: من خلال استعراض الأخلاق التي يتحلى بها جيش المسلمين، نجدها تأخذ الصدارة بين الجيوش على مر التاريخ، فقد قرأنا وسمعنا وشاهدنا الأخلاق العسكرية لقوى مختلفة الجنسيات والانتماءات، ماذا يفعلون بمن يخالفهم، كما شاهدنا في العصر الحديث الذي نحياه ماذا فعل عبادة الصليب بالعراق وسوريا واليمن، وكذلك أبناء القردة والخنازير، ماذا فعلوا بالشعب الفلسطيني، من قتل وتدمير وانتهاكات ومجازر وتخريب، ولم ينجح من بطشهم الحجر والشجر والبشر، وفوق كل ذلك يدعون وينادون في كل المحافل الدولية الظالمة باسم حقوق الإنسان زورًا وبهتانًا وكذبًا، ولم نجد أحدًا من العرب والمسلمين وغيرهم يحرك ساكنًا أمام جرائمهم، لكنهم يتجرؤون أمام سماحة الإسلام وعدله

(1) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، ج1/ ص629.

(2) فتوحات إسلامية برؤية معاصرة، فهمي، ص41.

(3) أخلاق الحرب في السيرة النبوية، عبد الرحمن، ص26.

ورحمته بالمسلم والكافر والحربي، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يطلقون على الإسلام أقدس الأوصاف، ويصفونه بالإرهاب، ويتهمونه بأنه وراء كل عمل إجرامي، حتى يُظهروا أن دين الإسلام دين عنف وقتل، لا دين حب وسلام.

المطلب الثالث: القتال في سبيل الله تجارة رابحة.

إن المجاهدين في سبيل الله تعالى يبذلون مُهجهم وأرواحهم، ويجاهدون في سبيل إقامة حكم الله والحكم بما أنزل الله، فهم يقدمون الغالي والنفيس من أنفس وأموال؛ ابتغاء مرضات الله، فقد عقدوا النية بالتجارة مع الله؛ لأنهم يعلمون أنها تجارة رابحة، فهي لا تعرف الخسارة مطلقاً؛ لأن البائع المجاهد، والمشتري هو الله تبارك اسمه، فنعم التجارة والبيع⁽¹⁾.

وقد صرح القرآن الكريم بالتجارة الرابحة، ودلنا عليها، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَحَرُّقٍ تُنَجِّكُم مِّنْ عَذَابِ ٱلْءِمْ ۖ تُوْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: 10 - 11].

وقد حملت هذه الآية وصيةً وإرشاداً من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم، الجهاد في سبيل الله الذي يعدُّ أجل أعمال الجوارح، وذلك يكون ببذل النفوس والمهج، والإنفاق مما تيسر من الأموال في ذلك المطلوب؛ لمصادمة أعداء الإسلام، والقصدُ نصر دين الله وإعلاء كلمته، ولو كان كريهاً للنفوس شاقاً عليها، فإن فيه الخير الدنيوي من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل، والرزق الواسع، وسعة الصدر وانسراحه، وفي الآخرة الفوز بثواب الله والنجاة من عقابه⁽²⁾.

وكان القصد منها تشجيع المؤمنين على قتال محاربيهم، والثبات أمامهم، والتحذير عن الزيغ عن ذلك، والترغيب في السخاوة ببذل الأنفس والأموال، في سبيل الحق؛ لإعلاء شأنه، وإزهاق الباطل⁽³⁾.

(1) الجهاد في سبيل الله، الدقس، ص 15، بتصرف.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص، 860، بتصرف.

(3) محاسن التأويل، القاسمي، ج9/ ص 224.

وكذلك عرض الله للمؤمنين صفقة رابحة، وبيّن فيها البائع والمشتري والسلعة والثمن؛ ليكون ذلك تشجيعاً لمن أراد التجارة مع الله، فهي تجارة لا تعرف للكساد أو الخسارة طريفاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْنِلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنِلُونَ وَيُقْنِلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: 111].

ففي هذه الآية ترغيب على القتال في سبيل الله على أبلغ وجه وأحسن صورة، فقد مثل الله إثابة المؤمنين على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله بتمليكهم الجنة التي هي دار النعيم والرضوان الدائم السرمدي تفضلاً منه تعالى وكرماً؛ لأن عاقد البيع هو رب العزة، والمبيع هو بذل الأنفس والأموال، والثمن هو ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ وجعل هذا العقد مسجلاً في الكتب السماوية، فهو عقد لا يقبل التحلل والفسخ، وفي هذا منتهى الربح والفوز العظيم⁽¹⁾.

ومن بستان المدرسة المحمدية يخرج طلابها يضربون أروع معاني الفداء والجهاد في سبيل الله، فهذا الصحابي الجليل صهيب الرومي رضي الله عنه، عندما أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة، تبعه نفر من قريش فقالوا له: أتيتنا صلوكاً فكثر مالك عندنا، فبلغت ما بلغت، ثم تتطلق بنفسك ومالك، والله لا يكون ذلك، فنزل عن راحلته وتسلح بما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش، لقد علمتم أنني من أركامكم رجالاً، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي من يدي منه شيء، فافعلوا ما شئتم، فإن شئتم دللتكم على مالي وخليتم سبيلي، قالوا: نعم، ففعل، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال "ريح البيع أبا يحيى، ربح البيع"،⁽²⁾ ونزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: 207].

يقول صاحب الضلال: (يشري هنا معناها يبيع، فهو يبيع نفسه كلها لله، ويسلمها كلها لا يستبقي منها بقية، ولا يرجو من وراء أدائها وبيعها غاية إلا مرضاة الله، ليس له فيها شيء، وليس له من ورائها شيء، فهي بيعة كاملة لا تردد فيها ولا تحصيل ثمن، ولا استبقاء بقية لغير الله، والتعبير يحتمل معنى آخر يؤدي إلى نفس الغاية يحتمل أن يشتري نفسه بكل أعراض الحياة الدنيا؛ ليعتقها

(1) تفسير المراغي، المراغي، ج11/ص30.

(2) سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، عبد الواحد، ج1/ص12، أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد الواحدي، ص66.

ويقدمها خالصة لله، لا يتعلق بها حق آخر إلا حق مولاه. فهو يضحى كل أعراض الحياة الدنيا ويخلص بنفسه مجردة لله⁽¹⁾.

ويأتي الترغيب في التجارة مع الحق سبحانه وتعالى، فيعقد سبحانه مع المؤمن صفقة تجارية فيها بيع وشراء، البائع يعطي سلعة ويأخذ ثمنًا، والشاري يعطي ثمنًا ويأخذ سلعة، والحق يقول هنا:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 74].

فالمؤمن يعطي الدنيا ليأخذ الآخرة التي تتمثل في الجنة والجزاء، ومنزلة الشهداء، فتلك هي الصفقة التي يعقدها الحق مع المؤمنين، وهو سبحانه يريد أن يعطينا ما نتعرف به على الصفقات المربحة، فكل منا في حياته يحب أن يعقد صفقة مربحة بأن يعطي شيئًا ويأخذ شيئًا أكبر منه، والحق سبحانه قد وصف الحياة بأنها "الدنيا"، ولا يوجد وصف أدنى من هذا، فأوضح المسألة: إنك ستعطي الدنيا وتأخذه الآخرة، فإذا كان الذي تأخذه فوق الذي تعطيه فالصفقة إذن رابحة، فالدنيا مهما طالقت فإلى نهاية، ولا تقل كم عمر الدنيا، لأنه لا يعينك أن يكون عمر الدنيا ألف قرن، وإنما عمر الدنيا بالنسبة لكل فرد، هو مقدار حياته فيها، وإلا فإن دامت لغيري فما نفعي أنا⁽²⁾.

في هذه الآية يُبين سبحانه وتعالى حالتين بالنسبة للمقاتل، وهي حالة الاستشهاد وحالة الغلبة على العدو؛ للإشعار بأن المجاهد الصادق لا يبغي من جهاده وقاتله إلا هاتين الحالتين، فهو قد وطَّن نفسه حالة جهاده على الاستشهاد أو الانتصار على أعداء الله، ومتى وطَّن نفسه على ذلك ثبت في قتاله، وأخلص في جهاده، وقد قدم "سبحانه" القتل على الغلب؛ للإيذان بأن حرص المجاهد المخلص على الاستشهاد في سبيل الله، أشد من حرصه على الغلب والنصر⁽³⁾.

(1) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج1/ ص 205-206.

(2) تفسير الشعراوي "الخواطر"، الشعراوي، ج4/ ص 2406.

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، ج3/ ص 218.

المبحث الرابع

الأمن والاستخبارات العسكرية في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف الأمن والاستخبارات العسكرية

أولاً: الأمن في اللغة

1. الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق⁽¹⁾.
2. الأمن ضد الخوف⁽²⁾.
3. أمن الرجل: حافظ على عهده وصان ما أوّتمن عليه، عكسه خان⁽³⁾.
4. يتضح للباحث من خلال التعريفات اللغوية أن الأمن:
أ. يعني التصديق الذي هو ضد التكذيب والخيانة.
ب. الاستقرار الذي هو ضد الاضطراب.

ثانياً: الأمن في الاصطلاح

1. اطمئنان الفرد والأسرة والمجتمع، على أن يحيوا حياة طيبة في الدنيا، لا يخافون على أنفسهم وأموالهم وعقولهم ونسلهم، من الاعتداء عليها⁽⁴⁾.
2. الإجراءات الأمنية التي تُتخذ لحفظ أسرار الدولة وتأمين أفرادها ومنشأتها ومصالحها الحيوية في الداخل والخارج، والإجراءات الأمنية تتطلب درجةً عاليةً من التدريب واليقظة والحذر والمهارة؛ للوقاية من نشاط العدو المترصّص⁽⁵⁾.
3. حالة من الطمأنينة، والاستقرار التي تسود في الدولة لتتمكن من تحقيق مصالحها، ومصالح أفرادها الضرورية، والحاجية والتحسينية⁽⁶⁾.

(1) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج1/ ص133.

(2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج1/ ص 1176.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج1/ ص 122.

(4) أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، الأهدل، ص 9.

(5) الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، النميري، ص 4.

(6) تدابير الأمن الداخلي وقواعده العامة في الدولة في ضوء مقاصد الشريعة، أبو الحاج، ص 13.

4. الأمن حالة اطمئنان النفس وراحة البال وانتفاء الخوف من كل ما يخاف منه، وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق ونحو ذلك⁽¹⁾.

5. **تعريف الباحث:** الأمن هو الحصول على أعلى مستوى من الاطمئنان والاستقرار، على المستوى الفردي والجماعي من أي خطر يهدد حياتهم.

ثالثاً: تعريف الأمن العسكري:

1. جميع الإجراءات والفعاليات التي تقوم بها الدول باستخدام قدراتها كافة من أجل حماية مصالحها، والدفاع عنها، والدفاع على حقها بالوجود ضد التهديدات الخارجية والداخلية⁽²⁾.

2. هو السلامة والوقاية من الوقوع في كيد العدو ومكره، وحبائله ومؤمراته، وخداعه ومفاجأته⁽³⁾.

3. هو تلك الإجراءات التي يجب اتخاذها لحماية القوات المسلحة بشرياً وتخطيطاً وتجهيزات وقدرات ومعلومات⁽⁴⁾.

4. تعريف الباحث: الأمن العسكري، يُعنى بجمع المعلومات الكافية للكشف عن القدرة العسكرية للعدو لتلاشي المباغثة العسكرية.

رابعاً: تعريف الاستخبارات العسكرية:

1. هي تزويد القادة في مختلف القيادات والتشكيلات بالمعلومات عن إمكانية العدو ومقاصده، وذلك لتمكين القادة من وضع الخطط والشروع للقيام بأي عملية من العمليات الحربية⁽⁵⁾.

2. المعرفة والعلم بالمعلومات التي يجب أن تتوفر لدى كبار المسؤولين المدنيين والعسكريين، حتى يمكنهم العمل لتأمين سلامة الأمن القومي⁽⁶⁾.

3. هي العملية التي بها تدخل المعلومات في دورة من لحظة الحصول عليها إلى مرحلة الخطط⁽⁷⁾.

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج13/ ص 55.

(2) الأمن العسكري، مظهر الشاكر، ص 5.

(3) الجهاد سبيلنا، عبد الباقي رمزون، ص 244.

(4) الأمن العسكري في السنة النبوية دراسة موضوعية، الثلاثيني، ص10.

(5) موسوعة الجهاد الأمن والاستخبارات، قيادات المعسكرات والجبهات، ص 103.

(6) الاستخبارات العسكرية ودورها في تحقيق الأمن القومي للدولة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، زكي زيدان، ص 527.

(7) الأمن والاستخبارات مفاهيم أمنية عسكرية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، الرابط،

.www.politics-dz.com

4. تعريف الباحث: هي قدرة الوصول للمعلومات الأمنية التي تتعلق بالعدو من جميع جوانبه، وتحليلها ووضع خطط مضادة لتفادي الوقوع في حبال مكائده.

خامساً: الفرق بين الأمن والاستخبارات:

على الرغم من عدم معرفة الكثير للفرق بين الأمن والاستخبارات، إلا أن واقع الحال يثبت أن الأمن والاستخبارات أساسها حركة وتناول المعلومات، فلا يمكن فهم نشاط أمني أو استخباري من غير وجود معلومات، إلا أن جوهر الاختلاف الحقيقي يعود إلى أن طبيعة عمل الاستخبارات لها علاقة مباشرة بوجود عدو حقيقي مسلح، والذي يتمثل بالدول وقواتها، أي أن هدف الاستخبارات هو التعامل مع معلومات التنظيمات المسلحة أو عن القوات محتملة العداء، لكن الأمن يتناول جميع مفاصل الدولة من الناحية السياسية والعسكرية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية، بينما الاستخبارات تتعلق غالبية عملها بالقوات المسلحة⁽¹⁾.

المطلب الثاني: أهمية الأمن والاستخبارات العسكرية في الإسلام.

لقد أعطى الإسلام الأمن أهمية يستحقها منذ بزوغ فجر الإسلام، كما اهتم بتوفير الحياة الكريمة التي يملأها الاستقرار والطمأنينة في جوانب الحياة كافة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾

الَّذِي أَطَعَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش: 3 - 4].

فالأمن من أعظم النعم التي لا هناء بعيش، ولا طمأنينة لقلب، ولا سعادة لنفس إلا به؛ لذا كان الأمن دعوة الخليل ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ [إبراهيم: 35].

وبشارة يوسف ﷺ لوالديه حين قدما بلاد مصر بعد فراق طويل⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيَّ يَوْسُفَ ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَبُويْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأْمِنِينَ ﴿١٩﴾ [يوسف: 99].

وقد جعل الإسلام كل المسلمين رجال أمن يحافظون على العقيدة، وعلى أمن الناس وعقيدتهم من الانحراف، وهذه مهمة كل مسلم، عندما يرى منكراً أن يغيره أو يبلغ عنه ولي الأمر،

(1) الأمن والاستخبارات مفاهيم أمنية عسكرية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، الرابط،

.www.politics-dz.com

(2) أمن البلدان من خلال القرآن، المسيميري، ص 4.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110].

ومهمة كل مسلم أن يحمي المجتمع من كل خطر، وأن يعالج كل انحراف، منبهاً المسلمين إلى ما يجب عليهم أن يفعلوه أمام كل حدث أو شائعة لا يعرفون سببها أو علتها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: 83].

ولذلك يجب على الجماعات الإسلامية، أي جماعة كانت أن تولي هذا الجانب الاهتمام الأقصى، فمعظم أسباب الفشل في العمل الإسلامي هو الفقر الشديد بالخبرة الضحلة بأعمال الأمن والاستخبارات، وأن جهادنا مع أعداء الله أيًا كان نوعه أقوى أسلحته الأمن والاستخبارات، فبقدر ما تكون حركتنا مكتومة عن عدونا، ونعرف كل شيء عن عدونا، بقدر ما نكون أقوياء، وقد حذرنا الله من عدونا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [النساء: 71].

وقد أكد رسول الله ﷺ على الأهمية البالغة للأمن في حياة الناس، فقال ﷺ: في الحديث الذي يرويه أبو الدرداء ؓ، قال: قال ﷺ: (من أصبح معافى في بدنه، آمناً في سربه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)⁽¹⁾.

وقد دعا الرسول ﷺ إلى كل عمل يبعث الأمن والاطمئنان في نفوس المسلمين، ونهى عن كل فعل يبيثُ الخوف والرعب في جماعة المسلمين، حتى ولو كان أقل الخوف وأهونه، باعتبار الأمن نعمة من أجل النعم على الإنسان⁽²⁾. فقد نهى الرسول ﷺ، عن أن يروع المسلم أخاه المسلم، قال: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً)⁽³⁾.

(1) حسن لغيره: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الفقر، والزهد، والقناعة، ج2/ ص 445، حديث رقم، 671.

(2) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، التركي، ص 13.

(3) اسناده صحيح: السنن الكبرى، البيهقي، كتاب الشهادة، باب المزاح لا ترد به الشهادة ما لم يخرج في المزاح إلى عضه النسب أو عضه بحد أو فاحشة، ج10/ ص 420 ، حديث رقم، 21177.

ولقد نهى الرسول ﷺ أن يشهر الرجل المسلم على أخيه المسلم السلاح ولو كان هازلاً؛ لأن ذلك يتنافى مع الأمن الذي هو دعوة للاستقرار والطمأنينة، فقال ﷺ: (لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار)⁽¹⁾.

ونهى عن أن يخفي الإنسان ما لآخيه، ولو لم يقصد الاستيلاء عليه، ولكن أراد بذلك أن يفزعه عليه ويروعه، فعن النبي ﷺ قال: (لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه لعباً جاداً، وإذا أخذ أحدكم عصا أخيه، فليردها عليه)⁽²⁾.

وهذا الاهتمام البالغ والعناية الشديدة بالأمن، جعل الإسلام يضع له الكثير من المبادئ والأصول والأساليب، فقد أثبت تاريخ صدر الإسلام أن من أهم أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم، أن أسرار النبي ﷺ وأسرار المسلمين كانت مصونة وبعيدة عن متناول أعدائهم⁽³⁾.

ولم يقتصر الأمن على جانب واحد من مناحي الحياة؛ كأمن الناس على أرواحهم أو أموالهم فحسب، فالإنسان بحاجة إلى الأمن في كل جوانب حياته؛ لهذا فقد تعددت الجوانب الأمنية؛ لتشمل الأمن الاقتصادي، والأمن الاجتماعي، والأمن النفسي، والأمن الفكري، والأمن العسكري⁽⁴⁾.

هذا التنوع المهم من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو للحفاظ على أمن الإنسان في مناحي حياته كافة، إنما جاءت للأهمية البالغة للأمن، فبدونه لا يشعر بالسعادة الإنسان حتى لو ملك الأرض؛ لأنه بغير الأمن لا تسقيم له حياة.

المطلب الثالث: صور من الأمن العسكري والاستخباري.

لقد حثَّ الإسلام العظيم على مقارعة أعداء الله، ومنازلة أهل البغي والعدوان، وكان للتخطيط والتدابير الأمنية وجمع المعلومات الاستخباراتية ورصد تحركات العدو، النصيب الكبير من مرحلة ما قبل القتال، وذلك للتعرف على عدد وعتاد ونوايا العدو، فكان على القيادة الإسلامية أن تراعي الجوانب الأمنية اللازمة للتعرف على كل ما يحيط بهم، فما كان من القائد الأول للأمة الإسلامية، أن يبدأ بتوجيه العناصر الأمنية والاستخبارية للحصول على المعلومات الكافية حول العدو وتحركاته، والعمل

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ، من حمل علينا السلاح فليس منا، ج9/ص49، حديث، رقم 7072.

(2) إسناده صحيح: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ج29/ص461، حديث رقم 17941.

(3) الاستطلاع والأمن ومقاومة الجاسوسية، محفوظ، ص59.

(4) أمن البلدان من خلال القرآن، المسميري، ص9.

بمضمون كل معلومة يحصلون عليها، وكان لذلك العمل الأثر الواضح في تفوق القيادة المسلمة على عدوها.

فقد كان القرآن الكريم وقصصه حافلاً بالتوجيهات الأمنية والاستخبارية، والمتأمل والمتتبع لأي الذكر الحكيم، يجد الكثير من الإشارات والدلالات الواضحة التي تدل على الجانب الأمني والاستخباري، فقد أمر الله تعالى عباده بأخذ أقصى تدابير الحيطة والحذر التي تعدُّ من صميم العمل الأمني الذي من أهم أساسياته الحذر⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا نُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ۗ﴾ [النساء: 71].

يقول السيد قطب: (نرى الأمر بالحذر، للمجاهدين المؤمنين في جميع أحوالهم؛ لأن الأرض حولهم ملغمة، والعداوات حولهم شتى، والكمين قد يكون كامناً بينهم من المنافقين، أو ممن يؤويهم المنافقون واليهود من أعداء المتربصين)⁽²⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ سُنْدَةٍ يَّحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُؤْفِكُونَ ۗ﴾ [المنافقون: 4].

يقول الشوكاني: (أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بأن يأخذ حذره منهم، فقال: فاحذره أن يتمكنوا من فرصة منك، أو يطلعوا على شيء من أسرارك؛ لأنهم عيون لأعدائك من الكفار)⁽³⁾.

الأمن العسكري والاستخباري في القرآن الكريم

1. من النماذج التي جادت بالمعاني الأمنية في القرآن الكريم

النموذج الأول: قصة سيدنا سليمان عليه السلام، التي رسخت مفاهيم العمل الأمني والاستخباري الإسلامي، وتحمل القيادة المسؤولية الكاملة لجنوده وتفقدتهم، فهي من الأعمال المهمة التي يجب على المسلم أن يتقنها ويطور أساليبها لكي يستطيع التعامل مع جميع الظروف التي تحيط به أو تطرأ عليه.

(1) ينظر: فقه الأمن والمخابرات، أحمد، ص 67.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج2/ ص 703، بتصرف.

(3) فتح القدير، الشوكاني، ج2/ ص 276.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِجَّتُكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ
 أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ
 لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿النمل: 22-35﴾.

تحمل هذه الآيات أهم مبادئ العمل الاستخباري⁽¹⁾:

1. ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِجَّتُكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِبْرَاهِيمَ﴾.

أي: غاب زمانًا يسيرًا، ثم عاد لسليمان عليه السلام يحمل رسالة مفادها، أني اطلعت على ما لم تطلع عليه
 أنت ولا جنودك، وحجنتك من مدينة سبأ بخبر صدق متيقن⁽²⁾.

الناظر في هذه الآية يجد أنها ذكرت أهم مبادئ العمل الأمني والاستخباري:

1. مبدأ الجمع والحصول على المعلومات، ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾

2. مبدأ إطلاع القيادة على المعلومات، ﴿وَحِجَّتُكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِبْرَاهِيمَ﴾

3. مبدأ تقييم المعلومات المعروضة، والتأكد من مدى صحتها، وإخضاعها للدراسة والتحليل، قَالَ تَعَالَى:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧) ﴿النمل: 27﴾.

4. مبدأ عرض المعلومات التي تم تجميعها، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

عَظِيمٌ﴾ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ

لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

5. مبدأ الاستفادة من المعلومات، وإقرار العمل الاستخباري، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَ بِكَتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ

تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿النمل: 28﴾.

6. مبدأ استخدام المال في عملية الاستخبارات كوسيلة من وسائل كشف الآخرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي

مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٥) ﴿النمل: 35﴾.

7. مبدأ الاستعانة في الاستخبارات بكل الوسائل الممكنة، كما استعان سليمان عليه السلام بالهدد.

(1) موسوعة الجهاد، الجزء الأول، الأمن والاستخبارات، بجهد من أحد شباب المسلمين أنصار الجهاد، ص 18 ،

الاستخبارات العسكرية في تحقيق الأمن القومي للدولة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، زيدان، ص 556.

(2) مختصر ابن كثير، الصلابي، ج2/ ص 669، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج19/ ص

وهذه القصة القرآنية التي جسدت مبادئ العمل الأمني والاستخباري دليلًا على القيادة الحكيمة التي تمتع بها سليمان عليه السلام في تفقد أحوال جنوده حتى يكونوا تحت نظره، وهذا ما يسمى اليوم بالرقابة والمتابعة الأمنية خصوصًا لمن يحملون مهام خاصة، والتوعد بالعقاب لمن غاب بغير إذن من القيادة الربانية، كما ونشعر بالتربية الكبيرة في الحوار الذي دار بين الجندي (الهدهد) وقائده سليمان، في استيعاب الغياب للهدهد، وذلك لأهمية ما جاء به من معلومات على الرغم من عدم التكليف، لكن الشعور بالأمانة والمسئولية هي الدافع الأكبر في هذا العمل.

النموذج الثاني: في قصة أم موسى عليها السلام

وفي مشهد آخر، تتحقق أهم المبادئ الاستخبارية من قبل أم موسى التي تمثل الجانب الإيماني، مع فرعون الذي يعتلي عرش الباطل وحكم الطاغوت؛ لتبدأ مرحلة التقصي وتتبع الأثر وجمع المعلومات.

قَالَ تَعَالَى: عَلَى لِسَانِ أُمِّ مُوسَى، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١٢﴾ ﴾

تلقت الأخت الأوامر بتنفيذ المهمة في التتبع وتقصي الأخبار وجمع المعلومات، لذلك استخدم الفاء الدالة على التعقيب وسرعة الاستجابة، ولم يقل فقصته، وإنما فبصرت؛ لأن البصر وإن كان بمعنى الرؤية إلا أنه يدل على العناية والاهتمام بالمرئي⁽¹⁾.

1. مبدأ جمع المعلومات ويظهر ذلك جليًا من، قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾.
2. مبدأ أخذ الحيطة والحذر، وعدم إثارة الفزع ولفت الانتباه، ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.
3. مبدأ اختيار العنصر الأمني المناسب الذي ينسجم مع المهمة، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ ﴾.
4. مبدأ محاولة الوصول إلى الهدف المراد، بأسلوب يعمل على تشتيت الأفكار، بعد المحاولة البائسة من إرضاع موسى عليه السلام، ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴾.

(1) الخواطر، الشعراوي، ج17/ص10892.

2. النماذج من الأمن العسكري والاستخباري في السيرة النبوية

لما كان لدولة الإسلام الوليدة من مقارعة أهل البغي والعدوان نصيب، كان لا بد لهذه المقارعة من تخطيط وتدبير وجمع معلومات، عن طريق تحركات العدو للوقوف على عدده وعتاده، فكان على القيادة المسلمة أن تراعي الجوانب الأمنية، وهذا ما قام به النبي ﷺ من ترتيبات أمينة لرصد تحركات العدو، وهذا ما ظهر جلياً في غزواته، وقد كان لهذه الترتيبات الأثر الواضح في تفوق النبي ﷺ على أعدائه.

النموذج الأول: غزوة بدر

استخدم النبي ﷺ أسلوب جمع المعلومات بنفسه عن الجيش المكي، لما ارتحل قريباً من بدر هو وصحابه أبو بكر الصديق ؓ حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش، فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ نحن من ماء، ثم انصرف عنه، قال يقول الشيخ: ما من ماء، أمن ماء العراق⁽¹⁾.

من خلال الحوار الأمني الذي دار بين النبي ﷺ والشيخ، نستنتج بعض الجوانب الأمنية⁽²⁾.

أ. الاستدراج الأمني للحصول على المعلومات.

ب. الإخفاء والتمويه (إخفاء الشخصية).

ت. سرعة الانصراف من المكان.

الحصول على أهم المعلومات عن جيش قريش.

- ولما رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، بعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له، فأصابوا غلامين، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خيرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلما بالغوا في ضربهما، قالوا: نحن

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، ج1/ ص 616.

(2) الاستخبارات في دولة المدينة المنورة، أحمد، ص 119.

لأبي سفيان، فتزكوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه، ثم سلم، وقال: إذا صدقكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش قالوا: هم والله وراء هذا الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما رسول الله ﷺ: كم القوم؟ قالوا: كثير، قال: ما عدتهم؟ قالوا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ: القوم فيما بين التسع مائة والألف⁽¹⁾.

ويظهر من ذلك استنطاق الرسول ﷺ الذي أجراه مع غلامي قريش قبل المعركة، في معرفة عدد القوات العسكرية لقريش⁽²⁾.

• تتابع إرسال النبي لعناصر الأمن والاستخبارات لجمع المعلومات.

أرسل النبي ﷺ بسبس بن عمرو⁽³⁾، وعدي بن أبي الزغباء⁽⁴⁾ يتحسسان خبر قريش قبيل المعركة، فلما نزل ماء بدر أناخا راحلتاهما إلى قريب من الماء، ثم أخذوا يستقيان من الماء، فسمعا جاريتين من جوارى جهينة، يقال وهي تلزم صاحبتهما في درهم كان لها عليها، وصاحبتهما تقول: إنما العير غداً أو بعد غدٍ، فلما سمع ذلك بسبس وعدي انطلقا راجعين إلى النبي ﷺ، حتى لقياه فأخبراه الخبر⁽⁵⁾.

النموذج الثاني: غزوة أحد:

• لما أجمعت قريش المسير لقتال المسلمين بعد غزوة بدر بدافع الانتقام، وأتمت تجهيزات جيشها، وأخذ الجيش بالتحرك، كتب العباس بن عبد المطلب، كتاباً وختمه، واستأجر رجلاً من بني غفار، واشترط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله ﷺ يخبره أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك، فما كنت صانعاً إذا حلوا بك فاصنعه، وقد توجهوا إليك، وهم ثلاثة آلاف، وقادوا مائتي فرس، وفيهم سبعمائة

(1) الاستخبارات في دولة المدينة المنورة، أحمد ، ج1/ ص 617 ، بتصرف.

(2) الرسول القائد، خطاب، ص، 84.

(3) بسبس الجهني الأنصاري من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج/ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج1/ ص373.

(4) عدي بن أبي الزغباء واسمه سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن زهرة بن بنيل بن سعد بن عدي بن كاهل بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة الجهني، حليف بني مالك بن النجار من الأنصار شهد بدرًا وأحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ مع بسبس بن عمرو يتجسسان الأخبار من غير أبي سفيان في وقعة بدر/ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج4/ ص11.

(5) ينظر، المغازي، الواقدي، ج1/ ص 41.

دارع وثلاثة آلاف بعير، وخرجوا بجميع ما لديهم من السلاح، فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله ﷺ بالمدينة ووجده بقاء على باب مسجد قباء يركب حماره، فدفع إليه الكتاب، فقرأه عليه أبي بن كعب واستنكتم أبياً ما فيه⁽¹⁾.

يذكر شيت خطاب: (لقد كان عمل المسلمين في الحصول على المعلومات الأمنية بنية قريش، مفيداً في منع المشركين مباغتتهم في المدينة)⁽²⁾.

يتضح من خلال رسالة العباس الأمنية أنها تحمل معلومات خطيرة عن نية قريش تجاه المسلمين، فقد احتوت الرسالة تفصيلات عسكرية مهمة من حيث: الأعداد العسكرية لجيش قريش، ونوعية الأسلحة المختلفة من الفرسان والإبل والدروع، وكذلك النساء اللواتي أتين يحملن الدفوف لتنهيج مقاتليهم، وبناء على ذلك فقد كان التحرك السليم لجيش المسلمين، في السيطرة على أرض المعركة.

• بعد معركة أُحد:

بعد الضربة الموجهة التي حلت بالمسلمين في أحد، طمع الأعراب بالمسلمين، وأخذوا يفكرون بالإغارة على معسكر المسلمين، لكن الاستخبارات النبوية لم تكن غافلة عن تلك التحركات العدائية التي يقوم بها أولئك الوثنيون، لذلك فقد نشطت استخبارات المسلمين نشاطاً واسعاً في مراقبة مناطق الأعراب؛ ليكونوا على علم بكل جديد، ويأتوا إلى القيادة النبوية بكل جديد⁽³⁾.

النموذج الثالث: غزوة الأحزاب:

من أهم أسبابها أنه لما تم إجلاء بني النضير، قدم عدد من حلفائهم فحزبوا الأحزاب، ودعوا القبائل العربية لكي يقضوا على الدعوة الإسلامية وعلى قائدها العظيم ﷺ، وذلك من خلال التحريض المستمر على حرب المسلمين⁽⁴⁾.

لذلك فقد كانت الاستخبارات الإسلامية حذرة تتابع تحركات العدو ورصدها، وبناءً على المعلومات الاستخبارية التي وصلته بشأن المؤامرة، عقد النبي اجتماعاً للقيادة العسكرية، يضع

(1) المغازي، الواقدي، ج1/ ص 204.

(2) الرسول القائد، خطاب، ص، 122.

(3) موسوعة الغزوات الكبرى، باشميل، ج3/ ص 21، بتصرف.

(4) ينظر، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج2/ ص 65.

التصورات الحربية لمحاربة جموع الكفر والحفاظ على الهيبة الإسلامية، والعمل الجاد لإذاعة العدو كأس الذل، فأشار الصحابي الجليل سلمان الفارسي بحفر الخندق لمواجهة جيش الكفر⁽¹⁾.

فالاستخبارات كانت تتابع عن كثب كل ما يدور حولهم، فقد جاء عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: من نبعت يعلم لنا علمهم؟ فقال عمر: الزبير بن العوام، فكان أول الناس، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام، فقال: اذهب إلى بني قريظة، فذهب الزبير فنظر، ثم رجع فقال: يا رسول الله، رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم⁽²⁾.

وبعد وصول معلومات مهمة عن نقض قريظة العهد، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، وأسيد بن حضير، فقال: إنه قد بلغني أن بني قريظة قد نقضوا العهد الذي بيننا وبينهم وحاربوا، فاذهبوا فانظروا إن كان ما بلغني حقاً، فإن كان باطلاً فأظهروا القول، وإن كان حقاً فتكلموا بكلام تلحنون لي به أعرفه، ولا تفتوا أعضاد المسلمين⁽³⁾.

يتضح من خلال إرسال هذا العدد الكبير من الصحابة لهذه المهمة الاستخبارية أنها دليل على أهمية التأكد من المعلومات، على الرغم من أن واحداً من الصحابة يكفي لهذه المهمة؛ لما يحمل من الثقة والأمانة، لكن أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمنا أن التأكد والتيقن من صحة الأخبار له دور كبير في إدارة المعركة.

النموذج الرابع: صلح الحديبية:

أعلن النبي بكل صراحة أنه لا يريد حرباً مع قريش، لكنه أدخل في حساباتها احتمال أن تقوم قريش بالعدوان عليه وعلى الصحابة الكرام؛ لأنها أمة مشركة لا يمكن أن يأمن جانبها المسلمون⁽⁴⁾.

كفلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بسر بن سفيان⁽⁵⁾ بأن يقوم بمهمة الاستخبارات في مكة، وأمره أن ينقل أخبار قريش إليه، ما يقولونه وما يفعلونه، كرد فعل لتلقيهم نبأ خروج المسلمين معتمرين، فأقام في مكة

(1) ينظر، السيرة النبوية دروس وعبر، السباعي، ص، 89.

(2) المغازي، الواقدي، ج2/ ص 457.

(3) المرجع السابق، ج2/ ص 458.

(4) موسوعة الغزوات الكبرى، باشميل، ج5/ ص 117.

(5) هو ابن سفيان بن عمرو بن عويمر بن صرمة بن عبد الله بن قمبر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة، وهو لحي، الخزاعي الكعبي، كان شريفاً، كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام، له ذكر في قصة الحديبية، وهو الذي لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعتمر عمرة الحديبية، وساق معه الهدى، فأخبره أن قريشاً خرجت بالعود المطافيل، قد لبسوا جلود النمر، الحديث، وأسلم سنة ست من الهجرة، وشهد الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج1/ ص 377.

ولم يتركها إلا بعد أن رآها تقيم الأبنية وتضرب الخيام في بلدخ⁽¹⁾ مصممة على صدّ المسلمين عن البيت بالقوة، ولما تجمعت المعلومات الكافية عن قريش ونيتهم التي تحمل حقدًا، عاد إلى القيادة النبوية، فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل⁽²⁾، وقد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذوي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد بن الوليد في مقدمة خيلهم⁽³⁾.

النموذج الخامس: فتح مكة:

لما نقضت مكة العهد مع النبي ﷺ ودخلها مع حليفها بكر بالغدر والخيانة والقتل من حلفاء النبي ﷺ خزاعة، وأجرموا فيهم قتلاً وسفكاً لدماء آمنة، أعلن القائد العام لأمة الإسلام الاستعداد لردع من قام بذلك⁽⁴⁾.

وبدأ رسول الله ﷺ بأخذ الإجراءات الأمنية اللازمة.

ومن أهم الإجراءات الأمنية العسكرية التي اتخذها الرسول ﷺ، عندما عقد النية لمواجهة أهل

مكة:

أ. كتمان خبر خروج النبي ﷺ.

أخذ النبي ﷺ مبدأ السرية التامة والكتمان الشديد، حتى عن أقرب الناس منه الصحابة الكرام، وعن زوجته عائشة أحب نسائه إليه، فلم يعرف أحد حقيقة ما أراد الرسول ﷺ، من حيث تحركاته، ولا اتجاه العدو الذي ينوي قتاله، والدليل عندما دخل أبو بكر على ابنته عائشة، فوجد عندها حنطة تتسف وتتقى، فقال لها: يا بنية، لماذا تصنعين هذا الطعام، فسكتت، فقال: أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو، فصمتت، فقال: يريد بني الأصفر "الروم" فصمتت، قال: فلعله يريد أهل نجد فصمتت، قال: فلعله يريد قريشاً فصمتت، قال: فدخل رسول الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، أتريد أن تخرج مخرجاً، قال: "نعم". قال: فلعلك تريد بني الأصفر قال: "لا". قال: أتريد أهل نجد قال: "لا". قال: فلعلك تريد قريشاً قال: "نعم"⁽⁵⁾.

(1) بلدخ، وادي قبل مكة من جهة الغرب/ معجم البلدان، للبغدادي، ج1/ص 480.

(2) العوذ والمطافيل، هي النوق ذات الألبان التي معها أولادها، فتح الباري، لابن حجر ج1/ص 150.

(3) ينظر، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، بكر، ج2/ص 17.

(4) ينظر، جوامع السيرة النبوية، ابن حزم، ج1/ص 177.

(5) ينظر، البداية والنهاية، ابن كثير، ج6/ص 519.

الخلاصة: ومن خلال مبدأ الكتمان الذي استخدمه في غزوة الفتح، يجب على القيادة العسكرية أن تتمتع بأعلى مستويات الكتمان، وعدم إفشائها لذوي القرية، لعلمهم ينشرون الأخبار من أجل التفاخر أو التباهي، أو غفلة وعدم إدراك، فينعكس سلباً على المقدرات والخطط والأعمال العسكرية، فيحدث ما لا يُحمد عقباه.

ب. التمويه العسكري.

أرسل رسول الله ﷺ سرية على رأسها أبي قتادة الأنصاري⁽¹⁾ إلى بطن أضم⁽²⁾ في رمضان، وذلك أن رسول الله ﷺ لما همَّ بغزو أهل مكة، أراد أن يشتت تفكيرهم؛ ليظن ظان أن رسول الله ﷺ توجه لناحية غير مكة، وتذهب بذلك الأخبار، فنجح بذلك نجاحاً كبيراً⁽³⁾.

يهدف التمويه العسكري الذي يعدُّ من مهام رجال الاستخبارات لتشويش الأفكار لدى قادة العدو، وجعلهم في حالة من الاضطراب التي تززع صفوفهم.

ت. نشر رجال الأمن والاستخبارات.

بثَّ رسول الله ﷺ داخل المدينة وخارجها العيون حتى لا تنتقل أخباره لقريش، يقول الواقدي: (أخذ رسول الله ﷺ بالأنقاب، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يطوف على الأنقاب قيماً بهم، فيقول: لا تدعوا أحدًا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه، وكانت الأنقاب مسلمة، إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه، أو ناحية مكة)⁽⁴⁾.

تأتي أهمية نشر القوات الأمنية داخل وخارج الحدود لمعسكر القوات العسكرية، جاءت لقطع الطريق أمام الهجمات المعلوماتية لقوات العدو.

(1) النعمان بن ربيعي قال يحيى بن يونس، هو اسم أبي قتادة الأنصاري مما يروى عن ولده، وقيل، اسمه الحارث بن ربيعي، وهو أشهر، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج5/ ج314.

(2) المعالم الأثرية في السنة والسيرة، شراب، ص29.

بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة، واد له ذكر في غزوة بطن إضم وسمي الوادي إضمًا، لتضام السيول عنده، حيث تجتمع سيول أودية بطحان، وقناة، والعقيق، وتكوّن مسيلًا واحدًا، يصل إلى البحر الأحمر بين الوجه وأملج، وهو الاسم القديم له ثم طرأت أسماء أخرى لأجزاء منه، منها الخليل بعد انطلاقهما من مجتمعهما، وبعد ذلك يسمّى "وادي الحمض" حتى يصب في البحر.

(3) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ج3/ ص323، بتصرف.

(4) المغازي، الواقدي، ج2/ ص796.

ث. إحباط محاولات التجسس.

لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ يَخْبِرُهُمْ بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَمْرِ فِي السَّيْرِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً، وَجَعَلَ لَهَا جَعْلًا "مُكَافَأَةً" عَلَى أَنْ تَبْلُغَهُ قُرَيْشًا، فَجَعَلْتَهُ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ فَتَلَّتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ، وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبْرَ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبُ، فَبَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ، فَقَالَ: أَدْرِكَا امْرَأَةً قَدْ أَخَذَتْ كِتَابًا مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ لِقُرَيْشٍ، يَحْذَرُهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ فِي أَمْرِهِمْ، فَخَرَجَا حَتَّى أَدْرِكَاهَا فَاسْتَنْزَلَاهَا، فَالْتَمَسَا فِي رَحْلِهَا، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا، فَقَالَ لَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: إِنِّي أَحْلَفُ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا كَذَبْنَا، وَلَتَخْرُجَنَّ لَنَا هَذَا الْكِتَابُ أَوْ لَنَكْشِفَنَّكَ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ مِنْهُ، قَالَتْ: أَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ، فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا، فَاسْتَخْرَجَتْ الْكِتَابَ مِنْهَا، فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبًا، فَقَالَ: يَا حَاطِبُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأَةً لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ مِنْ أَصْلِ وَلَا عَشِيرَةٍ، وَكَانَ لِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَلَدٌ وَأَهْلٌ، فَصَانَعْتُهُمْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا يَدْرِيكَ يَا عُمَرُ، لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ إِلَى أَصْحَابِ بَدْرِ يَوْمَ بَدْرِ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا سَنَنْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ⁽¹⁾.

إِنَّ مَا حَدَّثَ مَعَ الصَّحَابِيِّ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ مِنْ خِيَانَةِ الْأَمَانَةِ وَإِفْشَاءِ الْأَسْرَارِ الْعَسْكَرِيَّةِ، قَدْ يُؤَدِّي إِلَى إِصَابَةِ الْجَيْشِ فِي مَقْتَلٍ؛ لِأَنَّ الْمَعْلُومَاتِ خَرَجَتْ مِنْ مَنْ كَانَ مُؤْتَمِنًا، لَكِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ تَابَا عَلَيْهِ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ مِنْ أَمْرِ الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْقِيَادَةِ اتِّخَاذُهَا عَدَمَ إِفْشَاءِ الْأَسْرَارِ وَالْمَعْلُومَاتِ حَتَّى لِلْجُنُودِ، إِنَّمَا الْمَعْلُومَاتُ تَخْرُجُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، كَمَا أَنَّهَا لَا تَخْرُجُ إِلَّا لِصَاحِبِهَا.

النموذج السادس: غزوة حنين:

لَمَّا انْكَسَرَتْ شَوْكَةُ قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ، وَعَلِمَ بِذَلِكَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ بِهَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، قَرَّرَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ زَعِيمُ هَوَازِنِ حَشْدِ الْقَبَائِلِ التَّابِعَةِ لَهُ فِي الْقَرَابَةِ وَالْعِدَاءِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَرَادَ أَنْ يَجْهَزَ نَفْسَهُ لِلِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَيَتَحَرَّكَ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا عَلِمَ الْخَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ⁽²⁾.

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، ج2/ ص 399.

(2) جوامع السيرة النبوية، أبو محمد الظاهري، ج1/ ص 187، بتصرف.

فدعا رسول الله ﷺ ابن أبي حدرد الأسلمي⁽¹⁾ فقال: انطلق فادخل في الناس حتى تأتي بخبر منهم، فخرج ابن أبي حدرد فطاف في عسكر هوازن، ثم انتهى إلى مقر مالك بن عوف⁽²⁾ فيجد عنده رؤساء هوازن، فسمعه يقول لأصحابه: إن محمداً لم يقاتل قط قبل هذه المرة، وإنما كان يلقي قومًا أعمارًا لا علم لهم بالحرب فينتصر عليهم، فإذا كان في السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم، ثم صفوا صفوفكم، ثم تكون الحملة منكم، واكسروا جفون سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف مكسور الجفن، واحملوا حملة رجل واحد، واعلموا أن الغلبة لمن حمل أولاً، فلما وعى ذلك عبد الله بن أبي حدرد رجع إلى النبي ﷺ فأخبره بكل ما سمع⁽³⁾.

يتبين لنا من خلال الغزوات الإسلامية أن القيادة المسلمة المتمثلة في شخصية رسول الله ﷺ تكاملت فيها الشخصية الأمنية بجوانبها كافة، سواءً على الصعيد الداخلي أو الخارجي، أو على صعيد انتقاء الأفراد الذين يقومون بكل مهمة.

(1) بابن أبي حدرد، هو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، واسم أبي حدرد، سلامة بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن مساب بن الحارث بن عبيس بن هوزان بن أسلم، وقيل عبد بن عمير بن عامر، له صحبة، يكنى أبا محمد، وأول مشاهده الحديبية، وخبير، وما بعدهما، وبعثه رسول الله ﷺ عينا إلى مالك بن عوف النصري، أسد الغابة، لابن الأثير، ج3/ص211.

(2) مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وهو الذي قاد هوازن يوم حنين، فلما انهزموا هرب مالك، فلحق بالطائف فأمر رسول الله ﷺ بحبس أهله بمكة عند عمتهم أم عبد الله بنت أبي أمية، فلما قدم وفد هوازن على رسول الله ﷺ سألهم عن مالك بن عوف، وقال، "أخبروه أنه إن أتاني مسلما رددت إليه أهله، وماله، وأعطيته مائة من الإبل"، فلما بلغ مالكاً هذا الخبر، خرج من الطائف سراً من تقيف، فلحق رسول الله ﷺ فيدركه وقد ركب من الجعرانة فأسلم، فحسن إسلامه، فردَّ عليه رسول الله ﷺ أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل من غنائم حنين، الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد، ج1/ص629.

(3) المغازي، الواقدي، ج3/ص893، بتصرف.

الفصل الثالث

القواعد العسكرية لميدان القتال

المبحث الأول

القتال العسكري أساليبه ووسائله ومبادئه وأوامره في القرآن الكريم

المطلب الأول: أساليب القتال العسكرية

خاض المسلمون معارك قتالية كثيرة، منها معارك مفصلية في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وقد سَطَّروا فيها أروع معاني التحدي والثبات في مجابهة الأعداء، وإلى جانب الثبات والشجاعة في الميدان؛ فقد برع المسلمون في ابتكار أساليب قتالية ومهارات عسكرية في الميدان، أهلتهم ليقودوا العالم على مدار قرون، فقد كانت البداية غزوة بدر أول معركة عسكرية خاضها المسلمون، فظهرت براعة القتال للمجاهد المسلم باتباعه الأساليب الجديدة.

ومن هذه الأساليب

أ. القتال في صفوف

لقد طبق الرسول ﷺ أسلوباً جديداً في القتال في أول معركة خاضها المسلمون وهي معركة بدر الكبرى؛ ليدل ذلك على المهارة العسكرية والفن القتالي الذي يتمتع به جيش المسلمين، حيث لم تكن العرب تعرف القتال صفوفًا، وقد مدح الله تعالى هذا الأسلوب القتالي لما له من أهمية كبيرة في تحقيق النصر والغلبة على الأعداء⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُومٌ﴾ [الصف:4].

يقول الطبري: إن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به⁽²⁾.

ويذكر محمود شيت خطاب: أن المسلمين طبقوا أسلوباً جديداً لم تكن العرب تعرفه، حيث كان المعهود في قتالهم أسلوب الكر والفر بدون قيادة ولا سيطرة بحيث كان يجري القتال كأفراد لا مجموعة موحدة، كما هو حال المسلمين تحت قيادة القائد الأعلى للمجاهدين محمد ﷺ⁽³⁾.

(1) التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال، تالي، ص 128، بتصرف.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 23/ ص 357.

(3) الرسول القائد، خطاب، ص 77.

والفرق بين الأسلوبين، أن الكرّ والفرّ هو أن يهاجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو، فإن صمد العدو أو أحسوا بالضعف نكسوا، ثم أعادوا تنظيمهم وكرّوا، وهكذا حتى يكتب النصر أو الفشل، أما القتال بأسلوب الصفوف، يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة أو أكثر، وتكون الصفوف الأمامية للمسلحين بالرمح لصدّ هجمات الفرسان، والصفوف المتعاقبة للمسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء، وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها، حتى يفقد المهاجمون بالكر والفر شدتهم، عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبة الزحف على العدو، ويظهر من أسلوب الصفوف بامتياز عن غيره، أنه يؤمن قوة احتياطية بيد القائد يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان، كما أنه يصلح للدفاع والهجوم في وقت واحد على النقيض من الكر والفر⁽¹⁾.

ومما لا شك فيه أن القتال بهذا الأسلوب يعدّ من أهم عوامل النصر للمسلمين في بدر، فقد تبين مدى التعاون والمساندة وقوة الارتباط بين المسلمين في أشد المواقف "موقف القتال" أمام الأعداء⁽²⁾.

ب. حفر الخندق.

لما سمع رسول الله ﷺ باجتماع جيش الكفر من الأحزاب وخروجهم إليه، شاور أصحابه في كيفية التصدي لهم، فأشار عليه سلمان الفارسي بأسلوب عسكري جديد لم تكن العرب تعرفه؛ ليقلب موازين المعركة بحفر الخندق؛ ليحول بين العدو وبين المدينة، فرضي ﷺ رأيه⁽³⁾.

ولما تقدم المشركون ببعض المحاولات الفاشلة لاجتياز الخندق قالوا: "إن هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها من قبل"⁽⁴⁾.

وبعد الهزيمة النفسية التي لحقت بالأحزاب، أراد المشركون أن يشنوا حرباً نفسية برسالة استفزازية، مكتوبة إلى رسول الله ﷺ جاء فيها باسمك اللهم، فإني أحلف باللات والعزى وأساف ونائلة وهبل، لقد سرت إليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبداً حتى أستأصلكم، فرأيتك قد كرهت لقاءنا، واعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها، وإنما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها، وما فعلت هذا إلا

(1) الرسول القائد، خطاب، ص 81.

(2) التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال، تالي، ص 131.

(3) الدرر في اختصار المغازي والسير، النمري، ص 169، بتصرف.

(4) زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم، ج 3/ ص 244.

فرازًا من سيوفنا ولقائنا، ولك مني يوم كيوم أحد، فأرسل له ﷺ جوابه فيه: أما بعد، أي بعد بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى صخر بن حرب، فقد أتاني كتابك، وقديماً غرك بالله الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة، وليأتينَّ عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافاً ونائلة وهبل، حتى أذكرك ذلك يا سفيه بني غالب⁽¹⁾.

وبهذا الأسلوب الجديد من أساليب القتال الذي دخل حروب العرب لأول مرة في التاريخ، استفاد المسلمون الدفاع عن المدينة، فقد كان حفر الخندق هو الأسلوب الثاني بعد أسلوب الصفوف في بدر، لتبرز العبقرية العسكرية من القيادة المسلمة في التشاور والتناصح وأخذ القرارات الصائبة⁽²⁾.

ج. قتال المدن والأحراش.

لما نقضت بني النضير العهد مع رسول الله ﷺ وتآمروا عليه ليقتلوه، وجاءه خبر السماء بذلك، نهض مسرعاً، وتوجه إلى المدينة، ولحقه به أصحابه، فقالوا نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همت به اليهود، فبعث إليهم رسول الله ﷺ، أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدت بعد ذلك ضربت عنقه، فأقاموا أياماً يتجهزون، حتى أرسل إليهم المنافق ابن سلول لا تخرجوا من دياركم وأموالكم، وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون من آخرهم قبل أن يصل إليكم، وتتصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع بذلك رئيسهم حيي بن أخطب، فيما قيل له، فبعث إلى رسول الله ﷺ يقول إنا لا نخرج من دارنا وأموالنا، فاصنع ما بدا لك، فكبر الرسول ﷺ وأصحابه ونهضوا إليه، وعلي بن أبي طالب يحمل اللواء، فلما انتهى إليهم، قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة، وخانهم أبي بن سلول وحلفائهم من غطفان، فشبّه سبحانه وتعالى قصتهم وجعلهم مثل كما⁽³⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: 16].

وبعد تلك الوحدة والعزلة التي عاشتها بنو النضير، نقلوا الحجارة إلى الشوارع، وجعلوا منها متاريس استعداداً للقتال ورائها، فأمر رسول الله ﷺ قتالهم بأسلوب جديد لم يكونوا يتوقعوه، فأمر بقطع نخيلهم والتحريق فيها، حتى لا يكون لهم مجال لحماية أنفسهم من جند المسلمين، فنادوه: أن يا محمد

(1) السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، الحلبي، ج2/ ص440

(2) الرسول القائد، خطاب، ص157، بتصرف.

(3) زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم، ج3/ ص116.

قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها⁽¹⁾، وفي الرد عليهم نزل قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْهَا عَلَىٰ صُورِهَا فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر: 5].
وتكمن أهمية ونجاعة الأسلوب القتالي في حالة غزو بني النضير، أنهم قبل استسلامهم اعتصموا بحصونهم فحاصرهم المسلمون، وكانت حوائطهم خارج قريتهم، فعمد بعض المسلمين إلى قطع بعض نخيل بني النضير؛ ليوسعوا مكانًا لمعسكرهم، ولتخويفهم ونكايتهم، وإجائهم إلى الاستسلام، وإلقاء الرعب في قلوبهم، وإذلالهم بأن يروا أكرم أموالهم عرضة للإتلاف بأيدي المسلمين⁽²⁾.

ويذكر شيبه خطاب: ما قام به المسلمون من تطهير الشوارع والمدن والدور، والانتقال من شارع إلى آخر، ومن دار إلى أخرى؛ حتى ضيقوا الحصار على اليهود، وأجبروهم على التسليم، يدل بوضوح على أن مستوى قيادتهم وضبطهم وتدريبهم كان راقياً جداً⁽³⁾.
وبذلك فقد حقق الرسول ﷺ انتصاراً مؤزراً على من نقض العهد من بني النضير، باتباعه تلك الأساليب التي تتناسب مع طبيعة الميدان، والتي لم تكن بحسابات العدو، فكان لها الأثر الكبير على جلاء يهود.

ومن خلال تنوع الأساليب القتالية التي استخدمها رسول ﷺ والصحابة الكرام في معاركهم مع أعدائهم، والتي لامت ظروف المعارك مكاناً وزماناً وعدداً وعدة، فقد ساهمت في تحقيق النصر والغلبة على الأعداء، وهذا يدل على امتلاك المهارة وفنون القتال المتنوعة، وتوظيفها في مكانها المناسب.

المطلب الثاني: الوسائل القتالية العسكرية

أولاً: الوسائل في اللغة.

1. جمع وسيلة: ما يتقرب به إلى الغير⁽⁴⁾.
2. الوسيلة: المنزلة عند الملك، والدرجة والقرية⁽⁵⁾.
3. توصل فلان بفلان للحصول على وظيفة: اتخذه وسيلة، أي: واسطة، تدرج بدعته واستند إلى تأييده⁽⁶⁾.

(1) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج6/ ص 3519، ينظر.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج28/ ص 75.

(3) الرسول القائد، خطاب، ص 140.

(4) مختار الصحاح، الرازي، ص 338.

(5) تاج العروس، الزبيدي، ج31/ 75.

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج3/ ص 2441.

4. يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول القرية والمكانة.

ثانياً: الوسائل في الاصطلاح.

1. هي الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المقاصد⁽¹⁾.
2. هي الأحكام التي شرعت؛ لأن بها تحصيل أحكام أخرى⁽²⁾.
3. هي الأسلوب الذي يتقرب إلى الغير به⁽³⁾.

تعريف الباحث: الوسيلة هي مجموعة من الأساليب المادية والمعنوية التي تهدف للوصول لغاية ما.

تعريف الوسائل القتالية: هي كل ما يُستخدم في القتال من أدوات وعتاد، أي: ما لا يكون القتال إلا به، كالسلاح بأنواعه، وما يلحق به من ذخيرة وغير ذلك، والدواب المستخدمة في نقل العتاد والمؤن⁽⁴⁾.

لما بالغ المشركون في عدائهم للنبي ﷺ والصحابة الكرام وإيذائهم، أخذ الأمر نحو المواجهة العسكرية، من جهة الكفار كانت للقضاء على دعوة السماء اعتداءً وظلمًا، ومن جهة المسلمين كانت للحفاظ على سير خُطى الدعوة ثابتة كما أمر الله بها؛ لتحرير العباد من الانقياد لغير الله.

يُذكر أن: "الكفار استخدموا وسائل متعددة للصدّ عن سبيل الله، حيث بدأوا في مواجهة النبي، فكانت الوسيلة الأولى في تلك المعركة سلاح الدعاية والتشهير، ومن ثم سلاح المساومة، وعندما رأى الكفار أن هذه الأمور لم تقف حاجزاً أمام المد الإسلامي، لجأوا إلى سلاح التعذيب والمقاطعة، بعد ذلك انتقل التفكير إلى المواجهة العسكرية"⁽⁵⁾.

وما دام الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الاجتماع البشري، وما دامت الموعظة الحسنة لا ترد ظلماً ولا تدفع اعتداءً، فلا بدّ للحق من قوة يدفع بها حتى تتحقق سنن الله في النصر، ولهذا

(1) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مخدوم، ص 47.

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية، بن عاشور، ص 256.

(3) التعريفات، الجرجاني، ج1/ ص252.

(4) وسائل القتال وأساليبه في الإسلام، حنفي، ص 5.

(5) الجهاد في الإسلام، شديد، ص 28 - 33، بتصرف.

أمر الله تعالى بإعداد القوة التي ترهب العدو، فلا يطمع في الاعتداء على المؤمنين⁽¹⁾، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ. عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

فهذه الآية تُعد دستور الإعداد للقتال، ومن حقها (الآية)، أن نقف على معاني كلماتها، فكلمة ﴿وَأَعِدُّوا﴾ جعل الله بها الاستعداد فريضة تصاحب فريضة الجهاد، فهي كلمة واسعة الدلالة تشمل كل ما يمكن الاستعانة به في مقاومة الأعداء، وقد رمزت إلى معاني دقيقة ومهمة تعدُّ سرًّا من أسرار النصر، فمن معاني ﴿وَأَعِدُّوا﴾، أنها تحمل معنى واصنعوا؛ لأن الإعداد يحتاج إلى عقل سليم، وتفكير طويل، وجهد كبير، والسرُّ في أن الله جعل الغاية من إعداد القوة إنما هو إرهاب العدو وتخويله، ومن المعلوم أن هذا لا يأتي من شراء الأسلحة من الخارج، لاسيما إذا اشتريناها من مصانع العدو، فيكشف قوتنا ومواطن النقص في إعدادنا، فلا يخاف منا ولا يحسب لنا حساباً⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، هذه حدود التكليف بإعداد القوة، ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، فهي حدود الطاقة إلى أقصاها، بحيث لا يقصر المسلمون عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتهم⁽³⁾، والقوة كلمة تتسع لكل ما عرف ويعرف من آلات الحرب، ومن جميع ما يتوقف عليه النصر⁽⁴⁾.

ومن خلال هذا التوجيه القرآني للمجاهدين في سبيل الله بأن يتخذوا كل وسائل القتال لمحاربة أعداء الله، جاء الأمر من الله تعالى بصناعة ما يلزم لذلك، وقد نوّه الله بامتثانه على الناس بإنزال الحديد بياسه ومن الشديد، ومنفعته للناس، وفي ذلك توجيه للمسلمين نحو المادة التي تعدُّ بحق هي الأولى في إعداد العدة، وإبراز القوة⁽⁵⁾.

(1) الجهاد في سبيل الله، القدس، ص 200.

(2) المرجع السابق، ص 200.

(3) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج 3 / ص 1544.

(4) تفسير القرآن الكريم، شلنتوت، ص 195.

(5) المرجع السابق، ص 195.

ومن العلوم التي أشاد القرآن بقيمة المهارة فيها، الصناعات الحربية وجملة الفنون التي تحتاج إليها الأمة في الدفاع عن حقوقها، وجعل القرآن العناية بالصناعة الحربية آيةً على صدق الإيمان وحسن الجهاد⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَصْرُهُ، وَرُسُلَهُ، بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25].

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقول ابن كثير يعني: السلاح كالسيوف، والحراب، والسنان، والنصال، والدروع، ونحوها، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: في معاشهم كالسكة والفأس، والمنشار، والإزميل، والمجرفة، والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونها⁽²⁾.
إن القوة شيئاً لا بد منه في تمتع أرباب الحق بحقهم، وفي تمتع الناس بالخير في هذه الحياة، ونحن إذا نظرنا إلى تاريخ الإسلام وجدنا أمته أدركت سر الحياة، وعرفت أنها في القوة، فتسلحت بها واعتمدت عليها، وكونت القوة منها أمة تأمر فتطاع، وتحكم فتعدل، وتقف في صف المظلوم فيصل إليه حقه⁽³⁾.

ومن هنا، جاء أمر الله تعالى للمسلمين أن يصنعوا أسلحتهم بأيديهم وفي مصانعهم، حتى لا ينتسّر لعدوهم الاطلاع على أسرار قوتهم العسكرية، فيطمع في الاعتداء عليهم والنيل منهم⁽⁴⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلَ بِهِ أَجْزَالُ أَوْيٍّ مَعَهُ، وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10 - 11].

في هذه الآيات الكريمة إشارة إلى أهمية الصناعة العسكرية، وقد امتن الله على سيدنا داود بهذه النعمة، فجعل الحديد الصلب الذي يعجز البشر كلهم في التعامل معه إلا من خلال النار والطرق، أمراً سهلاً ليناً، يقول المراغي: أي: جعلنا الحديد في يده ليناً يسهل تصويره وتصريفه كما يشاء، فيعمل منه الدروع وآلات الحرب على أتمّ النظم وأحكم الأوضاع، فيجعل حلقاتها على قدر الحاجة فلا هي

(1) العسكرية في الإسلام، محفوظ، ص 39.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 8/ ص 28.

(3) تفسير القرآن الكريم، شلتوت، ص 192، بتصرف.

(4) الجهاد في سبيل الله، الدقس، ص 201.

بالضيقة فتضعف ولا تؤدي وظيفتها لدى الكر والفر والشد والجذب، ولا هي بالواسعة التي ربما ينال صاحبها من خلالها الأذى، وهذا تعليم من الله له في إجادة نسج الدروع⁽¹⁾.

وصناعة الأسلحة من أهم وسائل الجهاد في سبيل الله، فقد قال ﷺ مرغباً في هذه الصناعة، ما جاء عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: (إن الله يدخل ثلاثة نفر الجنة بالسهم الواحد صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به ومنبله)⁽²⁾.

ومن أهم وأشهر الوسائل العسكرية التي استخدمها المسلمون الأوائل في معاركهم في سبيل الله، الأسلحة الفردية (الخفيفة)، والأسلحة الجماعية (الثقيلة).

أولاً: الأسلحة الفردية (الخفيفة)

1. السيف

يعد السيف من أهم الأسلحة وأشرفها، وأشهر الأدوات الحربية عند العرب، ومن أحبها إلى نفوسهم، ولذلك كثرت أسماؤه عندهم، ولهجوا بها في أشعارهم، وكانوا لتمكنهم من استخدامه وإفهم له يقولون عن السيف: إنه يغني عن غيره، ولا يغني عنه غيره، ويعمل به عمل السلاح كله، فكانوا يطعنون به كالرمح، ويضربون به كالعمود، ويجعلونه سوطاً ومقرعة، ويتخذونه جمالاً ووجاهة في المأ، وأنيساً في الوحدة، ورفيقاً للسائر⁽³⁾.

لذلك أشاد ﷺ بفضله، وبالطريق التي يوصل إليها، فقد كان رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم، فقال: (يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)، ثم قام النبي ﷺ، وقال: (اللهم، منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم، وانصرنا عليهم)⁽⁴⁾.

(1) تفسير المراغي، المراغي، ج22/ ص 64.

(2) ضعيف: السنن الكبرى، النسائي، كتاب الجهاد، باب، ثواب من رمى بسهم في سبيل الله ج4/ ص289، حديث رقم، 4339.

(3) الطريق إلى المدائن، كمال، ص 77، ينظر.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، 3/ 1511 حديث رقم 1902.

والسيف كان سلاح الفارس والراجل على السواء، وهو في الراجلين (المشاة - الرجالة) أكثر، وكان العرب يجيدون استخدامه ركباناً ومشاة وقعوداً⁽¹⁾.

وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، قال: سمعت أبي، وهو بحضرة العدو، يقول: قال رسول الله ﷺ: (إن أبواب الجنة تحت ظلل السيوف)، فقام رجل رثُ الهيئة، فقال: يا أبا موسى، أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، قال: "فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل"⁽²⁾.

2. السهام والنبال

عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"⁽³⁾.

يبينُ هذا الحديث فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك؛ بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح، والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدريب والتحكُّق فيه ورياضة الأعضاء بذلك⁽⁴⁾.

يقول المناوي: أي في أمر العدو بأن يدفع عنكم شرهم وتغلبوا عليهم وتغنموا، وكأنه قال إن الله سيفتح عليكم الروم قريباً وهم رماة وسيكفيكم الله شرهم بواسطة الرمي (فلا يعجز) بكسر الجيم أمر (أحدكم أن يلهو بأسهمه) أي يلعب بنباله ولا عليكم أن تهتموا بالرمي إذا حاربتهم الروم وتكونوا متمكنين منهم وإنما أخرج مخرج اللُّهو إمالة للنفوس على تعلمه فإنها مجبولة على ميلها للُّهو⁽⁵⁾.

(1) الطريق إلى المدائن، كمال، ص 79.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمنى لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء، ج3/ص1362، حديث رقم، 1742.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، ج3/ص 1522، حديث، رقم 1917.

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج13/ص64.

(5) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج4/ص 97، حديث رقم 4666.

وعن علي عليه السلام، قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أحد: (يا سعد ارم فداك أبي وأمي)⁽¹⁾.

في الحديث إشارة لأهمية إصابة الأهداف، وما لها من أثر حاسم في كسب المعارك، والرمي أعم من أن يكون بالسهم، بل يكون بالرصاص والقنابل وغيرها من وسائل قتالية⁽²⁾.

3. الرمح

يعدُّ من الأسلحة المهمة في ميدان القتال، فقد كان يُتَّخذ من فروع أشجار صلبة، وهو سلاح عريق في القدم، شاع استعماله عند الشعوب القديمة، وكان أكثر شيوعاً عند الأمم التي تتراد الصحراء، ومنهم العرب، وكان للرمح أطوال مختلفة، تتراوح بين الأربع أذرع والخمسة والعشرة وما فوقها⁽³⁾.

واستخدم المسلمون الرمح في معاركهم؛ كسلاح مهم للفرسان والمشاة على السواء، لكنه في الفرسان أكثر وأنسب من السيف، وشأنه ككل أدوات الحرب يحتاج إلى مران ودرية⁽⁴⁾.

وللرمح عند العرب والمسلمون مكانة وأهمية كبيرة، مستمدة من وحي النبوة، لاسيما في معاركهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة، والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)⁽⁵⁾.

في الحديث إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا، ولا بجمعها واكتنازها، ولا الاجتهاد في السعي في أسبابها، وإنما بعثه داعياً إلى توحيده، فمن أنكر ذلك فليس له سوى السيف، فيقتل أعداء الممتنعين عن قبول دعوة التوحيد، ويستبيح أموالهم، ويسبي نساءهم وذريتهم؛ فيكون رزقه مما أفاء الله من أموال أعدائه، فإنَّ المال إنما خلَّقه لبني آدم؛ يستعينون به على طاعته وعبادته، فمن استعان به على الكفر بالله والشرك به، سلَّط الله عليه رسوله وأتباعه، فانترعوه منه، وأعادوه إلى

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل

المؤمنون} ج5/ص97، حديث رقم، 4059.

(2) الجهاد في سبيل الله، القدس، ص 204.

(3) أسلحة المسلمين القديمة، إسلام ويب، الرابط، <https://www.islamweb.net/ar/article/135549>

(4) الطريق إلى المدائن، كمال، ص 81.

(5) صحيح: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، ج9/ص 123، حديث رقم، 5114.

مَنْ هو أولى به من أهل عبادة الله وتوحيده وطاعته؛ ولهذا يسمّى الفَيء لرجوعه إلى مَنْ كان أحقَّ به⁽¹⁾.

وتعادل الأسلحة الفردية الخفيفة المتنوعة من السيف والسهم والنبال والرمح، في زماننا الأسلحة الخفيفة من الكلاشنكوف والمسدس وسلاح القنص الفردي، فهذا السلاح الأبيض والآلي يستخدمه المقاتل أثناء الاشتباكات العسكرية المسلحة في ميدان المعركة.

ثانيًا: الأسلحة الجماعية (الثقيلة).

1. المنجنيق.

آلة حربية ثقيلة تُستخدم لقذف الأحجار والسهم وقوارير النفط أو أي مقذوفات أخرى باتجاه العدو⁽²⁾.

فهو سلاح شديد النكاية بالأعداء، بعيد الأثر في قتالهم، فبجارته تُهدم الحصون والأبراج، وبقنابله تُحرق الدور والمعسكرات، وهو يشبه سلاح المدفعية الحديثة⁽³⁾.

2. الدبابات.

آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال، فيدبون إلى الأسوار لينقبوها⁽⁴⁾، وهي شبه برج متحرك لها أربعة أبواب، يتحرك هذا البرج على عجلات، وتصعد على طبقاته الجنود لنقب الحصون وتسلق الأسوار، وقد عرف الفرس استخدام الدبابات وأخذها عنهم العرب⁽⁵⁾.

وقد كانت تصنع من الخشب المكسوة بالجلد، يدخلها الرجال؛ لتحميهم من ضربات عدوهم وسهامهم وحجارتهم وزيتهم المغلي ونيرانهم⁽⁶⁾.

استخدام المسلمين هذا النوع من السلاح، فرضتها أرض المعركة؛ إذ لا يمكن اختراق الحصون والمباني المرتفعة بسلاح تقليدي مثل السيف والرمح وبعض الأسلحة الخفيفة.

(1) موقع طريق الإسلام، الرابط، <https://ar.islamway.net/article/74226/>

(2) معجم المصطلحات العسكرية عربي - إنجليزي، السلوم، ص 141.

(3) أسلحة المسلمين القديمة، إسلام ويب، تاريخ النشر، 2006/8/31.

(4) الروض الأنف والمشرع الروي فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واحتوى، السهيلي، ج2/ ص 391.

(5) السلاح في الإسلام، زكي، ص 24.

(6) الطريق إلى المدائن، كمال، ص 91.

"فعندما بدأ مسير النبي ﷺ إلى الطائف، ونزل قريباً من أسوار المدينة وعسكر عندها، صوب المشركون نبالهم نحو المسلمين كأنها رجل من جراد، فأوقعوا بالمسلمين خسائر في الأرواح، فقرر رسول الله ﷺ الانسحاب بعيداً عن مرمى النبال، وفكر المسلمون في وسيلة يستطيعون بها التغلب على ثقيف وإجبارهم على الاستسلام، فكانت الرؤية العسكرية باستخدام سلاح جديد، فكانت الدبابات والمنجنيق الأسلحة المناسبة"⁽¹⁾.

ولكن أهل الطائف كانوا من المهارة والدربة في الحرب ما أكره المسلمين على الفرار من تحتها، وعدم الاستفادة منها، ذلك أنهم أحموها قطعاً من الحديد بالنار، حتى إذا انصهرت ألقوها على الدبابات فأحرقتها، ففرّ الجنود المسلمون من تحتها خيفة أن يحترقوا، فرمتهم ثقيف بالنبال فقتلت بعضهم، وهكذا لم تفد هذه المحاولة الجادة المبتكرة في نقب الحصون والدخول منها، وهذا يدل على لون من ألوان إعداد العدة للأعداء، وعلى مبلغ تقبل النبي ﷺ والصحابة واستعمالهم لكل سلاح مستطاع في الحروب"⁽²⁾.

المطلب الثالث: المبادئ العسكرية القتالية

تعريف المبادئ

أولاً: المبادئ في اللغة

1. بدأ الباء والبدال والهمزة من افتتاح الشيء يقال: بدأت بالأمر وابتدأت، من الابتداء، والله تعالى المبدئ والمبادئ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [١٣] ﴿[البروج:13]، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:20] ويقال: للأمر العجب بدي، كأنه من عجه يبدأ به"⁽³⁾.

وفي أسماء الله عز وجل المبدئ: "هو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداءً من غير سابق مثال، وبدأ الخلق بدءاً وأبدأهم بمعنى خلقهم"⁽⁴⁾.

(1) ينظر، مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، قريبي، ج1/ص300.

(2) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، أبو شهبه، ج2/ص476، بتصرف.

(3) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1/ص212.

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج1/ص103.

2. المبدأ: "هو أول الشيء ومادته التي يتكون منها، كالنواة مبدأ النخل، أو يتركب منها كالحروف مبدأ الكلام"⁽¹⁾.

3. المبادئ: "القواعد الأساسية التي يقوم عليها العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون التي يقوم عليها ولا يخرج عنها"⁽²⁾.

يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول:

- أ. الابتداء.
- ب. أول الشيء.
- ت. القواعد التي يقوم عليها الشيء، (الأساس الذي يقوم عليه الشيء).

ثانياً: التعريف الاصطلاحي للمبادئ:

1. هي التي يتوقف عليها مسائل العلم، كتحرير المباحث وتقرير المذاهب، فللبحث أجزاء ثلاثة مرتبة بعضها على بعض، وهي المبادئ، والأواسط، والمقاطع، وهي المقدمات التي تنتهي الأدلة والحجج إليها من الضروريات والمسلمات، وهي التي لا تحتاج إلى البرهان، بخلاف المسائل، فإنها تثبت بالبرهان القاطع⁽³⁾.
2. هي فكرة عامة شاملة تتبثق عنها أفكار فرعية، أو تنظم على ضوءها عمليات فيزيائية أو كيميائية أو تربوية أو علاقات اجتماعية⁽⁴⁾.

تعريف الباحث:

مجموعة من القواعد والأسس الثابتة التي يُبنى عليها عمل سواء على الصعيد الإنساني أو العلوم بجميع تنوعاتها وفق معايير الانضباط في كل مجال.

التعريف الاصطلاحي للمبادئ العسكرية:

1. هو حكم عملي ملزم يعمل على إنجاز المهمة العسكرية ووقايتها من الفشل، والحفاظ على إدارة العمليات والمعارك، وإنجاز الأهداف بنجاح⁽⁵⁾.

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج1/ ص42.

(2) المصدر السابق، ج1/ ص42.

(3) كتاب التعريفات، الجرجاني، ص197.

(4) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، النحلاوي، ص55.

(5) منتدى المواجهة العسكرية، الرابط على الشبكة، www.moqatel.com.

2. هي دلائل عسكرية أساسية يزيد العمل بها فرصة الحصول على نتائج أفضل، إذا طبقت بشكل متقن وصحيح وفي الوقت المناسب⁽¹⁾.

تعريف الباحث: هي قواعد ملزمة لأفراد الجيش، وتنفيذها بالطريقة التي أعدت لها؛ للحصول على نتائج مرضية.

رابعاً: أهم المبادئ العسكرية القتالية.

المبادئ العسكرية في الإسلام تختلف عن غيرها من المبادئ، فالقتال وفق الشريعة السمحة ليس قتالاً همجياً ولا عدواناً سافراً ولا قتالاً مُجرّداً من كل خلق وفضيلة، والإسلام كدين سماوي لا يُحب سفك الدماء، ولا يدعو إلى الحرب من أجل القتل، ولا يهدف إلى إهلاك الخلق، ولا إلى إبادة البشرية، بل هو رسالة الرحمة والرأفة، ورسالة إنقاذ البشرية وتخليصها من الظلم والبغي والعدوان، ورسالة نشر السلم والأمن والأمان، والقتال فيه ضرورة واستثناء؛ لذلك هناك جملة من المبادئ يجب الالتزام بها، وهي:

1. تحديد الهدف:

الهدف في اللغة:

أ. كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل⁽²⁾.

ب. الهدف: الغرض⁽³⁾.

يرى الباحث: أن الهدف هو الشيء البارز الواضح من كل شيء.

الهدف في الاصطلاح:

أ. الهدف: كل شيء عظيم مرتفع⁽⁴⁾.

ب. الهدف: كل بناء مرتفع مشرف⁽⁵⁾.

ت. الهدف: غرض يسعى الإنسان إلى تحقيقه⁽⁶⁾.

تعريف الباحث: أن الهدف هو ذلك الأمر الظاهر الواضح الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقه.

(1) مبادئ الحرب، الرابط على الشبكة، <https://elsarm2909.wordpress.com/2013/06/14>

(2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص، 861.

(3) العين، الفراهيدي ج4/ص28.

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص 343.

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج5/ص251.

(6) التأصيل الإسلامي للأهداف المهارية، جوارنة، ص 33.

إن مبدأ تحديد الهدف هو مفتاح كل عمل، وهو لا ينطبق على الأعمال العسكرية فحسب، وإنما ينطبق على كل مجالات الحياة، وقبل التفكير بأي عمل ينبغي معرفة ما هي غايته؛ لأنه الأساس؛ لكي يتم إنجاز الهدف، والأساس لكل الأعمال وإن كانت عسكرية_ هي أنها تخضع لمحفز يؤمن به الفرد أو الجماعة أو الدولة، وهذا المحفز هو الهدف الذي يترجم إلى أعمال وأقوال، إذن الهدف هو البوابة التي يخطو عبرها الفكر إلى عالم واقعي يتجسد بالكلمة والفعل.

وقد نظم الإسلام جميع جوانب الحياة المتعلقة بالدين والدنيا من جميع الجوانب، ووضع خير المناهج والمبادئ لكل ما يتصل بها من الأهداف، فقد أنار لنا القرآن الطريق، وبين لنا تلك المبادئ المتعلقة بالعسكرية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: 190]، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم أي: دافعوا الذين يبتدونكم بالقتال، والمراد بالمبادأة دلائل القصد للحرب، بحيث يتبين المسلمون أن الأعداء خرجوا لحربهم، وليس المراد حتى يضرروا ويهجموا، فقوله: ولا تعتدوا أي لا تبتدئوا بالقتال، وقوله: إن الله لا يحب المعتدين تحذير من الاعتداء، وذلك مسالمة للعدو، واستبقاء لهم وإمهالهم حتى يجيئوا مؤمنين، ولا تتجاوز أحكام الحرب والاعتداء والابتداء بالظلم⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُمْ فَلَاعْدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 193].

يظهر الهدف والغاية من القتال في هذه الآية بآلاً تكون فتنة، فإذا انتهت الفتنة فتلك غاية القتال، وإن نقضوا العهد في المدة التي بينكم على ترك القتال، فقد أصبحتم في حل من عهدهم، فلکم أن تقاتلهم حتى لا تكون فتنة أخرى، وانتفاء الفتنة يتحقق بأحد أمرين: إما بأن يدخل المشركون في الإسلام فتنتزعتهم فيه، وإما بأن يقتلوا جميعاً فتزول الفتنة بفناء الفاتنين، وقد حصل كلا الأمرين في المشركين ففريق أسلموا، وفريق قتلوا يوم بدر وغيره من الغزوات⁽²⁾.

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج2/ ص 201.

(2) المرجع السابق، ج2/ ص 207.

فدلت الآية على أن الهدف من القتال هو التخلص من الكفر، فجعل الغاية عدم الكفر، وما تابعه من أذى المؤمنين⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: 29].

هذه الآية أمرٌ بقتال الكفار من اليهود والنصارى الذين لا يؤمنون إيمانًا صحيحًا يصدقونه بأفعالهم وأعمالهم، ولا يحرمون ما حرم الله، ولا يتبعون شرعه في تحريم المحرمات، ولا يدينون بالدين الصحيح، وإن زعموا أنهم على دين، فإنه دين غير الحق، فأمر تعالى بقتالهم؛ لأنهم يدعون إلى ما هم عليه من الباطل، ويحصل الضرر لكثير من الناس بسببهم، وحتى يعطوا الجزية أي: المال الذي يكون جزاء لترك المسلمين قتالهم، وإقامتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم، بين أظهر المسلمين، يؤخذ منهم كل عام، كل على حسب حاله، من غني وفقير ومتوسط، كما فعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره، من أمراء المؤمنين، ويدفعوها وهم أذلة، وإن لم يعطوا الجزية يقاتلون حتى يسلموا⁽²⁾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقبموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"⁽³⁾.

يقول ابن حجر: (لا يلزم من إباحة المقاتلة إباحة القتل؛ لأن المقاتلة مفاعله تستلزم وقع القتال من الجانبين، وليس كذلك القتل، وليس القتال من القتل بسبيل، فقد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله)⁽⁴⁾.

وعن سليمان بن بريدة⁽⁵⁾ عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ، بعث أميرًا على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه، وبمن معه من المسلمين خيرًا، وقال: "إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال، أو خلال فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم:

(1) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ج2/ ص 584.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 334.

(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}، ج1/ ص14، حديث رقم 25.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، ج1/ ص76.

(5) سليمان بن بريدة بن الحبيب الأسلمي أخو عبد الله بن بريدة، ولدا في بطن واحد على عهد عمر بن الخطاب، توفي سنة خمس ومائة، وله تسعون سنة، الثقات، لابن حبان، ج4/ ص 303.

ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفياء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله تعالى وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله تعالى، فلا تنزلهم فإنكم لا تدرن ما يحكم الله فيهم، ولكن أنزلوهم على حكمكم، ثم اقضوا فيهم بعد ما شئتم⁽¹⁾.

ومن أبرز الأمثلة التي جادت بها السيرة النبوية الدالة على تحديد الهدف، والسعي إلى تحقيقه ما فعله رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية، فقد كان هدفه من تلك الغزوة حشد قوى المسلمين والتأثير على معنويات قريش من غير قتال، فخرج محرماً واستصحب أسلحة الراكب (سلاح شخصي وهو السيف)، فلما علم باقتراب قوات قريش من قواته، سلك بجيشه طريقاً وعراً، فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ للناس: قولوا نستغفر الله ونتوب إليه، فقالوا ذلك، فقال: والله إنها للحطة⁽²⁾، التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها للتخلص من القتال، حتى وصل بقواته إلى الحديبية واستقر، فأرسلت قريش عدداً من مقاتليها لتهاجم معسكر المسلمين، ليصيبوا أحداً، وقد ألقوا بالحجارة والنبال على جيش المسلمين، ولما تمكن منهم المسلمون، أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلي سبيلهم، وبقي هناك مصرراً على هدفه، في عدم محاربة قريش، وإظهار نيته السلمية بعدم القتال حتى تم عقد الصلح⁽³⁾.

الخلاصة: من خلال الآيات والأحاديث والسيرة النبوية العملية، تتبين الأهمية الكبيرة لتحديد الأهداف والسعي لتحقيقها؛ لما لها من توفير جهد وعناء ودماء، حتى وإن كان في بداية الأمر أشياء لا ينتبه إليها جميع المسلمين من صعوبة وتنازل بعض الشيء في اتخاذ القرارات، وتبين من خلال أهم المصادر الإسلامية التي نستقي منها المنهج السليم، أن الأهداف العسكرية لم تكن من أجل القتال وسلب الأموال والاعتداء، إنما في المقام الأول لتعبيد الناس لله رب العالمين، وقتل الفتنة ومنعها من

(1) صحيح: سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، ج3/ص 37، حديث رقم، 2612.

(2) الحطة، حط عنا ذنوبنا، أي محوها، تهذيب اللغة، لأبي منصور، ج3/ص 267، بتصرف.

(3) السيرة النبوية، ابن هشام، ج2/ص 312، ينظر.

الانتشار التي إذا استشرى هلك الناس، وقتال الكافرين الذين يصدون عن دين الله ويناصبون العداة
لأمة الإسلام.

2. التحشيد:

الحشد في اللغة:

أ. بمعنى اجتمعوا⁽¹⁾.

ب. الحشد من الناس: الجماعة، ومن الرجال، من لا يدع عند نفسه شيئاً من النصر والجهد والمال
إلا بذله⁽²⁾.

ج. حشد الجند: هبوا للنصرة⁽³⁾.

يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور: حول الاجتماع والنصرة والبذل.

الحشد في الاصطلاح:

أ. هو جمع أكبر قوة ممكنة في مواجهة العدو⁽⁴⁾.

ب. هو جمع أكبر عدد من القوات المقاتلة وتوجيهها إلى الغرض الرئيس⁽⁵⁾.

ت. هو تجميع أكبر قدر ممكن للقوات في المراكز القتالية الرئيسة⁽⁶⁾.

تعريف الباحث: هو جمع العدد الأكبر والأقوى للقوات المقاتلة في ميدان القتال لتحقيق الهدف
الرئيسي من ذلك.

التحشيد وقت السلم هو سياسة عمل غير معلنة، تتقلب وقت القتال من طاقات كامنة إلى
طاقات حركية، فالتحشيد هو عملية مستمرة سلمًا وحرًا، حيث إن الاسترخاء على وسادة الاطمئنان،
واستبعاد وجود الصراع المسلح، حتى وإن كانت لا توجد هناك مؤشرات حول احتمال حدوث الصراع،
يعدُّ أمرًا مرفوضًا، إذ لا يعرف متى ستجتمع الغيوم في السماء وينهمر المطر، ومعنًا ذلك فإن الوقاية
خير من العلاج، ولهذا فإن التحشيد في الحدود الدنيا، (يكون في الأفراد، التجهيزات، الأسلحة،
الاقتصاد، المعنويات)، فبذلك يعدُّ ضمانة صحيحة تدار من خلالها خطر المباغة عند حدوث

(1) مختار الصحاح، الرازي، ج1/ ص 73.

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج1/ ص 175.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج1/ ص 499.

(4) المدرسة العسكرية الإسلامية، محمد فرج، ص 606.

(5) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، فرج، ص 177.

(6) المبادئ العامة للحروب التقليدية، يونس، ص 14.

الصراع، والغريب أن العسكريين المحدثون يعتبرونها آراء جديدة في الحرب الحديثة، ولكن العكس هو الصحيح، حيث طبقها المسلمون قبل أربعة عشر قرناً خلت، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) [التوبة: 41].

نزلت هذه الآية في الذين اعتذروا بالضيعة والشغل، فأبى الله تعالى أن يعذرهم دون أن ينفروا على ما كان منهم⁽¹⁾.

قال المراغي في تفسيره: بعد أن توعد الله من لم ينفروا مع الرسول ﷺ وتناقلوا حين استنفارهم، أتبعه بالأمر الجازم الذي لا هوادة فيه، فأوجب النفير العام على كل فرد، فلا عذر لأحد في التخلف وترك الطاعة⁽²⁾.

صورة أخرى من صور التحشيد الرياني للمؤمنين في معاركهم، وأن نزول الملائكة ليس إلا بشرى لقلوبهم لتأنس بهذا وتستبشر، وتطمئن به وتثبت⁽³⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴾ (١٣٤) [آل عمران: 124]، ومن قبيل التحشيد المستمر، قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلَى إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (١٣٥) [آل عمران: 125].

وذكر هنا أن الله وعدهم بثلاثة آلاف ثم صيرهم إلى خمسة آلاف، ووجه الجمع بين الآيتين أن الله وعدهم بثلاثة آلاف، ثم صيرهم إلى خمسة آلاف، ووجه الجمع بين الآيتين أن الله وعدهم بألف من الملائكة وأطمعهم بالزيادة بقوله: مردفين قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ سَتَعِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ (٩) [الأنفال: 9].

أي مردفين بعدد آخر، ودل كلامه هنا على أنهم لم يزلوا وجلين من كثرة عدد العدو، فأراد الله بذلك زيادة تثبيتهم ثم زادهم ألفين إن صبروا واتقوا، وقد ثبت أن الملائكة نزلوا يوم بدر لنصرة المؤمنين، وشاهد بعض الصحابة طائفة منهم، وبعضهم شهد آثار قتلهم رجالاً من المشركين⁽⁴⁾.

(1) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ج1/ ص 246.

(2) تفسير المراغي، المراغي، ج10/ ص 123.

(3) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج1/ ص 470.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج4/ ص 73.

والنبي ﷺ لم يبدأ بالجهاد إلا بعد حشد المسلمين وإكمال الاستعدادات الأمنية والعسكرية والاقتصادية، فقد طبق الرسول ﷺ مبدأ الحشد في كل معاركه ولم يتردد أبداً في حشد أكبر قوة مادية ومعنوية في كل معركة خاضها، وغزوة تبوك مثل حي على ذلك، فقد حشد النبي القائد عدد كبير من المسلمين ما تخلف إلا ثلاثة منهم، وقد كان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد المسير، وشدّة الزمان، وكثرة العدو؛ ليتأهب الناس لذلك أهبطه، فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم⁽¹⁾.

3. توحيد القيادة:

القيادة في اللغة:

- أ. (قود): القاف والواو والداد أصل صحيح يدل على امتداد في الشيء، والقائد من الجبل: أنفه، والأقود من الناس: الذي إذا أقبل على الشيء بوجهه لم يكد ينصرف⁽²⁾.
- ب. القود: نقيض السوق، فالقود من أمام والسوق من خلف⁽³⁾.
- ت. والأقود من الرجال: الشديد العنق، سمي بذلك لقلة التفاته⁽⁴⁾.
- ث. والقائد من الجيش: رأسه ومدبر أمره⁽⁵⁾.

يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول: مقدمة الأمر، وشدته، ومدبر أمره، ويتبين أن القائد يكون في المقدمة ليس دليلاً بلا فائدة، بل موجهاً ومرشداً.

القيادة في الاصطلاح:

1. كل من يتولى شيئاً من أمور المسلمين العامة فالخليفة وعماله، وقواد الجيش والقضاة، ورؤساء الشرطة والوزراء، وغيرهم ممن يقومون بأعمال عامة في الدولة الإسلامية⁽⁶⁾.
2. هي النشاط الذي يمارسه شخص ما يحتل موقعاً وظيفياً على هرم رأسي يتيح له الموارد اللازمة ليقود⁽⁷⁾.

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، ج2/ص516، ينظر.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5/ص38.

(3) لسان العرب، ابن منظور، ج3/ص370.

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ج2/ص529.

(5) تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر أن دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه، محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، ج8/ص404.

(6) القيادة والجنديّة في الإسلام، الوكيل، ج1/ص115.

(7) القيادة، كيث جرينت، ص13.

3. هي عملية تحريك الناس نحو هدف⁽¹⁾.

تعريف الباحث: هي القدرة على التوجيه والتأثير لدى الأفراد، لتحقيق أهداف معينة وفق ما يتوفر من إمكانيات.

إن القيادة في الإسلام نابعة من الوحي الإلهي الذي أوحاه الله لنبيه محمد ﷺ ومن أجل ذلك كان لزاماً على الأمة أن تقتدي بقيادتها، فلقد كان القرآن الكريم الموجه الأول لقائد الأمة الإسلامية محمد ﷺ فهو القدوة الحسنة في القيادة وفن التعامل، والقرآن يزخر بالآيات الكثيرة التي توجه الرسول في مختلف أمور الحياة⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

ويلعب توحيد القيادة دوراً بارزاً في كل الميادين، فهو من أهم المتطلبات لإنجاح أي مهمة، لاسيما في ميادين العسكرية، حتى يتوحد ويغتمم أيما اغتنام؛ لذلك نجد القرآن الكريم تحدث عن الطاعة للقائد وهذا من أساس العمل المنظم، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

لما أمر سبحانه القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالحق، أمر الناس بطاعتهم هاهنا، وطاعة الله عز وجل هي امتثال أوامره ونواهيه، وطاعة رسوله ﷺ فيما أمر به ونهى عنه، وأولي الأمر، هم الأئمة، والسلطين، والقضاة، وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله⁽³⁾. وردت في الآية الطاعة لله والرسول، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، ولم يقل وأطيعوا أولي الأمر؛ لنفهم أن أولي الأمر لا طاعة لهم إلا من باطن الطاعتين⁽⁴⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80]

(1) صناعة القائد، سويدان و شرحبيل، ص 40.

(2) القيادة والجندي في الإسلام، الوكيل، ج1/ ص117 بتصرف.

(3) فتح القدير، الشوكاني، ج1/ ص556.

(4) خواطر الشعراوي، الشعراوي، ج4/ ص2358.

من يطع الرسول فقد أطاع الله، فما يأمر به من حيث هو رسول فهو من الله، وهو العبادات والفضائل، والأعمال العامة والخاصة التي تحفظ بها الحقوق، وتدرأ المفساد، وتحفظ المصالح، فمن أطاعه في ذلك؛ لأنه مبلغ له عن الله فقد أطاع الله بذلك؛ لأن الله لا يأمر الناس وبيناهم إلا بواسطة رسل منهم، يفهمون عنهم ما يوحيه الله إليهم ليلبغوه عنه، وأما ما يقوله الرسول من عند نفسه، وما يأمر به مما يستحسنه باجتهاده ورأيه من الأمور الدنيوية والعادات، كمسألة تأبير النخل، وما يسميه العلماء أمر الإرشاد، فطاعته فيه ليست من الفرائض التي فرضها الله لأنه ليس ديناً ولا شرعاً عنه تعالى، وإنما تكون من كمال الأدب وقدوة الحب⁽¹⁾.

وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)⁽²⁾.
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره فإن عليه منه)⁽³⁾.
قال الإمام علي عليه السلام ما أمرتكم به من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم، وما كرهتكم وما أمرتكم به من معصية الله أو غيري فلا طاعة لأحد في المعصية، الطاعة في المعروف الطاعة في المعروف الطاعة في المعروف⁽⁴⁾.

وعن الإمام علي عليه السلام: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤدي الأمانة، فإذا فعل فحق على الناس أن يسمعوا له، وأن يطيعوا، وأن يجيبوا إذا دعوا⁽⁵⁾.

الخلاصة: يتبين من خلال الآيات والأحاديث أن توحيد القيادة، واتباعها من أهم الأمور التي تعين على تحقيق الأهداف، وتوحيد الجهد واستثماره بشكل مناسب غير مهدر.

(1) تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج5/ص224.

(2) حسن: سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، ج3/ص36، حديث رقم، 2608، والطبراني، في المعجم الأوسط، ج8/ص99، حديث رقم، 8093.

(3) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، محمد بن إسماعيل البخاري، ج4/ص50، حديث رقم، 2957.

(4) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين، الشهير بالمتقي الهندي، ج5/ص780، حديث رقم، 14369.

(5) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين، الشهير بالمتقي الهندي، ج5/ص764، حديث رقم، 14312.

4. الأمن:

الأمن في اللغة:

- أ. (أمن)، الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق⁽¹⁾.
- ب. أمن الرجل أمانة فهو أمين إذا صار كذلك هذا أصلها، ثم سمي ما تأتمن عليه صاحبك أمانة⁽²⁾.
- ت. أمن، أمان، الحالة التي يطمئن فيها الشخص فلا يتوقع مكروهاً⁽³⁾.
- ث. وأمن الرجل: حافظ على عهده وصان ما أوتمن عليه، عكسه خان⁽⁴⁾.

يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول: الاستقرار واطمئنان القلب، والأمانة التي ضد الخيانة.

الأمن في الاصطلاح:

- أ. "هو الإجراءات الأمنية التي تُتخذ لحفظ أسرار الدولة وتأمين أفرادها ومنشأتها ومصالحها الحيوية في الدّاخل والخارج"⁽⁵⁾.
- ب. "هو الذي يعني السلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف على حياة الإنسان، أو على ما تقوم به حياته من مصالح وأهداف وأسباب ووسائل، أي ما يشمل أمن الإنسان الفرد، وأمن المجتمع"⁽⁶⁾.
- ت. "هو السلام والطمأنينة وديمومة مظاهر الحياة واستمرار مقوماتها وشروطها بعيداً عن عوامل التهديد والخطر"⁽⁷⁾.
- ث. "هو تأمين المصلحة ودرء المفسدة عن الفرد والمجتمع، فهو يتناول روحاً وجسداً، ويتناول دنياه وآخرته"⁽⁸⁾.

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1/ ص 133.

(2) المغرب في ترتيب المعرب، عبد السيد، ص، 29.

(3) تكلمة المعاجم العربية، رينهارت بيتر أن دُوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه، محمّد سلّيم النّعيمي، جمال الخياط، ج1/ ص191.

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج1/ ص122.

(5) الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، الشاملة الذهبية، ج1/ ص6.

(6) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، التركي، ص، 17.

(7) الأمن والأمن القومي مقاربات نظرية، مراد، 12/2.

(8) الأمن والأجهزة الأمنية من وجهة نظر إسلامية، الزير، ص 49.

تعريف الباحث: الأمن هو مجموعة من الإجراءات الاحترازية التي يقوم بها الفرد والجماعة للحماية من المخاطر التي تهدد الحياة والمصالح.

لقد ذكر القرآن الكريم الأمن بوصفه أحد أهداف استقرار حاكمية الله عز وجل، وعرف خلافة الصالحين في الإمامة، فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55].

هذا وتبرز أهمية الأمن في الدولة الإسلامية؛ لذلك لا ينبغي نسيان هذا المبدأ عند وضع السياسات الشاملة، فالأمن بوصفه أحد السياسات الشاملة يجب أن يكون دليلاً ومؤثراً في رسم السياسات العامة والجزئية، ومن دون الاهتمام به لن تصل السياسة المرسومة إلى نتيجة، هذا ويمثل المجتمع الآمن مثلاً وقوة للمجتمعات الأخرى⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقٌهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: 112].

فإن حاجة الإنسان إلى الأمن ملازمة لكيانه وحياته، لا تتفك عنه، كما لا ينفك عنه وجوده، سواء في ذلك الإنسان البدائي أو المدني، البدوي أو المتحضر، وإن تأمين حياة الإنسان والشعور بالاستقرار والراحة النفسية من أهم وأول المطالب التي يحتاجها الإنسان في حياته، فلا حياة مستقرة بدون أمن، ولا نستطيع ممارسة العبادة بخشوع وتدبر بدون الأمن، فوجوده في حياة الإنسان مهم جداً، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في أكثر من موضع، منها حين ذكر الله عز وجل قصة القرية التي أوتيت نعمتين من أهم النعم وهما نعمتي الأمن والغذاء⁽²⁾.

والم تأمل الآية الكريمة يجد أن الله تعالى قد أنعم على تلك القرية بنعمة عظيمة أهمها نعمة الأمن والاستقرار، فحفظها من غارات الأعداء لا ينتابها فزع ولا خوف، ولما جعل الله تعالى في قلوب العرب من تعظيم الحرم وسكانه، آتاهم رزقاً واسعاً، فلما كذبوا الرسول وكفروا بأنعم الله أذاقهم الله لباس

(1) التفسير السياسي للقرآن الكريم دراسة في المبادئ المعرفية، حسني، ص 135-136.

(2) كيف تتعم أسرنا بالأمن دراسة تأصيلية تربوية، البيانوني، ص 20.

الذل والجوع والاضطراب، أي: جزاهم الله بالجوع والخوف بسبب صنيعهم الفاسد وهو اضطهاد المؤمنين بعد كفرهم وشركهم وإصرارهم على ذلك⁽¹⁾.

وقد نبه القرآن الكريم وأثار حفيظة المؤمنين باتخاذ التدابير الأمنية اللازمة والحفاظ على اليقظة والحذر من الناحية العسكرية، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71].
وابتدأ بالأمر بأخذ الحذر، وهي أكبر قواعد القتال لاتقاء خدع الأعداء، والحذر هو توقي المكروه، ومعنى ذلك ألا يغتروا بما بينهم وبين العدو من هدنة وصلاح، فإن العدو وأنصاره يتريصون الدوائر بالمسلمين⁽²⁾.

فاليقظة والحذر والوعي كلها تدفع إلى كتمان الأسرار التي جعلها الإسلام أمانة من الأمانات يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)⁽³⁾.

فمبدأ الأمن يعدُّ الجدار الصلب الذي يتحصن خلفه الفرد، كما أنه يعدُّ ترسًا لفكر المقاتل، يدرأ عنه الضربات التي تحاول اختراق فكره، فقد كان النبي يُعنى بالأمن عناية كبيرة، فكان لا يدخل معركة إلا بعد معرفة حالة العدو ومعسكراته ومواقعه العسكرية وطبيعة الأرض، وكان يستقي كل هذه المعلومات من خلال بث السرايا وطلائع الاستكشاف لترقب حركات العدو والقضاء على جواسيسه قبل أن يوصلوا الأخبار إلى الأعداء⁽⁴⁾.

وقد ابتكر النبي ﷺ أسلوب الرسائل المكتومة مراعاة للسرية والأمن، فقد بعث سرية من المهاجرين على رأسهم عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب، مقفلة من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتابًا، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدًا، فلما سار عبد الله بن

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري ج/3 ص 162 بتصرف.

(2) التحرير والتوير، ابن عاشور، ج/5 ص 118.

(3) صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، ج/2 ص 1205.

(4) مخابرات دولة الرسول، محمد الشافعي، ص 188.

جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب، قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشاً، حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فمأضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد⁽¹⁾.

والأمن العام هو الذي تطمئن إليه النفوس، وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء، الأمن أهناً عيش، والعدل أقوى جيش؛ لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم وانتظام جملتهم؛ لأن الأمن من نتائج العدل، والجور من نتائج ما ليس بعدل⁽²⁾.

5. الروح المعنوية

المعنويات في اللغة

- أ. عُنِيْتُ بِالشَّيْءِ أُعْنَى بِهِ مِنْ الْعِنَايَةِ فَأَنَا مَعْنَى بِهِ⁽³⁾.
- ب. (عنى) العين والنون والحرف المعتل أصول ثلاثة: الأول القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثاني دال على خضوع وذل، والثالث ظهور شيء وبروزه⁽⁴⁾.
- ت. عني بالأمر: اهتم به⁽⁵⁾.

يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول: الاهتمام والحرص وظهوره على النفس.

المعنويات في الاصطلاح:

- أ. مجموعة تتكون من الجوانب النفسية والعقلية والانفعالية والشخصية التي تعمل على حفز الفرد للعمل، والتعاون مع أفراد الجماعة التي ينتمي إليها لتحقيق أهداف الجماعة، وذلك على اعتبار أنها تسهم في تلبية حاجاته وتحقق له حالة من الرضا⁽⁶⁾.

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، ج1/ ص602/601.

(2) أدب الدنيا والدين، بالماوردي، ج1/ ص142.

(3) جمهرة اللغة، ابن الحسن ج2/ ص955.

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس ج4/ ص146.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج2/ ص1566.

(6) مبادئ الإرشاد النفسي في المجال العسكري، البلوي، ص148.

ب. قدرة الفريق على التكاتف بإصرار ومثابرة وثبات من أجل تحقيق هدف مشترك⁽¹⁾.

ت. حالة نفسية يكون عليها الجنود بحيث يتميزون بعلو الهمة، والدافعية للقتال وحسن القيام بما يكلفون به من مهام، مع وجود الثقة بالذات والثقة بالقيادة⁽²⁾.

تعريف الباحث: هي عبارة عن مجموعة من المؤثرات النفسية التي تدفع النفس البشرية بالعزيمة والإصرار لتحقيق هدف ما.

والمعنويات مصدرها ومنبعها هي الروح التي هي القوة الدافعة والمحركة للجسم، فالإنسان ليس ذلك الهيكل الجسماني المشاهد فقط، ولكنه جسم وروح، مظهر وجوهر قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29].

فالروح المعنوية هي وسيلة مهمة لتحويل الهزيمة إلى نصر، والنصر إلى هزيمة، والجيوش تقهر حينما يأخذ اليأس طريقه إلى مقاتليها، فالفرد في ظرف معين وتحت تأثير ظروف معينة يكون شجاعاً متحمساً قوياً مفعماً بالرغبة الجامحة في مواجهة العدو والتصدي للأخطار، بينما تجده في ظرف آخر خائفاً، متردداً، فاقد القوة والنشاط؛ لذلك فالحالة النفسية للفرد تنعكس على سلوكه إيجاباً أو سلباً، ولهذا فهي عامل نفسي جذوره وأساسه قوة إيمان الشخص المقاتل المتحلي بالصبر وقوة الإرادة كما بين الله عز وجل في القرآن الكريم قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرن من الزمن عندما خاطب نبيه محمد ﷺ: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاحِدُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأفغان: 65].

فالقرآن الكريم يرفع من معنويات المؤمنين بكلام الله الذي ينزل على نفوسهم برداً وسلاماً، حتى في لحظات البلاء والشدائد، فعندما نعلم ما أصاب الذين سبقونا نوقن بأن الطريق واحد، وأنه مهما أصاب هذه الأمة فإنه لحكم يريدتها الله سبحانه وتعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214].

(1) مهارات بناء وتحفيز فرق العمل، رضوان، ص 75.

(2) مبادئ الإرشاد النفسي في المجال العسكري، البلوي، ص 148.

والروح المعنوية سلاح خفي غير ظاهر لا يتمكن الأعداء من رصدته أو تدميره بالأسلحة المضادة، وهي وسيلة من وسائل الصراع المسلح غير المادية التي لا يمكن قياسها، ولكن يمكن قياس نتائجها من خلال ثبات المقاتلين، وإدامة رغبتهم في القتال حتى الانتصار، والروح المعنوية أقوى الدوافع النفسية التي تملأ المقاتلين حمية وشجاعة ومتى رسخ في قلب المقاتل إيمان بالقضية التي يحارب من أجلها، وأقدم ببسالة صوب العدو كان في ميزان القوى ذا قوة خاصة لا يتسامى إليها غيره، ولذلك حرص الإسلام على بثّ هذه الروح المعنوية في نفوس جند الإسلام، فلما أصيب المسلمون بالإحباط في غزوة أحد عندما قتل منهم سبعون، فكان الصحابة يحتاجون إلى رفع المعنويات، بعد الذي لاقوه من الهزيمة والجراحات والقتل، فقال الله لهم مخففاً ومسلماً ورافعاً لنفوسهم: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: 139].

ولئن كان الله سبحانه قد نزع الغرور من نفوس عباده المجاهدين، **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنفال: 17].

فقد نزع رسول الله ﷺ اليأس والقنوط من نفوسهم أيضاً؛ إيماناً منه بأثر الإعداد المعنوي والنفسي في تقرير مصير الحرب؛ إذ هي الباعث الأساسي لإرادة القتال، فهي مستودع القوة والقدرة على مواجهة مشاق المعركة وأهوالها والتغلب عليها، والتصميم على، حراز النصر على العدو مهما كانت التضحيات⁽¹⁾.

6. المباغثة

المباغثة في اللغة

أ. المباغثة: المفاجئة باغت الخصم: فاجأه بالهجوم، وأتاه على حين غفلة وعلى غير انتظار أو توقع⁽²⁾.

ب. بغت: أن يفاجئك الشيء⁽³⁾.

ت. بَعَثَ: البَعَثُ بالنَّاءِ: المفاجأة⁽⁴⁾.

(1) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية، محفوظ، ص 251.

(2) اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج1/ص228.

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج1/ص243.

(4) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، ج1/ص585.

ينضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول: المفاجئة وعدم التوقع.

المباغنة في الاصطلاح

- أ. تعني الظهور أمام العدو في وقت لا يقدّره، وبصورة لا يتوقعها، وبأسلوب يجهله⁽¹⁾.
- ب. هي إحداث موقف لا يكون العدو مستعداً له⁽²⁾.
- ت. المبادرة بالعمل في الاتجاه الصحيح بطريقة تخالف توقع العدو وتقديره⁽³⁾.

تعريف الباحث: الظهور على العدو بشكل لا يتوقعه زماناً ومكاناً، وبأسلوب مغاير للمتوقع.

تعد المباغنة من أهم المبادئ العسكرية التي تُحدث الرعب والارتباك في صفوف العدو، فقد كان الغرض الذي يرمي إليه الرسول ﷺ من استخدام المباغنة، هو نفس الغرض في حروب اليوم، فقد كان القائد الأول لهذه البشرية يهدف إلى إضعاف قوة وعزيمة العدو بإدخال الخوف في نفوس أفرادها حتى يصبحوا غير قادرين على التحمل والقتال، ومن المعلوم أن جيش الرسول ﷺ كان يتصف بقلّة العدد والعدة والسلاح وأن التفوق العسكري المادي يقف دائماً في جانب العدو، ومع ذلك كانت نتائج المعارك تقف إلى جانب الرسول ﷺ، ومعنى هذا أن مباغنة الرسول ﷺ لم تكن عددية، بل كانت تكتيكية استراتيجية⁽⁴⁾.

والمباغنة تكون في المكان والزمان والأسلوب المناسب، والمباغنة أن تقوم بحركة من مكان لا يتوقعه العدو كما فعل ﷺ في الاستيلاء على بئر بدر، والسبق لاعتلاء جبل أحد "جبل الرماة"، وكذلك استطاع أن يفاجئ العدو بأسلوب القتال صفوفاً في بدر، وحفر الخندق في الأحزاب، ولم يغفل القائد العسكري ﷺ المباغنة الزمانية والسرعة الخاطفة في غزوة بني قريظة، فشل حركة العدو، وأحبط معنوياتهم، وبالتالي فإن زمام المعركة لم تخرج من يده، حتى نهاية المعركة⁽⁵⁾.

(1) المدرسة العسكرية الإسلامية، فرج، ص 611.

(2) الرسول القائد، خطاب، ص 94.

(3) المبادئ العامة للحروب التقليدية، يونس، ص 5.

(4) العبقورية العسكرية في غزوات الرسول، فرج، ص 180.

(5) الرسول القائد، خطاب، ص، 168، بتصريف.

وقد تضمن القرآن الكريم مبدأ المباغته العسكرية في الخمس الأول من آيات سورة العاديات، وذلك كنموذج يحتذى به في الفكر العسكري، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا ۝۱﴾ فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ۝۲﴾ فَالْمُعِيرَتِ صُبْحًا ۝۳﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝۴﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝۵﴾ [العاديات: 1-5].

يجري سياق هذه السورة في لمسات سريعة عنيفة مثيرة، ينتقل من إحداها إلى الأخرى قفزًا وركضًا ووثبًا، في خفة وسرعة وانطلاق، وتبدأ بمشهد الخيل العادية الضابحة، القادحة للشرر بحوافرها، المغيرة مع الصباح، المثيرة للنقع وهو الغبار، الداخلة في وسط العدو فجأة تأخذه على غرة، وتثير في صفوفه الذعر والفرار⁽¹⁾.

وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا أَي: العاديات عَدُوًّا بليغًا قويًّا، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها، عند اشتداد العَدُوِّ، والسرعة في الإغارة والمفاجأة⁽²⁾.

فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا: والمقصود الموريات التي توري النيران قدحًا، فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند⁽³⁾.

رسمت هذه الآية الكريمة صورة لتشكّل الهجوم الذي يشنه فرسان الإغارة، بأنه هجوم مباغت سريع وخاطف ومرعب، لا يقوى العدو على مواجهته بسهولة، ويستخدم هذا النوع من الهجوم غالبًا للتغلغل القصير المدى في مناطق العدو، وذلك لتحقيق أهداف مرحلية.

فَالْمُعِيرَتِ صُبْحًا:

لقد حددت هذه الآية زمن الإغارة والمباغته وهو الصبح، وعني بذلك الخيل تغير على العدو وقت الصبح، وكانوا يغيرون صباحًا؛ لأنهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيئًا، وأما النهار فالناس يكونون فيه كالمستعدين للمدافعة والمحاربة، أما هذا الوقت فالناس يكونون فيه في الغفلة وعدم الاستعداد⁽⁴⁾.

(1) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج6/ ص3957.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ج1/ ص932، بتصرف.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج24/ ص561.

(4) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج23/ ص260.

يقول صاحب التبيان: (خص الإغارة والمباغطة بالصباح؛ لأن العدو لم ينتشروا إذ ذاك، ولم يفرقوا محلهم، وأصحاب الغارة مستريحون يبصرون مواقع الغارة، والعدو لم يأخذوا أهبتهم، بل هم في غرتهم وغفلتهم)⁽¹⁾.

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا:

أي: أثرن في ذلك الوقت وهو وقت الإغارة، الغبار من الأرض من شدة عدوهم وسرعة المباغطة على ميدان العدو⁽²⁾.

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا:

أي: كناية عن القوة، والدربة، وسرعة الوصول، ومن ثم امتلاك ناصية الحرب، والسيطرة على وسط الميدان كرا وفرًا، وتكتيكًا ونصرًا، وكأن الآية حددت مكان الإغارة، وهي وسط جمعهم التي تعتبر مركز القيادة، فيتحقق بذلك القضاء على قيادة العدو، وتفريق جمع الجنود، في وقت قصير. والعطف بالفاء هنا ملائم لجو الموقف الذي تسيطر عليه الأخذة والمباغطة والسرعة الخاطفة، فمراحل الإغارة تتم جميعًا في تدافع سريع لا تراخي فيه، وتتعاقب واحدة في إثر أخرى في حسم قاطع، إذ ليس بين العدو الذي هو مرحلة الابتداء واقتحام الجمع الذي هو ذروة الإغارة، إلا ما بين هذه الآيات القصار المتتابعة في تلاحق وترابط⁽³⁾.

7. التعاون

التعاون في اللغة

- أ. العون: الظهير على الأمر⁽⁴⁾.
ب. وتعاون الجيران: تضامنوا، وساعد بعضهم بعضًا⁽⁵⁾.
ج. العون: جمع أعوان، وهو المعين من كل شيء⁽⁶⁾.

(1) البيان في أيمان القرآن، ابن القيم، ص 121.
(2) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج30/ص501.
(3) التفسير البياني للقرآن، عبد الرحمن، ص 209.
(4) لسان العرب، ابن منظور، ج13/ص298.
(5) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج2/ص1580.
(6) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصطفى، وآخرون، ج2/ص638.

يرى الباحث: أن التعاون في اللغة يحمل معنى المساعدة والأنصار والظهير.

التعاون في الاصطلاح

1. هو المساعدة على الحق ابتغاء الأجر من الله سبحانه⁽¹⁾.

2. هو توحيد العمل والتضامن من أجل الوصول إلى الهدف⁽²⁾.

3. توحيد كافة الجهود للوصول إلى أقصى جهد مشترك⁽³⁾.

يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول: التكاتف بين الأعوان والأنصار لتحقيق هدف ما.

يعدُّ التعاون بين المسلمين من أصول الدين وقواعده الثابتة، حيث إن الأمة الإسلامية أمة واحدة

وقبلتها واحدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿١٣﴾ [الأنبياء: 92].

أي: إن الدين عند الله هو الانقياد له وحده لا يقبل غيره، وعليه اتفق جميع الأنبياء والشرائع، فعليكم أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً من صنم أو وثن، أو حجر أو بشر⁽⁴⁾.

ولذلك حرص الإسلام على أن يكون التعاون متكاملًا لأجل خير الإنسان ورفي البشرية، ورسول الله كان دائم السعي لتحقيق هذا الخلق الإسلامي العظيم بين أصحابه، وقد تجلّى التعاون في ميادين القتال كافةً، حيث كان التعاون بين جيوش المسلمين عاملاً مهماً من عوامل النصر في كل المعارك التي خاضوها، وكان القادة يشعرون بأهميته إيماناً منهم وامتثالاً⁽⁵⁾، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلْتِمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢﴾ [المائدة: 2].

أي: ليعن بعضكم بعضاً على البر الذي هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة، والتقوى في هذا الموضع اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال

(1) موسوعة الأخلاق الإسلامية، خالد الجزار، ج3/ص441.

(2) المدرسة العسكرية في الإسلام، محمد فرج، ص 621.

(3) معجم المصطلحات العسكرية، عوض، ص 117.

(4) تفسير المراغي، المراغي، ج17/ص69.

(5) سورة التوبة دراسة عقائدية عسكرية، العزيز، ص 77.

الظاهرة والباطنة، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك⁽¹⁾.

والقادة المسلمون كانوا يدركون أهمية التعاون وآثاره، ولعل هذا الإدراك نبع من تفهمهم جيداً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ فكان جهادهم وسعيهم في سبيل الله برّاً بالله وبرّاً بالإسلام، وكان كفاهم المتصل نوعاً راقياً من التقوى⁽²⁾.

وقد دلنا القرآن على الطريق الواضح الذي يحقق هذا المبدأ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

أي: تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهدت إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والتعاون والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله⁽³⁾.

وقد جسدت السنة النبوية التعاون قولاً وعملاً، فكانت القيادة المسلمة المتمثلة في شخص النبي ﷺ أنموذجاً رائعاً، وهو يعمل في الخندق كباقي المسلمين؛ لينشطهم في عملهم الشاق الذي لم يعتادوه من قبل⁽⁴⁾.

وجاء في صحيح البخاري، عن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم⁽⁵⁾ ويقولون: نحن الذين بايعوا محمداً، على الإسلام ما بقينا أبداً، والنبي ﷺ يجيبهم ويقول: (اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة)⁽⁶⁾.

8. الهجوم

- أ. (هجم): الهاء والجيم والميم: أصل صحيح واحد يدل على ورود شيء بغتة⁽⁷⁾.
- ب. أي: غارت ودخلت في موضعها، ومنه الهجوم على القوم: الدخول عليهم⁽⁸⁾.
- ت. (هجم) على الشيء بغتة من باب دخل⁽⁹⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 219

(2) المدرسة العسكرية الإسلامية، فرج، ص 623.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 7/ ص 70.

(4) مغازي، الواقدي، ج 2/ ص 445 بتصرف.

(5) أي، على ظهورهم.

(6) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، ج 4/ ص 25، حديث رقم، 2835.

(7) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 6/ ص 37.

(8) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج 5/ ص 247

(9) مختار الصحاح، الرازي، ص، 324.

ينضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول: الدخول المفاجئ غير المتوقع.

الهجوم في الاصطلاح

- أ. هو البدء في القتال الذي يؤدي إلى كسب السيطرة، ويمنح حرية العمل، ويلزم العدو باتخاذ خطة الدفاع، ويرفع من روح المقاتلين المعنوية في الوقت الذي يضعف فيه روح الطرف الآخر⁽¹⁾.
- ب. الهجوم: إتيان الشيء على غفلة⁽²⁾.
- ت. هو ذلك العمل العقلي والمعنوي والمادي الذي يولد الرغبة في النصر من خلال القدرة على تنفيذ العمل الحاسم⁽³⁾.

تعريف الباحث: الهجوم هو ذلك العمل القتالي المفاجئ الذي يشبط الروح المعنوية للعدو، ويزيدها للمهاجمين كعامل قوي لكسب المعركة.

وعند إمعان النظر في كتاب الله تعالى، نجد أنه تقرر الدفاع عن النفس المظلومة من أعداء الله، والجهاد في سبيل الله، فقد كان المسلمون في أول الإسلام ممنوعين من قتال الكفار، ومأمورين بالصبر عليهم، لحكمة إلهية، فلما هاجروا إلى المدينة، وأوذوا، وحصل لهم منعة وقوة، أُذن لهم بالقتال، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39]. ويفهم من ذلك أنهم كانوا قبل ممنوعين، فأذن الله لهم بقتال الذين يقاتلون، وكذلك يفهم من الآية عدم المبادأة والهجوم والتعرض لأحد⁽⁴⁾.

أما الآيات التي قررت الجهاد، فنجد أن المبادأة والهجوم واضحة فيها، بل هي دعوة من الله للمؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً ؕ اتَّخَذْتَهُمْ ؕ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 13 - 14]. وَيُخْرِجُهُمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ [التوبة: 14].

تأتي هذه الآية لمواجهة ما حاك في نفوس الجماعة المسلمة من تردد وتهيب بالإقدام على هذه الخطوة الحاسمة⁽⁵⁾.

(1) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، أسعد، ص 102.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص، 342.

(3) المدرسة العسكرية الإسلامية، فرج، ص 615.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 539.

(5) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج 3/ ص 1610.

فهذه الآية تحمل تهيج وتحريض وإغراء على قتال المشركين الناكثين لأيمانهم وعهودهم، وتجروهم على إخراج الرسول ﷺ من مكة، ومبادئهم أول مرة بالقتال يوم بدر، حين خرجوا لنصر غيرهم، فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على طلب القتال، بغياً وتكبراً، فلا تخشوهم واخشون، فالله أحق من أن يخشى⁽¹⁾.

وقد تناول القرآن الكريم مبادئ عسكرية مهمة للمعركة الهجومية، ونظرًا لأنها تتم في عصرنا اليوم من خلال مجموعة من المراحل، سنتعرف ماذا قال القرآن الكريم عنها في كل مرحلة، وكيف عبّر عنها، فالمعركة الهجومية تتم من خلال مراحل متعددة، والتي تسمى مبادئ الهجوم العسكري.

9. الاقتصاد في القوى

الاقتصاد في اللغة

- أ. هو إتيان الشيء⁽²⁾.
- ب. استقامة الطريق⁽³⁾.
- ت. القصد: استقامة الطريق، ومنه الاقتصاد/ وهو فيما له طرفان: إفراط وتفريط⁽⁴⁾.

يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول: التوسط والاعتدال دون إسراف.

الاقتصاد في الاصطلاح

- أ. هو العلم بكيفية استخدام الإنسان للموارد المختلفة لسدّ الحاجات⁽⁵⁾.
- ب. دراسة سلوك الإنسان في إدارة الموارد النادرة وتنميتها لإشباع الحاجات⁽⁶⁾.
- ت. الاقتصاد رتبة بين رتبتين، ومنزلة بين منزلتين، والمنازل ثلاثة: التقصير في جلب المصالح، والإسراف في جلبها، والاقتصاد بينهما⁽⁷⁾.

تعريف الباحث: الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة وتوظيفها في المكان المناسب حسب الحاجة الإنسانية دون إفراط ولا تفريط.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4/ ص 117.

(2) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، اليماني، ج8/ ص 5519.

(3) لسان العرب، ابن مكرم، ج3/ ص 353.

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص 272.

(5) مبادئ الاقتصاد الإسلامي، اللحياني، ص 10.

(6) أصول الاقتصاد الإسلامي، المصري، ص 13.

(7) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ابن عبد السلام، ج2/ ص 205.

الاقتصاد في القوى

- أ. هو حشد أعظم قوة تجاه الغرض الأساسي مع تخصيص القوات الأقل للعمليات الثانوية⁽¹⁾.
- ب. هو حشد مجموع القوات على ألا يفصل عنها سوى ما تتطلبه الحاجة⁽²⁾.
- ت. هو الاكتفاء عند دفع القوات للاشتباك الفعلي بالقدر الملائم منها للظروف، مع الاحتفاظ بالقوات المتبقية دون دفعها⁽³⁾.

تعريف الباحث: حشد قوة قتالية لأداء مهمة معينة دون التأثير على قوة الجيش الرئيسية.

لقد كان العنصر العربي المسلم قليلاً، إذا ما قورن بأعداد الجيوش المعادية؛ لهذا فقد اتبع أسلوب عدم تبديد القوى المقاتلة والحفاظ على القوى الضاربة⁽⁴⁾، وقد تحقق مبدأ الاقتصاد في القوى والإمداد في القرآن الكريم في سياق الحديث عن غزوة بدر حيث، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٢٥﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: 124 - 125].

وفي سورة الأنفال، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَعْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: 9].

وجاءت معنى الكفاية في الآية الكريمة ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾، تتناغم مع مبدأ الاقتصاد بالقوى، التي تعني مقدار ما فيه سد الخلة والحاجة فقط⁽⁵⁾.

وفي هذه الآيات جاء المدد بالملائكة من عند الله بشرط، التمسك بالصبر والتقوى والثبات في المعركة حين يخرج المشركون عليهم، والمدد بالملائكة لفائدة تثبيت قلوب وأقدام المسلمين؛ لأنهم بشر يحتاجون إلى العون في صورة قريبة من مشاعرهم وتصوراتهم ومألوفاتهم⁽⁶⁾.

ويظهر المبدأ نصيب كبير في تاريخ العسكرية الإسلامية، وعند النظر في سيرة النبي ﷺ نجد أن مبدأ الاقتصاد بالقوى متحقق في معظم غزوات الرسول، فقد قسم رسول الله ﷺ جيشه، وهياهم

-
- (1) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، أسعد، ص 99.
 - (2) المدرسة العسكرية الإسلامية، فرج، ص 607.
 - (3) المبادئ العامة للحروب، يونس. ص 12.
 - (4) فن الحرب الإسلامي، العسلي، ج1/ ص 187.
 - (5) تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ج3/ ص 840.
 - (6) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج1/ ص 471.

صَفْوَةً لِلْقِتَالِ، فَاَنْتَخَبَ مِنْهُمْ فَصِيلَةً مِنَ الرَّمَاةِ الْمَاهِرِينَ، قَوْمَهَا خَمْسُونَ مَقَاتِلًا، وَأَعْطَى قِيَادَتَهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ بْنِ النُّعْمَانِ (1).

فَعَنْ بِنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (احْمُوا ظَهْرَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نَقْتُلُ، فَلَا تَتَصَرَّوْنَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنَمْنَا فَلَا تَشْرِكُونَا) (2).

قَدْ جَاءَ هَذَا التَّقْسِيمُ مِنَ الْقَائِدِ الْعَسْكَرِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُعْتَمِدًا عَلَى مَبْدَأِ الْاِقْتِصَادِ فِي الْقُوَى، فَلَمْ يَكْلَفْ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ مَقَاتِلَ لِحِمَايَةِ ظَهْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ وَاقِعَ الْمَعْرَكَةِ لَا يَتَطَلَّبُ الْعَدَدَ الْأَكْثَرَ، وَهَذَا مِنَ الْعَبْقَرِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ.

المطلب الرابع: الأوامر العسكرية

لَا قِيَمَةَ لِجَيْشٍ دُونَ أَنْ يَهَيْمَنَ عَلَيْهِ الْاِنْضِبَاطُ وَاللِّتِمَازُ بِالْأَوَامِرِ الْعَسْكَرِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالسَّلُوكِ السَّلِيمِ حَتَّى فِي غَيْبَةِ الْأَوَامِرِ وَبِدُونِ حَاجَةٍ إِلَى رَقِيبٍ وَفِي جَمِيعِ الظُّرُوفِ، وَلِهَذَا لَمْ تَكُنِ الطَّاعَةُ لِأَنْظِمَةِ الْجَيْشِ وَقَوَانِينِهِ أَمْرًا مُسْتَحَبًّا أَوْ مَنْدُوبًا إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ، لَمَا أَثْمَرَ الْاِنْضِبَاطُ الْمُنْشُودُ، بَلْ كَانَتْ الطَّاعَةُ أَمْرًا وَاجِبًا لَا رِخْصَةَ فِيهِ، حَتَّى جُعِلَتْ طَّاعَةُ وَليِ الْأَمْرِ فِي كُلِّ الْمَجَالَاتِ وَمِنْهَا الْمَجَالُ الْجَيْشِ وَالْجِهَادِ قَرِينَةَ لَطَّاعَةِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ (3).

فَقَدْ جَاءَ الْأَمْرُ بِالطَّاعَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ ٥٩ ﴿النساء: 59﴾

أَمْرَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِطَّاعَتِهِ وَطَّاعَةِ رَسُولِهِ وَذَلِكَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِمَا، الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحَبِّ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِمَا، وَأَمْرَ بِطَّاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ وَهُمْ، الْوَلَاةُ عَلَى النَّاسِ، مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْحُكَّامِ وَالْمَفْتِنِينَ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لِلنَّاسِ أَمْرٌ دِينِيًّا وَدُنْيَاً إِلَّا بِطَّاعَتِهِمْ وَالْاِنْقِيَادِ لَهُمْ؛ طَّاعَةَ اللَّهِ وَرِغْبَةَ فِيمَا عِنْدَهُ، وَلَكِنْ بِشَرَطِ الْأَيْمَارِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنْ أَمَرُوا بِذَلِكَ فَلَا طَّاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ (4).

(1) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري ص 230.

(2) حديث حسن: مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج 4/ ص 369، حديث رقم 2609.

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، ص 1098، بتصرف.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ج 1/ ص 183.

لأن طاعة الأوامر العسكرية تعدُّ أساساً مهماً من أسس الروح العسكرية، وهي ما يطلق عليها في المصطلحات العسكرية (الضبط)، وقد قرر العلماء العسكريون أن الفرق بين الجندي الجيد والرديء، أن الأول مطيع والثاني غير مطيع؛ لأن الالتزام والانضباط المتين من أهم مزايا الجندية، والطاعة يجب أن تكون في السرِّ والعلن، فعندها يصل الجندي إلى أرق درجات الضبط المتين، التي تنص على إطاعة الأوامر وتنفيذها عن طيب خاطر⁽¹⁾.

وكذلك فقد حث القائد العام للقوات العسكرية المسلمة على الالتزام بالطاعة لله وللرسول ﷺ ولأولي الأمر، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال: عن النبي ﷺ أنه قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)⁽²⁾.

والمراد بالطاعة فيما نحن بصدده هو طاعة الأوامر العسكرية الصادرة من القيادة العسكرية للجيش، إلى الأفراد الخاضعين لتلك القيادات، سواء فيما يتعلق بتدبير شؤون الحرب وقت السلم، أو تدبير شؤون القتال في وقت الحرب⁽³⁾.

ونجد في القرآن الكريم إشارات عظيمة نتعلم منها الأهمية البالغة للطاعة العسكرية وتنفيذ الأوامر؛ لنعرف المجاهد الصابر من غيره، وقد كانت قصة طالوت القائد الذي يمتلك من الصفات العسكرية ما تؤهله لقيادة حكيمة وقرارات سليمة، برهان على مدى أهمية الالتزام بتلك التعليمات العسكرية، لاسيما وهو ذاهب لمعركة عسكرية بجيش قد تعرض لهزائم متعددة، ليقابل جيشاً لديه نشوة كبيرة بالانتصار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ [البقرة: 249].

(1) ينظر، النصر والإسلام، خطاب، ص 172-173.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، ج3/ ص 1466، حديث رقم، 1835.

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، هيكل، ص1096.

هنا تجلت حكمة الله تعالى أولاً باختيار القائد العسكري، وثانياً باختبار الجيش الذي سيواجه قوة من الأعداد كبيرة، وذلك عبر الطاعة لقائدهم، واستنفار القوة الكامنة التي تكون في الإرادة التي تضبط الشهوات والنزوات، وتصمد أمام الحرمان والمشاق، وتستعلي على الضرورات والحاجات، فالقائد لا بد أن يختبر جنده ليعلم من يصبر ويصمد أمام رغباته، ومن ينقلب على عقبيه، فكان الأمر للجيش بعدم الشرب من النهر حتى الارتواء، إلا شربة ماء تبل الظمأ، فكانت المخالفة والعصيان للأوامر، بأن شرب معظم الجيش وسقطوا أمام شهواتهم، وانفصلوا عن الجيش؛ لأنهم لا يصلحون للمهمة الملقاة على عاتقهم، وكان من الخير ومن الحزم أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف؛ لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة، والجيش ليست بالعدد الضخم، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق، ودلت هذه التجربة على أن النية الكامنة وحدها لا تكفي ولا بد من التجربة العملية، ومواجهة واقع الطريق إلى المعركة قبل الدخول فيها، ودلت كذلك على صلابة عود القائد المختار الذي لم يهزه تخلف الأكترية من جنده عند التجربة الأولى بل مضى في طريقه نحو الجهاد في سبيل الله⁽¹⁾.

يتضح من هذا النموذج العسكري أن الجيش كان لديه نية وإصرار كبير في القتال، لكنه سقط أمام أول أمر عسكري كونه يتنافى مع استعداداته العملية، فالجهاد في سبيل الله لا يكفي الترتيبية الإيمانية العلمية وحدها، بل لا بد من تربية وإعداد عملي.

وقد ظهر نموذج آخر في مخالفة وعصيان الأوامر العسكرية التي أدت إلى هزيمة لجيش المسلمين وقتل منهم الكثير، على الرغم من التأكيد عليهم بالبقاء على الجبل، حتى ولو تخطفت جيش المسلمين الطير، وهذه دلالة للدور العظيم في المهمة الموكلة لهم، لكنهم لم يصمدوا أمام رؤية الغنائم التي بدت لهم أول المعركة، ولو التزموا بتلك التعليمات لما حدث ذلك لهم، لكن قدر الله غالب.

فعندما عسكر المسلمون بالشعب من أحد جاعلين ظهرهم إلى الجبل، ورسم النبي ﷺ الخطه لكسب المعركة، فجاءت محكمة رائعة؛ وزَّع الرماة على أماكنهم، وأمر عليهم عبد الله بن جبير، وكانوا

(1) ينظر: في ظلال القرآن، السيد قطب، ج1/ ص 268.

خمسين رجلاً⁽¹⁾ وقال ﷺ: (انضحوا الخيل عتًا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت الدائرة لنا أو علينا فالزموا أماكنكم، لا نؤتينا من قبلكم)⁽²⁾.

واطمأن رسول الله ﷺ إلى أن فرقة الرماة قد أمّنت بهذه الأوامر المشددة مؤخرة جيشه، فأقبل يتعهّد مقدمته، وأمر ألا ينشب قتال إلا بإذنه، وأخذ يتخيّر الرجال أولي النجدة والبأس؛ ليكونوا طليعة المؤمنين حين يلتحم الجمعان، وبعد ما أذن النبي ﷺ لرجاله أن يجالدوا العدو، وبدأت مراحل القتال الأولى تثير الغرابة، كأن ثلاثة آلاف مشرك يواجهون ثلاثين ألف مسلم، لا بضع مئات قلائل، وظهر المسلمون في أعلى صور الشجاعة واليقين، ثم يقع خلل مفاجئ يقطع التيار، فإذا المصاييح تعتم، ثم يسود المكان ظلام موحش سقيم، وما هي إلا لحظة يسيرة من لحظات الضعف الإنساني عرضت لفريق من الجند، فأوقعت الارتباك في صفوف الجيش كلّ، فضاعت في ساعة نزق كلّ المكاسب التي أحرزتها الشجاعة النادرة والتضحية البالغة، فلما رأى الرماة الهزيمة حلّت بقريش، والغنائم التي خلّفها ثلاثة آلاف مشرك تزحم الوادي، حتى غادروا مواقعهم هابطين إلى الميدان، يبغون انتهاب أنصبتهم من الأسلاب والأموال، فكشفت لجيش المشركين ثغرة من جيش المسلمين، اغتتمها خالد بن الوليد واستدار بالخيّل، وألقى بخصومه منحدرًا من الهزيمة من حيث لا يحتسبون⁽³⁾.

ويأتي هذا التشديد في الأوامر العسكرية للأهمية البالغة، للطاعة وتنفيذ التعليمات كما هي خصوصًا إذا كانت من قائد عسكري لديه خبرة في ميدان الحروب، فما بالنّا إذا كان القائد هو رسول الله ﷺ، وعلى الرغم من ذلك لم يستجب الرماة بالثبات على الجبل، فكانت الهزيمة والخسائر في صفوف المسلمين.

وقبل أن تقع الخسائر الفادحة في أرواح الصحابة قتلاً وجرحًا، أصر الرسول ﷺ على بفائهم في جميع أحوال وظروف المعركة، فعن البراء بن عازب قال: جعل النبي ﷺ على الرجال يوم أحد، وكانوا خمسين رجلاً، عليهم عبد الله بن جبير، فقال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)⁽⁴⁾.

(1) فقه السيرة، الغزالي، ج 1/ ص 157.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج 7/ ص 350، حديث رقم، 4043.

(3) فقه السيرة، الغزالي، ص 258 - 262، بتصرف.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، ج 4/ ص 65، حديث رقم، 3039.

لقد امتلأت صدور المؤمنين حباً لله وللرسول وطاعةً لأولي الأمر، في السراء والضراء، وعلى أثرة من أنفسهم، فقد رسموا لوحةً عظيمة في التضحية والفداء والعطاء، برزت من خلالها معاني التربية الحقيقية التي رباها عليهم رسول الله ﷺ، حتى في أعظم المواقف العملية، كانت الطاعة حاضرة، فقد ضرب لنا السلف أروع الأمثلة بالطاعة لله والرسول ولأولي الأمر، وتاريخ الصدر الأول من الإسلام مليء بأمثلة الطاعة التي تتعلق بالأوامر العسكرية، التي أدت بالكثير من المسلمين إلى التضحية بالمال والنفس في سبيل الله تعالى، فلم يكن أحدٌ مهما عُلّت رتبته يأنف من طاعة أميره، وكان ينزل عند أمر القائد، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه، كان قائداً عاماً لجيش المسلمين في أرض الشام، وقاد المسلمين للنصر في معركة اليرموك، وعزله أمير المؤمنين عمر، وهو في أوج انتصاراته، لمصلحة عامة رآها في عزله، فلم يأنف خالد من هذا الأمر⁽¹⁾.

فهناك فروق متعددة في قضية الطاعة بالتعليمات والأوامر العسكرية فمنهم من كان الجدل والنقاش الغالب على نفسياتهم، فلم تكن لديهم الدوافع الحقيقية في امتثال الأوامر والانصياع لها، حتى ولو كانت من عند الله تعالى، ومنهم سقط أول الطريق أمام شهوات زائلة، وتلقوا هزيمة نفسية كبيرة، ومنهم القلة الصابرين الذين جالت التربية الإيمانية والعملية في نفوسهم، فتحقق لهم وعد الله بالنصر والغلبة، وآخرين ملئت الدنيا في ساعة نزع قلوبهم وتناسوا أمراً عسكرياً كلفهم به رسول الله ﷺ، فكانت العاقبة وقد مزجت بدماء عدد كبير من المجاهدين، وحلّت بهم هزيمة تغنى بها أعداء الله، وأصبحوا يعدونها معركة مقابل معركة والحرب سجال، ثم جادت بعد ذلك نفوس الصحابة التي أشبعت رُقياً أخلاقياً وتربية سليمة، والتزاماً صادقاً، فقد تخلى عن القيادة رجلٌ من أعظم قادة أهل الأرض؛ نزولاً عند أمر أمير المؤمنين، وبقي ذاك القائد تحت إمرة جيش المسلمين، فلم يتمرد أو ينسحب؛ لأنه قائد لا يشقّ له غبار، ولم يقل في نفسه كيف أبقى عند جماعة لم يحترموا عسكريتي، وقيادتي لجيوش المسلمين والانتصارات التي حققتها!

(1) أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، ياسين، ص 66.

المبحث الثاني

الإعلام والتحالفات العسكرية في القرآن الكريم

المطلب الأول: التحالفات العسكرية.

أولاً: مفهوم التحالفات العسكرية

أ. الحلف في اللغة

1. العهد يكون بين القوم⁽¹⁾.
2. الحلف: المعاهدة على التعاون والتكاتف والاتفاق، تعقد بين طرفين أو أكثر من الدول أو الجماعات في المجال العسكري أو السياسي أو الاقتصادي أو غيرهما⁽²⁾.
3. الحلف: الصداقة، وأيضاً: الصديق، سمي به لأنه يحلف لصاحبه ألا يغدر به⁽³⁾.
4. والحليف، هو الرجل يحالف الآخر على أن يتناصرا على دفع الظلم، ويتضافرا على من قصدهما أو قصد أحدهما⁽⁴⁾.

ب. الحلف في الاصطلاح

1. هو التعاقد والتناصر بين جماعتين كانت إسلامية، وقد يكون بين الجماعة الإسلامية وأي تجمع حتى لو كان كافراً للتناصر على عدو ثالث⁽⁵⁾.
2. هو الشد والانتماء التعاون على البر والتقوى، فهذا قد أمر الله به وإن المقصود به التعاون على الإثم والعدوان، فهذا قد حرمه⁽⁶⁾.
3. هو المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق⁽⁷⁾.

(1) مختار الصحاح، الرازي، ج1/ ص 78.

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج1/ ص 545.

(3) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج23/ ص 158.

(4) المغني، ابن قدامة المقدسي، ج8/ ص 392.

(5) التحالف السياسي في الإسلام، الغضبان، ص 6.

(6) مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج28/ ص 18.

(7) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن محمد الجزري، ج1/ ص 424.

ت. تعريف الأحلاف العسكرية

1. المعاهدة على التناصر والتعاون في القتال⁽¹⁾.
 2. المعاهدات والمعاهدات على النصر المسلحة بين فئتين أو أكثر⁽²⁾.
 3. هي اتفاقات تعقد بين دولتين أو أكثر، وتجعل جيوشهما تقاتل مع بعضها عدوًا، أو تجعل المعلومات العسكرية والأدوات الحربية متبادلة بينهم⁽³⁾.
- من خلال ما سبق، نجد أن هناك تقاربًا إلى حدٍ كبيرٍ في المعاني بين التعريفات اللغوية والاصطلاحية للتحالف، وتحمل المصطلحات معاني قرآنية، كالتعاقد، والتناصر والاستتصار، والمعاهدة.

ثانيًا: التحالف في القرآن الكريم والسنة النبوية

أ. التحالف في القرآن

لقد شرع الإسلام التحالفات بين الأفراد والقبائل والجماعات على أن تقوم على مبدأ التناصر على دفع الظلم ونصرة المظلوم، وليس على الاعتداء والسيطرة على الضعيف، وفرض السياسات الظالمة والمجحفة بحق الآخرين، وقد بينت الكثير من الآيات على مشروعية المعاهدات والتحالفات بين المسلمين وغيرهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَلَّا يَنْقُضُوا الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: 20].

الذين لا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله عليه إلى خلافه، فيعملوا بغير ما أمرهم به، ويخالفوا ما نهى عنه⁽⁴⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 7].

أي: كيف يكون للمشركين عهد، أي: أمان عند الله وعند رسوله وهم كافرون بهما، فالاستفهام بمعنى الإنكار، والاستبعاد لأن يكون لهم عهد، إلا الذين عاهدتم من أهل مكة وبقوا على العهد وعدم

(1) الأحلاف السياسية والعسكرية المعاصرة والآثار المترتبة عليها، برغش، ص 29.

(2) المرجع السابق، ص 29.

(3) الشخصية الإسلامية، النبهاني، ج 2/ ص 209.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 16/ ص 419.

الغدر، وما داموا مستقيمين على عهدهم، مراعين لحقوقكم، فاستقيموا لهم على عهدهم إن الله يحب المتقين، أي: فاتقوه في نقض عهد المستقيمين على عهدهم⁽¹⁾.

وقد ظهرت بوضوح الأسس والمبادئ التي يقوم عليها التحالف، ووردت ألفاظ مختلفة في القرآن تحمل معاني كلمة التحالف، منها:

1. التعاون

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: 2].

لقد كان فيما قبل التعاون على الإثم والعدوان أقرب وأرجح من التعاون على البر والتقوى، وكان الحلف على النصرة، في الباطل قبل الحق، وكان المنهج العربي السلوك والمبدأ العربي المشهور: "انصر أخاك سواء له الحق أو عليه"، فكانت الحمية الجاهلية والنصرة العصبية هي السائدة في مجتمع لا يرتبط بالله، ثم جاء الإسلام ليربط القلوب بالله، ويربط موازين القيم والأخلاق بميزان الله، ولقد استطاعت التربية الإسلامية بالمنهج الرباني، أن تروض نفوس العرب على الانقياد لهذه المشاعر القوية، والاعتقاد لهذا السلوك الكريم، فجاءت هذه الآية لتأكيد التعاون الذي يقوم على قيم الحق وموازينه⁽²⁾.

2. التناصر والاستنصار

ورد في القرآن الكريم التعبير عن الحليف "بالناصر"، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق: 10].

فما له من قوة ولا ناصر، أي: من قوة يتمتع بها من عذاب الله ونكاله، ولا ناصر ينصره فيستنفذه مما ناله من مكروه، والناصر الحليف الذي ينصره على من ظلمه واضطهده⁽³⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: 123].

(1) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج5/ ص 357.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج2/ ص 839، بتصرف.

(3) محاسن التأويل، القاسمي، ج9/ ص 452.

والولي هو المولى، أي المشارك في نسب القبيلة، والمراد به المدافع عن قريبه، والنصير الذي إذا استجدته نصرته، أو الحليف، وكان النصر في الجاهلية بأحد هذين النوعين، إذ جعلوا الأصنام شفعاءهم عند الله، وزعموا أن أسلافهم يغنون عنهم من عذاب الله⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال:72].

الاستتصار هو طلب النصرة للمسلمين على الكفار إذا قاتلوهم أو اضطهدهم لأجل دينهم، إلا إذا كان هؤلاء الكفار معاهدين، فيجب الوفاء بعهدهم؛ لأن الإسلام لا يبيح الغدر والخيانة بنقض العهود، وهذا أصل من أصول أحكام الإسلام وسياسته الخارجية العادلة رفيعة المستوى⁽²⁾.

3. التعاقد والتعاهد

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:1].

وأوفوا بالعهود التي عاهدتموها بركم، والعقود التي عاهدتموها إياه، وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقاً، وألزمتم أنفسكم بها لله فروضاً، فأتتموها بالوفاء والكمال والتمام منكم لله بما ألزمكم بها، ولمن عاهدتموه منكم، بما أوجبتموه له بها على أنفسكم، ولا تتكثروا فتنقضوها بعد توكيدها⁽³⁾.
فالقرآن الكريم لا ينظر إلى تلك المعاهدات التي يسوغ إبرامها الظلم والجور، بل يأمر بالوفاء بالعهد وفاءً مطلقاً غير مقيد بضعف أو قوة، لكنه مقيد بوفاء من تعاقدتم معهم⁽⁴⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:91].

يذكر ابن أبي حاتم: أن هذه الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ، كان من أسلم بايع على الإسلام فقال: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وتغليظ الحلف، فلا تحملنكم قلة

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج5/ ص 209.

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج10/ ص 84.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج9/ ص 447.

(4) العلاقات الدولية في الإسلام، أبو زهرة، ص 79.

محمد وأصحابه وكثرة المشركين إن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام، وجعلتم الله عز وجل كفيلاً⁽¹⁾.

ب. التحالف في السنة النبوية

أقر الإسلام كل خير يتوافق مع مبادئه، وهدم كل ما يخالف ذلك من أمور الجاهلية، وقد حفلت السنة النبوية المشرفة بكل ما يدعو إلى الخير، وقد أقر رسول الله بعض التحالفات قبل البعثة وبعدها التي تدعو إلى الفضيلة ونصرة المظلوم، ومن هذه التحالفات:

1. حلف الفضول

شهد النبي ﷺ هذا الحلف قبل البعثة، التي تداعت إليه قبائل من قريش، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلّمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول⁽²⁾.

ثناء النبي ﷺ على حلف الفضول قبل البعثة، إنما هو دلالة على ترسيخ مبادئ الإسلام العظيم التي تدعو إلى الفضيلة وتدعم كل خير، وهو من الأحلاف التي وثقها الإسلام وأثى عليها⁽³⁾.

2. المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

والمؤاخاة نوع من التحالف الذي فعله ﷺ بين المهاجرين والأنصار القائم على المحبة والتعاون والتناصح، قيل لأنس بن مالك: بلغك أن رسول الله ﷺ، قال: (لا حلف في الإسلام) فقال أنس: (قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش، والأنصار في داره)⁽⁴⁾.

وجه الاستدلال من هذا الحديث: أن المؤاخاة في الإسلام والمخالفة على طاعة الله تعالى، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، فهذا باقٍ لم ينته.

وعن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة)⁽⁵⁾.

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج7/ ص 2299.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، ج1/ ص 134.

(3) شرح النووي على مسلم، النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي ﷺ، ج16/ ص 82.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم، ج4/ ص 1960، حديث رقم، 2529.

(5) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم، ج4/ ص 1961، حديث رقم، 2530.

وأما وجه الاستدلال من حديث جبير، أن الذي أمر به النبي ﷺ بالوفاء به من ذلك هو ما لم ينسخه الإسلام، ولم يبطله حكم القرآن، وهو التعاون على الحق والنصرة على الأخذ على يد الظالم الباغي، والذي أنكره كل اعتداء أو ظلم، وكل ما يتنافى مع دعوة السماء⁽¹⁾.

3. حلف النبي ﷺ مع خزاعة

هو حلف عقده النبي ﷺ مع خزاعة بعد صلح الحديبية، بينه وبين قريش أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله ﷺ وعهده ليلاً، وقتلوا من الخزاعيين عدد من الرجال بمعونة قريش، ونقضوا العهد، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة يستنصره، فقال رسول الله ﷺ: "تصرت يا عمرو بن سالم"⁽²⁾.

في هذا التحالف كثير من المعاني العظيمة التي تدل على الوفاء بالعهد القائمة على النصر في حالة الاعتداء، وكذلك الحيوية الدبلوماسية الإسلامية في سياسة النبي ﷺ مع القبائل خارج المدينة، فقد صالح وحالف في آنٍ واحدٍ، صالح قريش وحالف خزاعة، فلم تكن سياسته قائمة على الحرب والمعاداة، وبمنظرة ثاقبة على ذلك الحلف نرى أن النبي ﷺ كان حريصاً على مد قنوات التواصل مع من حوله بدولة الإسلام وإن كانت غير مسلمة، فلم يكن عدم إسلامها حاجزاً عن التواصل، ولم يكن التواصل معناه الرضا بالكفر أو التنازل عن شيء من الإسلام⁽³⁾.

لقد تحالف رسول الله مع القبائل العربية التي لم تكن قد أسلمت، وإنما كان التحالف للحفاظ على ما كان من القرابة والبقاء على عهد الآباء والأجداد، نقول ونحن أمة عربية مسلمة تجمعنا الكثير من الروابط الحقيقة الدينية والوطنية أفلا نتحالف، بل آلا نتحالف نحن أبناء الشعب الواحد العربي المسلم، وقد أصابنا الكثير من التمزق والفرقة، أسنا اليوم بأمس الحاجة للوحدة والتحالف ضد المؤامرات التي

(1) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ج9/ص 277، بتصرف.

(2) السنن الكبرى، البيهقي، كتاب الجزية، باب نقض أهل العهد أو بعضهم العهد، ج9/ص 388، حديث رقم، 18859.

(3) بتصرف، هداية الخلائق بين الغايات والوسائل، سلسلة تصحيح المفاهيم الإسلام وتحديات، عبد الله، ص166.

تحاك ضدنا، ألسنا أحق بأن تكون كلمتنا واحدة لقد ضاعت المقدسات الإسلامية، وبيعت الأوطان، وسرقت الحقوق، وانتهكت الحرمات، وأصبحت أبوابنا تطرق بمدافع العدو، بدلاً من تمد يد الصديق، فإلى متى سنبقى نجيب دعوة الفرقة، معرضين عن الوحدة والنصرة، فحذاري نبقي هكذا لوقت نندم عليه عندها لا ينفع الندم.

ثالثاً: الدروس العسكرية المستفادة من التحالفات النبوية

أ. القانون العام للتحالفات النبوية قائم على التعاون والتناصر في إقامة العدل ونصرة المظلوم، وهذا ظاهر من حلف الفضول قبل البعثة.

ب. تميزت التحالفات بتنمية روح الأخوة والتعاون على البر والتقوى.

ت. رسخت التحالفات مفاهيم استراتيجية تحقق أهداف لمصلحة المسلمين على الصعيد الدعوي والعسكري، في استثمار خزاعة لتزويد دولة الإسلام بالمعلومات الأمنية والعسكرية وتحركات العدو من قريش.

ث. إمكانية إقامة تحالفات عسكرية تهدف إلى استغلال التناقضات بين القبائل والدول المتناحرة، كما فعل ﷺ مع خزاعة وتناقضها مع قريش.

ج. التربية الحقيقية على السمع والطاعة للقائد، برزت من خلال عدم الرضا على بنود صلح الحديبية المجحفة بحق المسلمين، إلا أنهم التزموا بتعليمات القيادة الحكيمة.

وقد تلخصت بنود صلح الحديبية كما جاء في الصحيح، عن البراء بن عازب، قال: لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية، كتب علي بن أبي طالب بينهم كتاباً، فكتب محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسولاً لم نقاتلك، فقال لعلي: "امحه"، فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه رسول الله ﷺ بيده، وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح، فسألوه ما جلبان السلاح؟ فقال: القراب بما فيه⁽¹⁾.

ح. ظهور القوة العسكرية وعدم التراجع عند الإخلال ببنود الاتفاق، وظهور الخيانة والغدر.

خ. الاستجابة الفورية للحليف، إذا وقع عليه اعتداء.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلح، باب، كيف يكتب هذا، ما صالح فلان بن فلان ج3/ص184، حديث رقم، 2698.

المطلب الثاني: الإعلام العسكري في القرآن الكريم

أولاً: تعريف الإعلام في اللغة

1. علم: العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، والجمع أعلام، والعلم: الجبل⁽¹⁾.
 2. العلم من الجبل: أعلى موضع فيه، أو أعلى ما يلحقه بصرك منه⁽²⁾.
 3. العلم: بفتحتين "العلامة" وهو أيضاً الجبل، و"علم" الثوب والراية، وعلم الشيء بالكسر يعلمه "علماً" عرفه⁽³⁾.
 4. وعلم بالشيء: شَعَرَ، يقال: ما علمت بخبر قدومه أي ما شعرت، ويقال: استعلم لي خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلمني الخبر فأعلمته إياه، وعلم الأمر وتعلمه، أتقنه⁽⁴⁾.
- يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول: الظهور أو الوضوح لكل رأي.

ثانياً: تعريف الإعلام في الاصطلاح:

1. تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم⁽⁵⁾.
2. هو نقل المعلومات والأخبار من طرف إلى طرف آخر عبر مجمل وسائل الاتصال الممكنة⁽⁶⁾.
3. محاولة إيصال المعلومات الواقعية والحقيقية إلى الناس دون أن يكون له هدف بارز سوى إثراء معلومات الآخرين⁽⁷⁾.
4. هو تلك العملية التي يترتب عليها نشر الأخبار والمعلومات الدقيقة التي تركز على الصدق والصراحة، ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية والارتقاء بمستوى الرأي⁽⁸⁾.

(1) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج4/ص109.

(2) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، ج2/ص948.

(3) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد الرازي، ج1/ص217.

(4) لسان العرب، محمد بن مكرم، ج12/ص418.

(5) الإعلام العسكري والحربي، عبد الفتاح، ص13.

(6) استراتيجيات الإعلام العسكري والحربي، د. محمد أبو سمرة، ص16.

(7) المرجع السابق، ص16.

(8) الإعلام العسكري والحربي، عبد الطيف، ص7.

تعريف الباحث: الإعلام عبارة عن إيصال المعلومات والأخبار الواقعة لأطراف مختلفة لتكوين آراء مناسبة حول تلك المعلومات.

ثالثاً: تعريف الإعلام العسكري

1. عبارة جمع وتحليل ومعالجة البيانات والمعلومات والصور والحقائق والرسائل والتعليمات من كافة المصادر عن أنشطة القوات المسلحة، والتأكد من مصداقيتها وصياغتها بأسلوب يتقبله المجتمع ونشرها محلياً وخارجياً باستخدام وسائل الإعلام كافة⁽¹⁾.

2. هو القائم على تزويد الناس بالمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، عن الشؤون الحربية، والمبادئ العسكرية، وصولاً إلى تحرير وعي الأمة، وتحفيزها للبقاء حذرةً، جاهزة لمواجهة مخططات الأعداء، والدفاع عن نفسها⁽²⁾.

3. هو الإعلام الذي يمثل أوجه النشاطات الاتصالية، والتي تستهدف تزويد الجمهور الداخلي والخارجي بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة عن القوات العسكرية المسلحة، من أجل تكوين رأي صائب لدى الجمهور عن مدى كفاءة وقدرات هذه القوات⁽³⁾.

تعريف الباحث: الإعلام العسكري عبارة عن نشر المعلومات والحقائق والنشاطات العسكرية بما يتناسب مع القدر المسموح به، لتعزيز جبهة صمود الناس، وتحذيرهم من أي مكروه قد يصيبهم.

رابعاً: معاني الإعلام في القرآن الكريم.

لم ترد لفظة الإعلام في القرآن صراحةً، وإنما ورد ما يدل على معنى الإعلام ومفرداته منها.

1. اصْدَعُ:

الصدع: الشق، يقال: صدعته فانصدع أي انشق⁽⁴⁾، ومنها صدع بالحق، أي تكلم جهاراً⁽⁵⁾، قَالَ

عَالِي: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94].

أي: أظهر دينك، وبلغ رسالة الله لجميع الخلق لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك⁽⁶⁾.

(1) الإعلام الحربي والعسكري، الحمداني، ص 65.

(2) صور الإعلام العسكري في القرآن الكريم في القرآن الكريم، رفاعي، ج1/ ص11.

(3) الإعلام الحربي والعسكري، عبد الفتاح، ص 17.

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، ج3/ ص 1241.

(5) مجمل اللغة، أحمد بن فارس، ج1/ ص552.

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج10/ ص61.

والصدع بالحق: كلمة متضمنة معنى الإعلام، وهو إعلام الناس بالحق الذي يجب أن يلتزموا به، وإعلامهم بالباطل الذي يجب أن يبتعدوا عنه⁽¹⁾.

2. بَلِّغْ:

(بلغ) الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء، تقول بلغت المكان، إذا وصلت إليه⁽²⁾.

والبلاغة: أن يكون بذاته بليغاً، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: صواباً في موضوع لغته، وطبقاً للمعنى المقصود به، وصدقاً في نفسه، ومتى اخترم وصف من ذلك كان ناقصاً في البلاغة⁽³⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِۦ وَيَلْعَلُّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُۥ وَجَدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: 52].

إن الغاية الأساسية من ذلك البلاغ وهذا الإنذار، هي أن يعلم الناس أن الوجدانية لله فهذه هي قاعدة دين الله التي يقوم عليها منهجه في الحياة، وليس المقصود بطبيعة الحال مجرد العلم، إنما المقصود هو إقامة حياتهم على قاعدة هذا العلم⁽⁴⁾.

وعن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ، قال: (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار)⁽⁵⁾.

والبلاغ في الآية والحديث تحمل معنى إعلام الناس بما ينفعهم وينجيهم من الدنيا.

3. أذِّنْ:

أذن بالشيء: علم به، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿ فَأَذِّنُ بِالْحَرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [البقرة: 279]، أي كونوا على علم، وأذن تأديباً: أكثر الإعلام بالشيء⁽⁶⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَذِّنْ مُؤَدِّنَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: 44].

(1) الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة، الواشلي، ص 14.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 1/ ص 301.

(3) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج 22/ ص 447.

(4) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج 4/ ص 2114.

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج 4/ ص 170.

(6) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج 34/ ص 161.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسِرْفُونَ﴾ [يوسف: 70].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

والتأذين: النداء المكرر، رفع الصوت بالكلام رفعًا يسمع البعيد بقدر الإمكان، وهو رفع الصوت بالإعلام بشيء⁽¹⁾.

4. أنبأ:

النبأ: الخبر؛ لأنه يأتي من مكان إلى مكان⁽²⁾.

النبأ: هو الخبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ⁽³⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَتْلُوا آيَاتِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 33].

الأنباء والإعلام والإخبار واحد، ويقال أنبأ ونبأ وانبئوني، أي: أخبروني⁽⁴⁾.

5. أذاع:

ذاع الخبر: يذيع ذيعًا وذيوعًا وذيوعه وذيوعًا، أي: انتشر، وأذاعه غيره، أي أفشاه⁽⁵⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: 83].

أذاعوا به، أي: أفشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال أذاع السر، وأذاع به إذا أشاعه وأظهره⁽⁶⁾.

ومن هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، نرى أن القرآن الكريم تبنى الإعلام الإسلامي، لذلك فهو يعدُّ من أهم الوسائل التي تساهم في نشر الدعوة والتعرف على الدين وفضائله، وتستمد

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج13/ ص28.

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5/ ص385.

(3) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، ص788.

(4) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ص180.

(5) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، ج3/ ص1211.

(6) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج1/ ص403.

أهمية الموضوع في الإسلام، ومن حيث كون الدعوة ما هي إلا عمل إعلامي يخاطب العقل، ويستند إلى المنطق والبرهان ويعمل على كشف الحقيقة⁽¹⁾.

خامساً: أهداف الإعلام العسكري

1. تنمية روح الانتماء والولاء لله ثم لأمة الإسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

حضَّ الله المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك العقيدة الراسخة والانتماء الحقيقي لله ولدينه بلزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه من ترك المعاصي، وأنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدًا الفلاح إلا بالإخلاق بها أو ببعضها⁽²⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51].

إن العدو يفرح بمصاب عدوه وحزنه، فإذا علموا أن المؤمنين لا يحزنوا لما أصابه زال فرحهم، وفيه تعليم للمسلمين التخلق بهذا الخلق العظيم، وهو ألا يحزنوا لما يصيبهم لئلا يهنو وتذهب قوتهم، وأن يرضوا بما قدر الله لهم ويرجوا رضى ربه؛ لأنهم واثقون بأن الله يريد نصر دينه، وهذا من تمام الإيمان بالله⁽³⁾.

ومن هذه القيم التي جاء بها الإعلام العسكري في القرآن الكريم: الإقدام والفداء والتخلص من الجبن والجزع، والضعف والخور، والثبات والصبر حين البأس، مع الإخلاص لله سبحانه، وكل هذه المعاني تضمنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٥) وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 145 - 146].

(1) ينظر: الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة، الواشلي، ص 15.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج 1/ ص 162.

(3) التحرير والتتوير، ابن عاشور، ج 1/ ص 223.

2. تنمية إرادة القتال وبت روح الثقة في الأمة

من أهم أهداف الإعلام العسكري في القرآن التوعية والاستنفار ورفع الروح المعنوية بين أفراد الأمة الإسلامية؛ لتزرع في نفس المجاهد المنافسة على التقدم والجرأة القتالية في مواجهة الأعداء، وتعزز الثقة بالله تعالى، ويقينه بوعده لعباده المؤمنين، ثقة تبعث على العمل، والأخذ بأسباب القوة، وليست الثقة المخدرة، التي تنغمس معها الأمة في الغرور، وتوقع في الإهمال، وترك دوام اليقظة والحيطه، ومن الآيات التي تشيع هذه الروح في الأمة⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: 55].

وهذه بشاره عظيمه تبعث الأمل وتعزز الثقة بموعود الله، لمن قام بأمر الله، وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة، وإن وجد ما ينغص عليه في بعض الأحيان لحكمة يريد بها الله تعالى، فأخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قبيلاً⁽²⁾.

3. زعزعة صفوف العدو وتثبيط معنوياتهم

تعدُّ الهزيمة النفسية وضرب الروح المعنوية للعدو من أهم الوسائل التي تؤدي إلى حسم الصراعات، وتحقيق النصر في وقت قصير، فالمعنويات المنهارة لا تستطيع الثبات، وإن امتلكت أحدث الأسلحة، أو كانت أكثر عددًا وعدة ممن يواجهها، لذلك فإن هدف الإعلام العسكري بث روح الضعف والانكسار بين صفوف العدو، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَدْبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُدْهَبْ عَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 14-15].

أشارت الآية إلى فوائد عظيمة من شأنها رفع معنويات المؤمنين وتثبيط العدو، وهي:

الفائدة الأولى: تعذيب المشركين بأيدي المسلمين، وهذه إهانة للمشركين وكرامة للمسلمين.

الثانية: خزي المشركين، وهو يستلزم عزة المسلمين.

الثالثة: نصر المسلمين، وهذه كرامة صريحة لهم وتستلزم هزيمة المشركين وهي إهانة لهم.

(1) صور الإعلام العسكري في القرآن الكريم في القرآن الكريم، رفاعي، ص 14.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج 1/ ص 236.

الرابعة: شفاء صدور المؤمنين، ورح صدر أعدائهم.

الخامسة: إذهاب غيظ قلوب المؤمنين كلهم، وتستلزم غيظ قلوب أعدائهم بالتعذيب والقتل والجراحة والإذلال بالأسر⁽¹⁾.

4. حشد أفراد الأمة للدفاع عن الدين والوطن

الإعلام العسكري له دور كبير في تجيش الأمة والهيب مشاعرهم وإثارة الحماسة بالخروج عند أول نداء للدفاع عن الدين والوطن، ويراد من ذلك إبقاء المسلمين في حالة من التأهب واليقظة، والاستعداد الدائم لمواجهة الأخطار المحدقة، والمخططات السيئة، التي يدبرها أعداء الأمة، وتشمل هذه اليقظة، وهذا الاستعداد، كل ما من شأنه أن يقوي جانب المسلمين، ويخوف أعداءهم⁽²⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ [الأنفال:60].

أي: تجهزوا لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم، كل ما تقدرن عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة وحشد الطاقة البشرية للتصدي للعدو بهذا الإعداد⁽³⁾.

وقد أمر الله تعالى عباده بالاستتفار والتأهب والحشد الفردي والجماعي للتصدي لأعداء الله، قَالَ

تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: 71].

فانفروا ثباتاً أو انفروا جميعاً، أي: فانهضوا للقتال جماعة إثر جماعة، فصائل وفرقاً وسرايا، أو انهضوا جميعاً متعاضدين كلكم حسبما ترون من قوة العدو وحاله، وهذا يعني كون الأمة على استعداد دائم للجهاد⁽⁴⁾.

5. الحفاظ على الجبهة الداخلية من المنافقين والمرجفين

إن المنافقين والمرجفين أخطر فئة على الإسلام والمسلمين، فهم تظاهروا بالإسلام، واستبطنوا الكفر، وقد بلغ من اهتمام القرآن ببيان خطرهم أن نزلت سورة باسمهم "المنافقون"، وكذلك تناولت سورة براءة الكثير من مخازيهم وشنائعهم، حتى سماها أهل العلم الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين،

(1) التحرير والتتوير، ابن عاشور، ج10/ ص 135.

(2) صور الإعلام العسكري في القرآن الكريم في القرآن الكريم، رفاعي، 12.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 324 ، بتصريف.

(4) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج5/ ص152.

كما تناولتهم أيضاً أجزاءً كبيرة من سورة النساء، وأيضاً في سورة الأحزاب محمد، ومن الآيات التي فضحت مخططاتهم وبصرت الأمة بصفاتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 107].

بينت الآية الكريمة أن الأغراض من بناء مسجد الضرار، هي⁽¹⁾

أ. اتخذه مقلداً نكايته بالمؤمنين لإيقاع الضرر بهم، وأن يكون مقلداً يجتمع فيه قوى الشر باسم الدين.

ب. تقوية الكفر، وتسهيل أعماله من فعل وترك، كتمكين المنافقين من الكيد للرسول وأصحابه.

ت. التفريق بين المؤمنين، فإنهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد قباء، وفي ذلك من مقاصد الإسلام الاجتماعية وهو التعارف والتآلف والتعاون وجمع الكلمة، ولذلك كان تكثير المساجد وتفريق الجماعة منافياً لمقاصد الإسلام.

ث. الإرصاء لمن حارب الله ورسوله، أي: الانتظار والترقب لمن حارب الله ورسوله أن يجيء محارباً، فيجد مكاناً مرصداً له، وقوماً راصدين مستعدين للحرب معه، وهم هؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد مرصداً لذلك.

ثم تقع المسؤولية الكاملة وقت الحرب على الإعلام العسكري في نشر التوعية والتوجيهات المطلوبة للحفاظ على حياة الناس من هجمات العدو، وكذلك في نشر المعلومات عن المتخابرين والمتعاونين مع العدو للحفاظ على متانة المقاومة للنيل من العدو، وعدم دخولهم بين صفوف المجاهدين فيكونوا عيناً على العدة والعتاد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلْقَتَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 47].

أي: لو خرجوا مخالطين لكم، ما تركوا فيكم إلا فساداً، وما نشروا بينكم إلا النميمة والشر والتنشيط ليقعوا بينكم الفتنة، ويلقوا الرعب في قلوبكم، ويتركوا إخلالاً عظيماً في أمر الجهاد؛ لذلك اقتضت الحكمة الربانية من عدم خروجهم لعدم نفعهم⁽²⁾.

(1) تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، رضا، ج11/ ص 32.

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ابن مصطفى، ج4/ ص71، بتصرف كبير.

سادساً: صور الإعلام العسكري من الغزوات

1. غزوة بدر

أ. لقد كان للإعلام العسكري في غزوة بدر أهمية كبيرة في حشد قريش لقتال النبي ﷺ وأصحابه، عندما علم أبو سفيان بخروج جيش المسلمين للاستيلاء على القافلة التي تحمل أموال قريش، فلما شعر بالخطر المحقق، أرسل رجلاً يقال له ضمضم بن عمرو الغفاري لإعلام قريش الخبر، فأخذ يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جدع بعيره، وحول رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة⁽¹⁾، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تتركوها، الغوث الغوث، وقد انزعجت قريش لهذا النبأ الخطير انزعاجاً كبيراً، وقررت على أثره تجهيز جيش من جميع قبائل قريش لإنقاذ العير⁽²⁾.

تحمل رسالة ضمضم مشهدين إعلاميين من الإعلام العسكري.

الأولى: تمثلت في المنادى، وإعلامهم الخبر بشأن ما حدث من تحرك لجيش المسلمين، (إعلام مسموع).

الثانية: تمثلت في مشهد تمثيلي مرئي ومشاهد من خلال تمزيق ملابسه وجدع بعيره، وشق القميص، (إعلام مرئي مشاهد)، وذلك لتكون الرسالة أبلغ في نفوس قومه، وأسرع للتحرك والنجدة وجدية الأمر.

ب. لما جاء الخبر لرسول الله ﷺ بمجيء قريش لتمنع عيرها، عقد النبي ﷺ مجلساً لقادة المسلمين حتى يخرجوا بقرار تجاه ذلك الموقف، عندها وقبل انعقاد المجلس وقف المقداد بن عمرو خطيباً في المجلس قائلاً: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:24]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد⁽³⁾ لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له به⁽⁴⁾.

(1) هو الضرب على الوجه ببسط الكف، أساس البلاغة، للزمخشري، ج2/ ص 169.

(2) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان البستي، ج1/ ص 160، بتصرف.

(3) برك الغماد، موضع بناحية اليمن.

(4) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، ج1/ ص 615، موسوعة الغزوات الكبرى، باشميل، ج1/ ص 137.

ت. غزوة أحد

• الإعلام العسكري من أهدافه تحطيم معنويات العدو قبل وأثناء وبعد القتال، وغرس الهزيمة في نفوسهم بجميع الوسائل المتاحة والمبتكرة، فقد كان للصحابي الجليل موقفاً إعلامياً عسكرياً زرع فيها صفوف الكافرين من خلال مشهد كله ثقة بالنفس المؤمنة، واضطراب للكافرة، وكأن المشهد الإعلامي لأبي دجانة يمثل صورة حية للساعي إلى مواطن الموت دون تردد أو تقهقر، وهو يمشي ويتبخر بين الأعداء بعز المؤمن الواثق بنصر الله، وبدعوة النبي ﷺ.

فعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: "من يأخذ مني هذا؟" فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: "فمن يأخذه بحقه؟" قال فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين⁽¹⁾.

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، وكانت له عصابة حمراء إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل حتى الموت، فلما أخذ السيف عصب رأسه بتلك العصابة "عصبة الموت"، وجعل يتبخر بين الصفيين، وحينئذ قال رسول الله ﷺ: إنها لمشيئة يبيغضها الله إلا في مثل هذا الموطن⁽²⁾.

• ومن مواقف معركة أحد الإعلامية التي هزت مشاعر المؤمنين، نشر خبر مقتل النبي ﷺ حتى شاع في المشركين والمسلمين، وهذا هو الطرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين، الذين لم يكونوا مع رسول الله ﷺ، فانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد، وعمتها الفوضى والاضطراب، إلا أن هذه الصيحة خفتت من مضاعفة هجمات المشركين، لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرامهم، فاشتغل الكثير منهم بتمثيل قتلى المسلمين⁽³⁾.

• التحريض الإعلامي من قائد جيش المشركين.

قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم قد وليتم لواعنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يئتي الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواعنا، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهموا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواعنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك أراد أبو سفيان⁽⁴⁾.

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه، ج4/ص 1917.

(2) الرحيق المختوم، المباركفوري، ج1/ص 232.

(3) المرجع السابق، ص 210.

(4) السيرة النبوية، ابن هشام، ج2/ص 68.

• التحريض الإعلامي من هند زوجة "قائد قريش" والنسوة معها⁽¹⁾

كان لנסاء قادة قريش اللواتي خرجن مع الجيش للمشاركة في المعركة، الأثر الكبير في الإعلام العسكري الذي أثار حفاظ مقاتليهم وتهيج عواطفهم، وتحريك مشاعرهم، وإشاعة روح الانتقام من المسلمين، وتذكيرهم بما حدث لهم في بدر، فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرضنهم، فقالت هند فيما تقول:

ويها بني عبد الدار ... ويها حماة الأدبار⁽²⁾

ضرباً بكل بتار وتقول: إن تقبلوا نعانق ... ونفرش النمارق⁽³⁾

أو تدبروا نفارق ... فراق غير وامق⁽⁴⁾.

• نداء النبي ﷺ على جيش المسلمين

عندما بوغت النبي ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام بفرسان خالد مباغته كاملة، كان أمامه طريقان، إما أن ينجو بالسرعة بنفسه وبأصحابه إلى ملجأ مأمون، ويترك جيشه المطوق إلى مصيره المقدر، وإما أن يخاطر بنفسه فيدعو أصحابه ليجمعهم حوله، ويتخذ بهم جبهة قوية يشق بها الطريق لجيشة المطوق إلى هضاب أحد، وهناك تجلت الحكمة العسكرية لرسول الله ﷺ وشجاعته منقطعة النظير، فقد رفع صوته ينادي أصحابه: "عباد الله" "عباد الله"، وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون، ولكنه ناداهم ودعاهم مخاطراً بنفسه في هذا الظرف الدقيق، وفعلاً فقد علم به المشركون فخلصوا إليه، قبل أن يصل إليه المسلمون⁽⁵⁾.

• أبو سفيان يرسل رسالة إعلامية عسكرية لجيش المسلمين

نادى أبو سفيان أصحاب رسول الله ﷺ قبل انصرافه من أحد، ما بيننا وبينكم موسم بدر الصغرى نلتقي بها، فقال النبي ﷺ لمن كان يجيبه من الصحابة: قل نعم إن شاء الله، فلما حضر الوقت تعذر على أبي سفيان الخروج للوعد أو كرهه، فأتى نعيم بن مسعود فقال له: إني واعدت محمداً

(1) المرجع السابق، ج2/ ص68 ، بتصريف.

(2) حماة الأدبار، أي الذين يحمون أعقاب الناس.

(3) النمارق، جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة.

(4) الوامق، المحب.

(5) الرحيق المختوم، المباركفوري، ج1/ ص240.

وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وقد بدا لي أن لا أفعل، وأكره أن يخرج محمداً وأصحابه، ولا أخرج فيزيدهم ذلك جرأة، ولأن يكون الخلف من قبلهم أحبّ إليّ من أن يكون من قبلي، فالحق بالمدينة وثبتهم وأعلمهم أنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا، ولك عندي عشرة من الإبل أضعتها على يد سهيل بن عمرو يضمنها لك، فقدم نعيم على أصحاب رسول الله ﷺ وهم مجهزون يثبطهم ويخوفهم ويذكر أن أبا سفيان قد جمع لهم الجمع الكبير، وأنهم إن خرجوا لم يفلت منهم أحد، وجعل يريهم النصح لهم والإشفاق عليهم، حتى دبّ بعض الخوف في نفوس الصحابة، فقال رسول الله ﷺ والذي نفسى بيده لا خرجنّ ولو وحدي، وفي رواية وإن لم يخرج معي أحد، فأما الجبان فإنه رجع، وأما الشجاع فإنه تأهب للقتال، فما قبلوا وبادروا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرجوا وتخلف أبو سفيان عن الوعد⁽¹⁾.

كان الهدف من هذه الرسالة الإعلامية الوهمية التي أخرجها أبو سفيان هو الهروب من ملاقات المسلمين لعجزه، على الرغم من التسويق الإعلامي باهظ الثمن لتثبيط جيش المسلمين، إلا أنه وجد استعداداً غير مسبوق من النبي ﷺ وصحبه.

يرى الباحث: أن غزوة أحد تضمنت صور من الإعلام العسكري بروية معاصرة.

الأولى:

مشهد تمثل في الحالة التي كان عليها أبو دجانة وهو يتبختر في ساحة المعركة، فهذا المشهد التمثيلي بالمفهوم المعاصر (المرئي)، له أثر في هدم معنويات العدو وتحفيز أصحابه؛ ليكونوا أكثر ثقة بأنفسهم مستمدة من العقيدة الراسخة بموعد الله.

الثانية:

ما شاع من خبر مقتل رسول الله ﷺ، (بث الإشاعة)، الذي كان له الأثر الكبير في نفوس الصحابة من زعزعة واضطراب وفقدان الأمل في النصر، والتراجع إلى الخلف، وبعدما عملوا عكس الخبر تقادموا حول رسول الله وبدأوا بالدفاع والقتال، هذا يدل على الدور الكبير للإعلام العسكري في قلب موازين المعارك.

الثالثة:

الخطابة التي قام بها أبو سفيان في تحريض حملة لواء الكفر لإغرائهم؛ لكي يجمعوا في نفوسهم الحقد من جميع جوانبه للمسلمين.

(1) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، الديار بكري، ج1/ص465

الرابعة:

مشهد تمثيلي جسده هند زوجة أبي سفيان، عندما مثلت بجثمان سيد الشهداء حمزة عليه السلام.

الخامسة:

(مكبرات الصوت)، عندما أصاب المسلمين ما أصابهم في أحد، نادى أبو سفيان بأعلى صوته متفاخرًا بانتصاره على جيش المسلمين، وبطبيعة الحال كان الرد مماثلًا في الأداة من الصحابة.

3. غزوة الأحزاب.

إبان غزوة الأحزاب قامت اليهود بتشكيل وفد مكون من

1. حيي بن أخطب رئيسًا.
2. سلام بن مشكم.
3. كنانة بن أبي الحقيق.
4. هوزة بن قيس.
5. أبو عامر الفاسق.

وكانت مهمة هذا الوفد عرض التسويق الإعلامي العسكري إلى القبائل العربية واليهودية، بدأ من مكة على قريش ليعرضوا عليهم رسالة يدعونهم فيها ويحرضونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، أي نكون معكم على عداوته، فقال أبو سفيان: مرحبًا وأهلاً وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطهم لما دعواهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندها ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلًا وتحالفوا، وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين بأستارها، ألا يخذل بعضهم بعضًا، ويكونوا كلهم يدًا واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم وقف أبو سفيان خطيبًا في المؤتمر الإعلامي العسكري الذي حضره اليهود ليرحب بفكرتهم بالقضاء على المسلمين، فلما تهيأت قريش للخروج، أتى ركب من خزاعة في أربعة ليال حتى أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أجمعوا عليه نذب الناس: أي دعاهم، وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم في أمرهم، أي قال لهم: هل نبرز من المدينة أن نكون فيها؟ فأشير عليه بالخندق للمواجهة العسكرية⁽¹⁾.

(1) السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، ج2/ ص 418 ، موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشمیل، ج3/ ص 123، بتصرف.

4. بني قريظة:

• لما انصرف رسول الله والصحابة من الأحزاب إلى أماكنهم، جاء الأمر سريعاً بالتحشيد لقتال بني قريظة واخذ الاستعداد والتحرك بالجيش، فكانت المهمة إعلامية عسكرية جاء بها أمين السماء جبريل عليه السلام للنبي ﷺ.

فلما كانت الظهر، أتى جبريل رسول الله ﷺ، معترجاً⁽¹⁾ بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحالة⁽²⁾، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمززل بهم⁽³⁾.

وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بربيته إلى بني قريظة، وابتدراها الناس، فسار علي بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لم، أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته⁽⁴⁾.

• بني قريظة

مثل مقتل يهود بني قريظة إعلاماً وإعلاناً عسكرياً صادراً عن المحكمة العسكرية، التي أعلنت فيها القيادة المسلمة حكم الإعدام بحق الرجال منهم دون النساء ودون من أسلم، وكان القاضي فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه، قاضي المحكمة العسكرية النبوية، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال: "قوموا إلى سيدكم، أو خيركم"، فقال: "هؤلاء نزلوا على حكمك"، فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، قال: "قضيت بحكم الله"، وربما قال: "بحكم الملك"⁽⁵⁾.

(1) هو التعميم على الرأس " وضع العمامة" دون اللحية، مقاييس اللغة لابن فارس، ج4/ 17.

(2) الرحالة، السرج، تاج العروس، للزبيدي، ج29/ ص56.

(3) السيرة النبوية، ابن هشام، ج2/ ص233.

(4) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، فتح الدين، ج2/ ص101.

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، ج5/ ص112، حديث رقم 4121.

5. خيبر

أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ للغزو فهم مجدون، وتجلب من حوله يغزون معه، وجاءه المخلفون يريدون أن يخرجوا معه رجاء الغنيمة، فقالوا: نخرج معك! وقد كانوا تخلفوا عنه في غزوة الحديبية، وأرجفوا بالنبي ﷺ وبالمسلمين، فقالوا: نخرج معك إلى خيبر، إنها ريف الحجاز في الطعام وأموال، فقال رسول الله ﷺ: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا، عندها بعث النبي منادياً فنادى: لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد، فأما الغنيمة فلا⁽¹⁾.

فكان هذا النداء بمثابة إعلام عسكري صادر عن القيادة المسلمة بشأن القتال، وبشأن من يخرج له؛ لأن هناك من تخلف أثناء المحن، وبعد ما جاءت في نظرهم المنح تاهبوا للقتال.

ثم لما كانت الهجمات على حصون خيبر، بعث رسول الله ﷺ أبا بكر بن أبي قحافة برايته إلى بعض حصون خيبر فقاتل، فرجع ولم يكُ فتحاً، وقد جهد، ثم بعث عمر بن الخطاب الغد فقاتل، ثم رجع ولم يكُ فتحاً وقد جهد⁽²⁾، وعن سهل بن سعد ؓ، سمع النبي ﷺ، يقول: يوم خيبر: "لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه"، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: "أين علي"، فقيل: يشتكي عينيه، فأمر، فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: "على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم"⁽³⁾.

تمثل الإعلام العسكري في التحشيد لقتال أهل خيبر، وإعفاء من تخلف قبل ذلك بالمشاركة، وإعلان أن حامل الراية لفتح خيبر رجل يحبه الله ورسوله، ويجب الله ورسوله، فكان الاختيار على بن طالب ؓ.

(1) مغازي الواقدي، الواقدي، ج2/ ص 634.

(2) شرف المصطفى، النيسابوري، ج3/ ص 58.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ج4/ ص 47، حديث رقم، 2942.

6. غزوة مؤتة

• بعد بدأ الإعلان عن تحريك جيش مؤتة لمقارعة الروم، ألقى النبي خطابًا إعلاميًا عسكريًا أمام جموع المجاهدين، تضمّن أرقى قانون للحرب العادلة، قانون عجزت حتى الآن كل النظم والتشريعات أن تصل إليه من حيث الإنصاف في معاملة الأعداء، واجتتاب الأعمال اللاإنسانية⁽¹⁾.

عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا"، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتئهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذمكم وذم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا"⁽²⁾.

• عندما بلغ قادة الجيش الإسلامي أن هرقل بالبلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لحم وجذام وبلي وغيرهم مائة ألف، أقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله فنخبره، فإما أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره، فخطب فيهم عبد الله بن رواحة ليحفز معنوياتهم ويقوي عزائمهم ويذكرهم للهدف المراد تحقيقه فشجعهم، وقال والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون

(1) ينظر: موسوعة الغزوات الكبرى، غزوة مؤتة، باشميل، ج/6 ص 169.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، ج/3 ص 1356، حديث رقم، 1731.

الشهادة، وما نقاتل الناس بقوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنين إما ظفر وإما شهادة⁽¹⁾.

وعلى رغم ما في دعوة القائد عبد الله بن روحة من مغامرة خطيرة، فقد أثرت كلماته البليغة في نفوس الجيوش، وأثارت حماسهم، وشحذت همهم التواقة للقاء الله فوافقه القادة الثلاثة، قائلين صدقت وهكذا أجمعوا على الأخذ بالرأي القائل بمصادمة الجيوش الرومانية مهما كانت النتائج⁽²⁾.

7. فتح مكة

• لما نزل رسول الله ﷺ من الظهران⁽³⁾، وقد نزله عشاءً، أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف شعلة، وقد أراد النبي ﷺ ذلك أن يصيب قلوب قريش بالرعب وتزلزل نفوسهم، حين يرون هذه النيران العظيمة تضيء ظلام الصحراء، ويعلمون أن الرسول ﷺ أتاهم بجيش لا قبل لهم به، فتنهار معنوياتهم ويستسلموا للمسلمين دون أن تُراق الدماء، وكان القلق قد أفضَّ مضجع قريش، وتزايد شعورها بأن هناك خطرًا عظيمًا وشيكًا الوقوع بهم، فرقت نفس العباس لأهل مكة، قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلي: أجد بعض الحطابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأنوه قبل أن يدخلها عنوة، فوالله إني لأسير عليها، إذا سمعت كلام أبي سفيان، وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكريًا، قال يقول: بديل: هذه والله، خزاعة جمعتهم الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال: فعرفت صوته فقلت: أنا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: أبو الفضل! قلت: نعم، قال: مالك فداك أبي وأمي قال: قلت: والله هذا رسول الله ﷺ وأصباح قريش والله، قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى أتى بك رسول الله ﷺ فأستأنمه لك، فتنجو وتنجو قريش⁽⁴⁾.

(1) ينظر، مختصر سيرة الرسول ﷺ، النجدي، ج 1/ ص 192

(2) موسوعة الغزوات الكبرى، غزوة مؤتة، باشميل، ج6/ ص 176.

(3) وادٍ قرب مكة وعنده قرية يقال لها مر تضاف إلى الوادي، فيقال، مر الظهران، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4/ ص 71.

(4) عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، فتح الدين، ج2/ ص 217، بتصرف كبير.

يرى الباحث: أنه يظهر من هذه الصورة الملتهبة بضياء الحق الأبلج، وظلام الكفر اللجلج أنها رسالة إعلامية عسكرية مفادها أن القوة التي جاء بها الإسلام، قادرة على سحق من خالف الإسلام، لكنها جاءت لتزيل رواسب الجاهلية وترسخ قواعد الدين، وتنتشر السماحة والرحمة بين العالمين.

• الاستعراض العسكري

لما جاء أبو سفيان ليفاوض النبي في شأن الصلح قبل التحرك نحو مكة، قال ﷺ للعباس انصرف به يا عباس، فاحبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حين تمر عليه جنود الله، فقلت له: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً يكون له في قومه، فقال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، فيقول فخرجت به حتى حبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي، وعند الوصول للمضيق قال أبو سفيان: غدرًا بني هاشم؟ فقال العباس: إن أهل النبوة لا يغدرون، ولكن لي إليك حاجة، فقال أبو سفيان: فهلا بدأت بها أولاً! فقلت: إن لي إليك حاجة فكان أفرخ لروعي "أذهب الفزع"، قال العباس: لم أكن أراك تذهب هذا المذهب⁽¹⁾.

وذلك ليرى جيش الفتح، فمرت به كتائب الله، وفيها "الكتيبة الخضراء" كتيبة رسول الله ﷺ، فلم يملك أبو سفيان نفسه أن قال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً! فقال له العباس ﷺ: إنها النبوة يا أبا سفيان! فقال: نعم والله إنها النبوة⁽²⁾.

يرى الباحث: أن هذا الاستعراض الكبير لجيش المسلمين، هدفه إظهار القوة العسكرية للمسلمين؛ ليكون بذلك مشهداً إعلامياً عسكرياً يدل على المنعة والقوة؛ لينقل أبو سفيان هذا المشهد لقومه؛ ليزرع في قلوبهم الخوف والرعب من عظيم ما رأى، وفي عصرنا الحاضر نرى كثيرًا من الدول سارت على تلك الخطى النبوية في استعراض قواتها العسكرية لتخيف أعداءها بما تمتلك الدول من عتاد عسكري، وقطع بحرية وأسلحة جوية؛ تهدف لزيادة الرعب بالقتل والدمار بعضها لبعض، لكن شتان بين جيش النبوة جيش الرحمة وجيوش العالم اليوم.

(1) دلائل النبوة للبيهقي، البيهقي، ج5/ص34، المغازي، محمد بن عمر بن الواقدي، ج2/ص818.

(2) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بمن محمد أبو شهبة، ج1/ص22.

8. غزوة حنين

عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال: "خرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله ﷺ إليها، فأعدوا وتهيبوا في مضايق الوادي وأنحاءه، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في غلس الصبح، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم، وانكفأ الناس منهزمين، لا يقبل أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول: أين أيها الناس؟ هلموا إلي، أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، قال: فلا شيء، وركبت الإبل بعضها بعضاً⁽¹⁾.

فلما كانت الهزيمة قد حلت بادئ الأمر وتراجع الناس، كان لا بد من دور عسكري مهم يجمع الناس بعدما فروا والموت يحدق بهم من كل جانب، عندها أمر النبي العباس ليقوم بدور الإعلام العسكري فينادي بالناس.

فقال رسول الله ﷺ: "أي عباس، ناد أصحاب السمرة"، فقال العباس: وكان رجلاً صينياً، فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله، لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فافتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ "هذا حين حمي الوطيس"، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: "انهزموا ورب محمد" قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله، ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً، وأمرهم مدبراً⁽²⁾.

ومن المحطات الإعلامية المهمة في حنين؛ ليجتمع الناس لقتال أعدائهم، الدور الإعلامي المهم الذي قام به رسول الله ﷺ بالمناد وإشعار الناس بوجوده ﷺ، فعن البراء رضي الله عنه، وجاءه رجل، فقال: يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين؟ فقال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول، ولكن عجل سرعان القوم،

(1) البداية والنهاية، ابن كثير، ج7/ ص 15.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج3/ ص 1398، حديث رقم، 1775.

فرشقتهم هوازن، وأبو سفيان بن الحارث أخذ برأس بغلته البيضاء، يقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"⁽¹⁾.

وهذا يدل على كمال شجاعته وتمام صولته وقوته ﷺ إذ في هذا اليوم الشديد اختار ركوب البغلة التي ليس لها كر ولا فرّ كما يكون للفرس، ومع ذلك توجه وحده نحو العدو ولم يخف صفته ونسبه وما هذا كله إلا لوثوقه بالله وتوكله عليه⁽²⁾.

يرى الباحث: أن الدور الإعلامي العسكري كان له بعد فضل الله تعالى الدور المهم في تعزيز تواجد المجاهدين حول القائد العام للقتال، فبه جمّع العباسُ الناسَ بصوته الجمهوري الذي يمثل الإعلام المسموع في زماننا، فاحتشد المسلمون لمجادة أعداء الله، كما أن الدور النبوي المهم في بث الطمأنينة في نفوس أصحابه بأنه على رأس الجيش يقاتل، وذلك ليذيب كل ما شاع من أخبار أثرت في نفوسهم.

9. غزوة تبوك

بلغ رسول الله ﷺ من الوافدين من الشام، أن الروم قد جمعت جموعًا كثيرة، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وقد رغبوا في قتال المسلمين⁽³⁾.

وعندما سمع رسول الله ﷺ الأمر كذلك تجهز للقتال، وعلى غير العادة أخبر ﷺ الناس بالوجهة التي يريدونها غزو الروم، وكان رسول الله ﷺ قل ما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس، لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يقصد إليه⁽⁴⁾.

عندها بعث رسول الله ﷺ مجموعة من وزراء الإعلام (إعلامه العسكري) للقبائل، وإلى مكة يقومون بدور الحشد والتهيؤ والاستنفار لغزو بني الأصفر، فبعث إلى أسلم بريدة ابن الحصيب وأمره أن يبلغ الفرع، وبعث أبا رهم الغفاري إلى قومه أن يطلبهم ببلادهم، وخرج أبو واقد الليثي في قومه، وخرج أبو الجعد الضمري في قومه بالساحل، وبعث رافع بن مكيث، وجندب بن مكيث في جهينة، وبعث نعيم بن مسعود في أشجع، وبعث في بني كعب بن عمرو بديل بن ورقاء، وعمرو بن سالم،

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى، {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ...} ج/5 ص 153، حديث رقم، 4315.

(2) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بكري ج/2 ص 103.

(3) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، فتح الدين، 2/ 267.

(4) البداية والنهاية، ابن كثير، ج/7 ص 146، بتصرف.

ويشر بن سفيان، وبعث في سليم عدة، منهم العباس بن مرداس، وحض رسول الله ﷺ المسلمين على القتال والجهاد، ورجبهم فيه⁽¹⁾.

يرى الباحث: أن سرعة الحشد والاستنفار العسكري في صفوف المسلمين، نتيجة التعبئة الإعلامية التي قام بها القائد العام لجيش المسلمين وانتداب بعض أصحابه ليقوموا بهذه المهمة العظيمة، فكان لها الدور الكبير في ظهور الاستعداد القتالي والتضحية في سبيل الله تعالى، على الرغم من وجود بعض المعوقات الدنيوية التي أصابت بعض الصحابة.

(1) ينظر: المغازي، الواقدي، ج3/ص990.

المبحث الثالث

الحرب النفسية في القرآن الكريم أساليبها وطرق الوقاية وإزالتها

المطلب الأول: تعريف الحرب النفسية

أولاً: تعريف الحرب في اللغة

1. بمعنى السلب، يقال حربته ماله، وقد حرب ماله، أي سلبه⁽¹⁾.
 2. الحرب، نقيض السلم، وهي مؤنث أنثى⁽²⁾.
 3. والحرب: القتال والنزال بين فئتين⁽³⁾.
 4. الحرب: نقيض السلم ولشهرته يعنون به القتال، والحرب هو الترامي بالسهم، ثم المطاعنة بالرمح، ثم المجادلة بالسيوف، ثم المعانقة، والمصارعة إذا تزاخما⁽⁴⁾.
- يتضح للباحث أن المعنى اللغوي يدور حول: القتال وعدم المهادنة.

ثانياً: الحرب في الاصطلاح:

1. "الحرب هي الصراع المسلح بين دولتين أو فريقين يكون الغرض منها الدفاع عن حقوق ومصالح الدولة المتحاربة"⁽⁵⁾.
2. "الحرب هي صراع قوة بين شعبين أو بين فريقين، يريد كل منهما الحصول بالقوة على شيء، لم يسطع الحصول عليه بطرق أخرى، ويحدث هذا بقيام دولة بتحقيق أطماعها، وتقوم الثانية بالدفاع عن مصالحها"⁽⁶⁾.

تعريف الباحث

الحرب: هي صراع بين دول أو جماعات، من أجل تحقيق مكاسب، ودفع مضار، أو فرض

سيطرة.

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2/ ص 48.

(2) المحكم والمحيط الأعظم، المرسي، ج3/ ص 312.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج1/ ص 464.

(4) تاج العروس، الزبيدي، ج2/ ص 249.

(5) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، الزحيلي، ج1/ ص 35.

(6) الحرب والرأي العام والدعاية، حمليل، ص، 25.

تعريف الحرب النفسية

1. هي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة دول أو تنظيم في وقت السلم أو الحرب لإجراءات إعلامية متنوعة بقصد التأثير في آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أو دول عدوة أو صديقة أو محايدة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة لها أو التنظيم⁽¹⁾.
2. هي الاستخدام المخطط للدعاية، أو ما ينتمي إليها من الإجراءات الموجهة إلى الدول المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهذا التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول يحقق للدولة (الموجهة) أهدافها⁽²⁾.
3. هي استخدام أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين⁽³⁾.

تعريف الباحث: الحرب النفسية هي استخدام منظم للدعاية تهدف للقضاء على عوامل الثقة بالنفس وبالقيادة، لإشاعة روح الفرقة والفوضى، وإضعاف الجبهة الداخلية للدول المعادية.

المطلب الثاني: أساليب الحرب النفسية في القرآن الكريم

لقد استخدم القرآن الكريم أساليب عديدة في كشف وبيان الحرب النفسية دفاعية كانت أو هجومية، موجهة ضد المسلمين، أو من المسلمين ضد أعدائهم، ومن هذه الأساليب:

1. أسلوب الإشاعة

الإشاعة من: شاع وفشا وانتشر، وقولهم: هذا خبر شائع، أي قد اتصل بكل أحد، فاستوى علم الناس به⁽⁴⁾، ورجل مشياح أي مذياع لا يكتف سرًا⁽⁵⁾، شاع الخبر، أي: كثر وقوي⁽⁶⁾.

والإشاعة تعني الانتشار والتكاثر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور: 19].

(1) موسوعة الجهاد، الشاملة الذهبية، ج1/ ص 497.

(2) الحرب النفسية، محفوظ، ص، 16.

(3) الحرب النفسية، نصر، ج1/ ص 92.

(4) تاج العروس، الزبيدي، ج2/ ص 301.

(5) لسان العرب، ابن منظور، ج8/ ص 191.

(6) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص، 470.

فالإشاعة هي ترويج لخبر مخلوق، لا أساس له من الواقع، أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة أو إضافة معلومة كاذبة أو تفسير خبر صحيح بأسلوب مغاير للحقيقة؛ بهدف التأثير النفسي في الرأي العام، لتحقيق أهداف سياسية أو عسكرية أو اقتصادية⁽¹⁾.

والإشاعة سلاح من أهم أسلحة الحرب النفسية، بل ربما كان أكثر هذه الأساليب أهمية ودلالة سواء في أوقات السلم أو الحرب؛ لما لها من خاصية سرعة الانتشار، فهي تضعف الصف، وتقسم الكلمة، وترزع نفسية الجماهير، وتفقد ثقتها بحكومتها إن كانت موجهة من العدو، وكذلك تشككها بقدرة جيشها⁽²⁾.

والإشاعات اليوم غدت علمًا له قوانينه ونظرياته ودراساته ونتائجه التجريبية والواقعية، بحيث يمكن توجيهه في وجهة معينة لتحقيق أهداف ومطامع في إطار المفهوم الشامل للحرب النفسية⁽³⁾. ولعل أخطر الإشاعات التي مرت على نبينا ﷺ هي إشاعة وفزية الإفك، التي حاكها كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ضد رسول الله ﷺ، فرموه في عرض زوجه أم المؤمنين عائشة قاصدين من ذلك الأسلوب، أن يدمروا بيت النبوة، ويسقطوا مكانة أقرب الناس إليه، لكنها لولا عناية الله كانت قادرة على أن تعصف بالأخضر واليابس، ولا تبقى نفس مستقرة مطمئنة، فقد مكث مجتمع المدينة شهرًا كاملًا يصطلي نارها⁽⁴⁾.

2. أسلوب السخرية والاستهزاء:

السين والحاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستدلال⁽⁵⁾، وهزئ من الشخص: هزأ به، أي سخر به أو منه⁽⁶⁾، والسخرية والاستهزاء نوع من الهجاء، وهما سلاحان من أسلحة الحرب النفسية.

والسخرية والاستهزاء من الأساليب التي استعملتها أقوام الرسل عليهم السلام ضدهم وضد المؤمنين، وقد قص علينا القرآن الكريم سخرية أقوامهم منهم، ومن ذلك سخرية قوم نوح، قَالَ تَعَالَى:

(1) الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم، عارف، ص، 14.

(2) الحرب النفسية أضواء إسلامية، النجار، ص، 166.

(3) الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم، عارف، ص، 14.

(4) الإشاعة، د. أحمد نوفل، ص، 128.

(5) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3/ ص 144.

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج3/ ص 2346.

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: 38].

واستمر الحال كذلك مع بقية الرسل الذين جاؤوا بعد نوح عليه السلام، فكان قوم شعيب يسخرون منه ويستهزؤون به، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِيهِ أَمْوَالَنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: 87]، فهذا الرد واضح بالتهكم والسخرية، لكنها سخرية الجاهل المطموس، والمعاند بلا معرفة ولا فقه⁽¹⁾.

وقد بين القرآن أن السخرية والاستهزاء حصل لجميع الرسل من أقوامهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الزخرف: 7].

وأسلوب السخرية والاستهزاء يلجأ إليه المفلسون الذين لا يملكون الحجة والبرهان، ولا يملكون من أدوات الإقناع شيئاً؛ لذلك يستخدموا هذا الأسلوب الذي يعبر عن مستواهم الدنيء ليواجهوا بها دعوة الحق وجنودها.

ومن هنا جاء دور القرآن الكريم في مواجهة أساليب الأعداء في حربهم النفسية وتدعيم موقف المسلمين في مواجهة الأسلوب، فكان القرآن أقوى سلاح معنوي اعتصم به المسلمون، حيث واجه من سخر واستهزأ بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بسخرية واستهزاء أشد من سخريتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ اسْتَهْزَؤْا إِنِّي أَنَا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحَدَّرُونَ ﴾ [التوبة: 64].

وأعداء الله في كل زمان ومكان يستخدمون هذا الأسلوب بقصد النيل وقتل روح الدافعية عند أقطاب الدعوة الإسلامية، وعند مصلحيها.

3. أسلوب إثارة الرعب والترجيع

الراء والعين والباء أصول ثلاثة: أحدها الخوف، والثاني الملاء، والآخر القطع، فالأول الرعب وهو الخوف⁽²⁾، والرعب: هو الخوف تقول منه: رعبته فهو مرعوب، إذا أفزعته⁽³⁾.

(1) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج4/ ص 1919.

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2/ ص 409.

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، ج1/ ص 136.

وإثارة الرعب: تعني المبالغة في استخدام أساليب مختلفة ومتنوعة؛ بهدف إدخال شعور الرعب والخوف في نفوس الأعداء، ويهدف تحريك الجماهير لعمل مباشر وتحت تأثير انفعالي وقتي ينتج عنه انهزامية في نفوسهم⁽¹⁾.

وقد ذكر تعالى الرعب في كتابه الكريم في مواطن متنوعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَدُهُمُ النَّارُ وَيَسَّرَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 151]، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كَلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: 12]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: 26].

وهذا الوعد من الله بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا هو وعد قائم في كل معركة يلتقي فيها الكفر بالإيمان، ولكن بشرط تحقق الإيمان في قلوب المؤمنين، وتحقق الشعور بولاية الله وحده والثقة المطلقة بهذه الولاية، والتجرد من كل شك في أن جنود الله هم الغالبون، وأن الذين كفروا غير معجزين في الأرض، مهما امتلكوا من أسلحة الدمار الشامل.

وقد استخدم المسلمون أسلوب الرعب، وزرعه في نفوس الأعداء استجابة لأمر الله ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 60].

والرعب كان سلاحاً قوياً في يد المؤمنين عندما كانت قلوبهم معلقة بالله، ولا يعطون الدنيا في دينهم، حتى أصبح اليوم سلاحاً في يد أعداء الله ضد عباد الله، وذلك للخضوع والذل الذي أصاب المسلمين.

4. أسلوب التثبيط وتحطيم المعنويات

استخدم الأعداء هذا الأسلوب لقتل الروح المعنوية في أجساد المجاهدين في كل زمان ومكان؛ بهدف انتشار التخاذل بين صفوفهم، وأنهم لا قبل لهم بأعداء الله عدداً وعدةً. ومع ذلك فقد حمل المسلمون مقومات النصر الحقيقية التي قررها الإسلام في منهجه، فأصبحوا لا يؤثر عليهم تثبيط الأعداء ولا إرجاف المرجفين؛ لذا كانت الانتصارات تتوالى على تلك الصفوة التي عاشت كتاب الله ومع رسوله في كل حين، وقد وصف القرآن منهج التثبيط لأعداء الله ضد أولياء

(1) الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم، عارف، ص17.

الله⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَبَعُوا لَكُمْ فَأَحْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَنَّا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

بالإضافة إلى أن الإسلام أوجب الثبات عند اللقاء، فلا مكان للخوف مع الإيمان بالله إلا الله وحده، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45].

إذن هذا الأسلوب لم يُجدِ نفعًا مع الذين عرفوا طريقهم وتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم، أما في زمان الخنوع والذل أصبح هذا الأسلوب مبررًا لبعض المسلمين بعدم نصب العدا لمن يحاربنا ويقاقلنا بدعوى أن العدو يتفوق علينا من جميع النواحي، ومن خلفهم تحالفات عربية وغير العربية تمدهم بالمال والسلاح، فلا طاقة للقلة من المؤمنين بهم، وقد نسي المرجفون أن الله مع الذين آمنوا.

5. أسلوب الخداع

خدع: الخاء والداد والعين أصل واحد، وهو إخفاء الشيء، وبذلك سميت الخزانة المخدع لأنها تخفي الأشياء⁽²⁾.

والخداع هو أحد أساليب الحرب النفسية وخاصة أثناء المعارك والحروب، وذلك لتضليل العدو وإرباكه وزعزعة ثقته بقدراته وقياداته⁽³⁾.

وقد استخدم هذا الأسلوب رأس النفاق والجيش يتحرك للقاء العدو في أحد، وفي منتصف الطريق انخدل عن المسلمين عبد الله بن أبي بن سلول ومعه ثلث الجيش، وكان الهدف ضرب وحدة الجيش وزعزعته، لكن بفضل الله، وثبات المؤمنين مضى الجيش للقاء عدوه⁽⁴⁾.

ولعل من أشهر أساليب الخداع ما فعله المنافقون في بناء مسجد الضرار في المدينة، وهم يخفون من ورائه نيات خبيثة وأهدافًا سيئة ومؤامرات دنيئة على الإسلام والمسلمين، ومن هذه المؤامرات الخطيرة تجهيز المسجد لاستقبال جنود الروم الذين سيأتون لغزو المدينة، أما في الظاهر فيحمل أعمال البر والخير، لكن سرعان ما فضحهم القرآن الكريم وأظهر تلك النوايا الخطيرة التي تريد

(1) الحرب النفسية، سمييم، ص 20.

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2/ ص 161.

(3) الحرب النفسية في ضوء القرآن، النجار، ص 19.

(4) ينظر: السيرة النبوية - دروس وعبر، السباعي، ص 84.

هدم الإسلام (1)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 107].

وبالرغم من أن الإسلام نَفَّرَ من الغدر والخداع، إلا أنه جَوَّز الخداع في الحرب للظفر على العدو.

فالإسلام أجاز الخداع في الحرب فقط لتضليل العدو، ما دام ذلك لم يشتمل على نقض للعهد أو الإخلال بأمان (2).

6. أسلوب التلويح باستخدام القوة

من أهم أساليب الحرب النفسية إظهار القوة، وذلك بإظهار أعداد الجنود الكبيرة والأسلحة الفعالة، كما فعل النبي ﷺ في فتح مكة، وهو يستعرض الجيوش أمام أبي سفيان، وأثناء التحرك لفتح مكة احتجز النبي أبا سفيان في مضيق الوادي؛ ليشهد العرض العسكري النبوي، فكان العرض بمثابة صاعقة نزلت على أبي سفيان، عندها علم أنه وجيش الكفر في مكة لا قبل لهم بجيش المسلمين، وهذا ما أَرَادَهُ النبي ﷺ من الاستعراض؛ لِيُرِي زعيم قريش قوة الجيش الإسلامي عددًا وعدة وتسليحًا وتنظيمًا، وأصل هذا الأمر في كتاب الله (3)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 60].

برع أعداء الإسلام باستخدام هذا الأسلوب أمام الجيوش العربية المسلمة، حيث صنعوا هالة الكبيرة حول قوتهم؛ ما منع تلك الجيوش المهزومة من التفكير بقتالهم والتعرض لهم حتى بالكلمة، والعجيب أكثر أنهم أصبحوا يروجون لقوة العدو أكثر من العدو نفسه، وعلى العكس من ذلك فبعض البلدان المحتلة بما لديها من فصائل مقاومة لا تكثرت بالعدو ولا تحسب له حساب، على الرغم من التفوق العسكري للعدو، إلا أن العقيدة الإسلامية العسكرية كان لها التفوق في ذلك.

(1) بتصرف، البداية والنهاية، ابن كثير، ج2/ص346، بتصرف.

(2) فقه السيرة، السيد سابق، ص، 654.

(3) غزوة فتح مكة في ضوء السنة المطهرة، القحطاني، ص116.

المطلب الثالث: الوقاية من الحرب النفسية وإزالة آثارها

أولاً: الوقاية من الحرب النفسية

من الحقائق العلمية أن الروح المعنوية للمقاتلين هي أولى دعائم النصر في المعركة، وأن الحرب النفسية تستهدف تحطيم هذه الروح؛ من أجل ذلك تتخذ الجيوش جميع التدابير التي من شأنها رفع الروح المعنوية وتقوية إرادة القتال لدى رجالها، وتحصين رجالها ووقايتهم من آثار الحرب النفسية المعادية، وإزالة آثار الحرب واستعادة تلك الروح؛ والواقع أن هناك علاقة وثيقة بين "رفع" معنويات الجيش بهذه التدابير وبين "خفض" معنويات العدو بالحرب النفسية، ذلك لأن هذا العمل في كلا الاتجاهين رفعاً في أحدهما، وخفضاً في الآخر سوف يزيد المسافة بين مستوى معنويات الطرفين فيساهم ذلك بدور كبير في إحراز النصر على العدو⁽¹⁾.

طرق الوقاية من الحرب النفسية في الإسلام

1. الإيمان وقوة العقيدة

فهي الأساس والركيزة الأساسية في صد كل شائعة ومقولة، ذلك أن قوي الإيمان يرد الأمور إلى نصابها ويرد الشائعات في كيدها، ويرد كل ما لا يعرفه للقيادة وأولي الأمر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ [النساء: 83].

وسواءً كانت الحرب النفسية ضد القائد أو القيادة، فإن من كان قوي الإيمان واضح العقيدة يظن بقائه وبقيادته خيراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12].

والمؤمن عندما يسمع قوة عدوه ويراهما، ويسمع تهديده لا يزيده ذلك إلا قوة وإيماناً بالله؛ لأنه يعلم أن هناك حياة بعد الموت، فإما نصر وإما شهادة.

(1) النظرية الإسلامية في الحرب النفسية، محمد محفوظ، ص 37.

والقائد عندما ينتصر لا يخرج النصر عن شكر الله، وإن انهزم لا تشغله الهزيمة عن اللجوء إلى الله، ودراسة أسباب الهزيمة، ثم العودة من جديد لمواجهة الأعداء، ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية أن الحرب النفسية تؤثر على الجيوش الذين لا عقيدة لهم⁽¹⁾.

وإذا كان من أهداف الحرب النفسية التخويف من الموت والفقر، ومن القوة الضاربة للمنتصر، ومن محاولة جعل النصر حاسماً بالدعوة إلى الاستسلام، وبث الإشاعات والأراجيف، وإشاعة الاستعمار الفكري بالغزو الحضاري، وإشاعة اليأس والقنوط، فإن المؤمن حقاً لا يخشى الموت؛ لأنه يؤمن بأنه لا يموت إلا بأجله الموعود⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: 154].

2. الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية

إن الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية من أهم عناصر الوقاية من تأثيرها، ولذلك فإن كل الجيوش تعد جنودها ليكونوا على قدر كبير من الوعي والمعرفة حتى لا يكون فريسة سهلة للعدو⁽³⁾.

وهذا الوعي يجعل المقاتل مستعداً استعداداً نفسياً لمواجهة تلك الحرب، وعدم الاستجابة لها والتأثر بها، وخاصة إذا كان مسلماً بالإضافة إلى الوعي والمعرفة والإيمان القوي والعقيدة الراسخة، وقد عني القرآن بكشف أهداف أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين، وفضح أساليبهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين، والقضاء على وحدتهم وأمنهم، ودورهم في التخذيل والتوهين وتثبيط العزائم، ومحاولتهم للتشكيك وزعزعة الثقة في النصر على الأعداء، وأرشد القرآن المسلمين إلى مواجهة هذه المحاولات ومقاومتها والقضاء عليها، ومنها⁽⁴⁾:

أ. فضح محاولات التفرقة ومقاومتها

وذلك عندما تتطرق الحرب النفسية من عند العدو يجب على القيادة الإسلامية أن تكشف حقيقتها وتبين زيفها للمسلمين وللجنود، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا رَبِّيًّا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا

(1) موسوعة الجهاد، قيادات المعسكرات والجهات، ص 516.

(2) النظر الإسلامية في الحرب النفسية، محفوظ، ص 40.

(3) المرجع السابق، ص 45.

(4) الحرب النفسية من منظور إسلامي، النجار، ص 356.

الْكَتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ [آل عمران: 100]، فالله سبحانه وتعالى كشف للمسلمين في كل زمان حقيقة أهل الكتاب.

وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ باقية، فيجب على القيادة والجند أن يردوا هذه الحرب إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، سواء كان من الأعداء أو من الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله (1)، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: 103].

ب. كشف محاولات التخذيل وتشبيط العزائم (2)

يقرر القرآن الكريم أن الدور الذي يؤديه أعداء الإسلام في التخذيل وتشبيط العزائم وإضعاف الهمم له خطورته، إذا انساق في تياره أبناء الأمة، ويوضح أنه كلما لقيت دعواتهم آذانًا صاغية فإنهم يفرحون بذلك ويستبشرون، وهذا شأنهم في كل العصور، ومن الأمثلة التي أوردها القرآن في هذا أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين - عندما أمر رسول الله بالإعداد لغزوة تبوك - أن يتخلوا عن الرسول، ولا ينفروا في لظى الشمس ووهج الحر، فجاءت الآية تحذر من اتباعهم، وتنبئهم أن جهنم أشد حرًا، وتطالب الرسول ألا يستعين بهم مرة أخرى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَصْحِكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾ [التوبة: 81 - 83].

فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تشبيط العزائم، ويحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب، بل يقرر أيضًا ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم.

ت. كشف محاولات زعزعة الثقة بالنصر

يكشف القرآن الكريم مجددًا محاولات زعزعة المسلمين في النصر، فأورد مثالًا على ذلك أولئك المنافقون الذين وجدوا فرصة لنفث سمومهم في أهل المدينة بالتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله، بالنصر والفتح المبين، وأخذوا يركزون على جانب التخويف وإضعاف العزائم؛

(1) موسوعة الجهاد، قيادات المعسكرات والجهات، ص 516.

(2) الحرب النفسية من منظور إسلامي، النجار، ص 358.

ليتركوا الرسول في الخندق وحده مع نفر قليل، وليرجعوا إلى بيوتهم متعللين بأنها غير محصنة⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَرْبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: 12 - 13].

3. كتمان الأسرار ومنع ترويح الإشاعات

إن توجيهات الإسلام تسدُّ منافذ الحرب النفسية ولا تعطي غير أهل العلم من القادة والرؤساء حق الحديث عن الجيش والأمة؛ لأن هؤلاء أدرى بما يصلح أن يقال وما لا يقال، وخاصة في الظروف الحساسة، ولذلك لام القرآن الكريم المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام، كما لام ضعفاء المسلمين؛ لأنهم كانوا يُفشون أمر رسول الله ويذيعونه ويتحدثون به قبل أن يقفوا على حقيقته سواء كان الأمر يتصل بحالة الحرب أم بحالة السلم والأمن⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: 83].

وقد حذر القرآن من تناول ما لم نستيقنه أو نعلمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: 36].

وعلى المسلم تحري الصدق في القول والعمل، ومراقبة لسانه جيدًا، فقد تجر كلمة واحدة عواقب وخيمة، عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: (إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق)⁽³⁾.

ويحذر الإسلام من ترويح الإشاعات، وإنَّ أشد أنواع الكذب أن يدَّعي الرجل بالباطل أنه رأى بنفسه الشيء الذي يذيع عنه، قال ﷺ: (إن من أفرى الفرى أن يُري عينيه ما لم تر)⁽⁴⁾.

يشير الحديث أن أشد الكذب وأكذب الكذبات الذي يدعي أنه رأى رؤيا، وهو لم ير شيئًا.

(1) ينظر: في ظلال القرآن، السيد قطب، ج5/ ص 2839

(2) النظر الإسلامية في الحرب النفسية، محفوظ، ص 53.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج8/ ص 100، حديث رقم، 6477.

(4) المصدر السابق، البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، ج9/ ص 43، حديث رقم، 7043.

وهكذا يدعو الله تعالى المسلمين لكي يكونوا صادقين فيما يقولون وفيما يفعلون، وأن يقدرُوا الكلمة قبل أن ينطلق بها اللسان، وأن يعرفوا أبعادها وعواقبها ويدركوا أنها أمانة، وأن الكذب فيها أو قولها لغير ما قيلت له غش وخداع، وكذب على الله الذي يكشف الدخائل ويدرك الخفايا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: 70 - 71].

4. إعطاء المجاهدين حقوقهم

ليس أكثر مما يدخل الوهن والضعف في نفس المجاهد من شعوره بأنه مظلوم لا يصل إلى حقه، ولا تحرص القيادة على إيصال الحق له، أو لا يُعامل مثل غيره، بل يُغمط حقه، وتُبْخس أشياؤه، وقد نهى الله عن ذلك الظلم، فقال في الحديث القدسي عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله -تبارك وتعالى- أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا)⁽¹⁾، وذلك أن الظلم سبب الهزيمة، وسبب لزوال النعمة، وسبب لعدم الفلاح، وسبب لنزول العذاب، وسبب للخيبة والفشل، وسبب للهلاك⁽²⁾.

5. التصدي للقوى المضادة المستترة

ومما تتميز به الاستراتيجية الإسلامية في إعداد القوة الرادعة التي ترهب العدو، أنها لا تهدف إلى ردع العدو الخارجي الظاهر فقط، بل تمتد إلى ردع أعداء الأمة من القوى المضادة التي تعمل في الخفاء، والتي قد يكون خطرهما، إذا غفلت الأمة أو لم تتصدَّ لها، وهو أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60].

﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ هم الكفار والمشركون الذين يُسيئون إلى الدين وينكرونه⁽³⁾.
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾، قال الطبري: هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم؛ لأنهم معكم، يقولون: لا إله إلا الله، ويغزون معكم⁽⁴⁾.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج4/ ص 1994، حديث رقم، 2577.

(2) موسوعة الجهاد، قيادات المعسكرات والجيئات، ص 518.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ج4/ ص 1723.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج14/ ص 36.

وقد فسرها السابقون بالمنافقين؛ لأنهم يلبسون ثوبًا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، إلا أنه ينطوي على كل القوى المضادة التي تحقد على الأمة، وتتفت سمومها في الخفاء، وتروج الإشاعات، وتثير الفتنة، وتغري بالسلبية والفساد، وتقتل الإرادة والإيجابية، ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الإسلامية وبين صفوف أبنائها، ومنهم من يكون خارجها؛ يُدبر ويُخطط ويتحرك بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والغزو الفكري الهدام⁽¹⁾.

6. المراقبة الواعية لأمر الجند⁽²⁾

وذلك لرصد المُخذلين والمتبطين، وعزلهم عن الجند، وعقوبتهم بما يناسب الجرم؛ لأن الجيش قد يؤتى من داخله قبل أن يؤتى من عدوه، والمُتنبط يجد أذنا صاغية ممن حوله، قال تعالى عن المنافقين والمتخلفين عن غزوة تبوك: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعِذْكَ لِخُرُوجٍ فَقُلْ لَنْ مَخْرُجًا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾** [التوبة: 83].

فهذا عزل لهم عن الجيش، وتطهير للجيش منهم، وقد حذرنا الله تعالى من خروج أمثال هؤلاء في الجيش، فلا خير فيهم، مهما بلغت كثرتهم، قال تعالى: **﴿ لَوْ حَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾** [التوبة: 47].

ثانياً: إزالة آثار الحرب النفسية.

لقد وجّه الإسلام إلى استخدام أساليب التحصين والوقاية من الحرب النفسية؛ ليُقوّت على الأعداء أغراضهم الخبيثة، ونراه أيضاً يوجّه إلى أساليب إزالة آثارها من قلوب المسلمين وعقولهم؛ لأنه بلا شك تترك الحرب النفسية آثاراً في نفوس المقاتلين خصوصاً بعد الهزائم، حيث تتضاعف الآلام النفسية لأسباب متعددة، منها ما هو داخلي؛ كالحزن والتلاوم، ومنها ما هو خارجي؛ كشماتة الأعداء وطمعهم في المهزومين، لكن الإسلام يوجه أبناءه إلى الطريق القويم؛ لاستعادة قواهم المعنوية على أسس أهمها⁽³⁾:

(1) النظرة الإسلامية في الحرب النفسية، محفوظ، ص 58.

(2) موسوعة الجهاد، قيادات المعسكرات والجيهاات، ص 516.

(3) النظرة الإسلامية في الحرب النفسية، محفوظ، ص 59.

1. سرعة الرجوع إلى أصول العقيدة والاعتصام بالدين

تعدُّ قوة العقيدة الحصن الحصين للوقاية من الحرب النفسية، وأن سرعة الرجوع إليها والاستمساك بها تأتي على رأس أساليب إزالة آثار تلك الحرب.

ومن أروع الأمثلة على ذلك، ما حدث بعد وفاة النبي ﷺ، فقد استغل المنافقون والمشركون الموقف على الفور، وأخذوا يشنون الحرب النفسية؛ لزعزعة صفِّ المسلمين، وإثارة الفتنة بينهم، وقد أسرع عمر بن الخطاب تجاه جثمان النبي ﷺ الطاهر، وهو لا يصدق أنه مات، فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات⁽¹⁾.

ولما استمع المسلمون لصيحات عمر، وهم في حالة أشبه بالذهول، قام الصديق عقب تلك المشاهد يُثبِّت عقول الناس بهذا الأمر؛ حتى لا يفتتن المسلمون.

فقال الصديق: (أيها الناس، إنه من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، قال: ثم تلا هذه الآية: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِرَ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾** [آل عمران: 144].

وهكذا أزال عن القلوب كل شك في أن محمداً قد مات، فلما كان اليوم الثاني قام عمر بن الخطاب على المنبر ثم قال: (أيها الناس! إنني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مني، وما وجدتُها في كتاب الله، ولا كانت عهداً إلي رسول الله ﷺ، ولكنني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيأمرنا بقول يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى)⁽²⁾.

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، ج2/ص 655.

(2) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ابن حبان، ج2/ص 423.

وهكذا يكون الاعتصام بدين الله أقوى أسباب الوقاية من الضلال، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: (تركتم فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ)(1).

2. الاستعانة بالصبر والصلاة

الصبر والصلاة أقوى أساليب الوقاية والعلاج لإزالة الضغوط النفسية، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

يتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيراً، ذلك أن الله سبحانه يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع، التي يتعرض لها المسلم، فلا بد من الصبر في هذا كله، ولا بد من الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على جهاد المشاقين لله، والصبر على الكيد بشتى صنوفه، والصبر على بقاء النصر، والصبر على بعد الشقة، والصبر على انتفاش الباطل، والصبر على قلة الناصر، والصبر على طول الطريق الشائك، والصبر على التواء النفوس، وضلال القلوب، وثقله العناد، ومضاضة الإعراض، وحين يطول الأمد، ويشق الجهد، قد يضعف الصبر، أو ينفد، إذا لم يكن هناك زادٌ ومددٌ(2).

ويقول رسول الله ﷺ في وصف المؤمن: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له)(3).

3. إزالة آثار الهزيمة النفسية بالعمل العسكري

تزال آثار الهزيمة النفسية بالعمل العسكري، وذلك كما حدث مع رسول الله ﷺ، عندما خرج لملاقاة قريش في حراء الأسد بعد أخذ مباشرة، رغم كثرة الجراح في المسلمين. فلما كان الغد من يوم أحد، والجراح فاشية، والدماء نازفة في صحابة رسول الله ﷺ، وقد علم الرسول ﷺ بأن قريشاً يريدون القضاء على المسلمين، لم ينتظر ﷺ، فأمر المسلمين بالخروج لمطاردة العدو، على ألا يخرج إلا من حضر القتال أمس، فخرج المسلمون ناحية العدو، ففرّ أعداء الله أمام صمود المؤمنين، فكان النصر المعنوي له أثره الكبير في نفوس الصحابة(4).

(1) اسناده حسن: موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، ج 2/ ص 70، حديث رقم، 1874.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج 1/ ص 141.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير ج 4/ ص 2295، حديث رقم، 2999.

(4) المغازي، الواقدي، ج 1/ ص 335، بتصرف.

4. المواجهة بالحقائق

ليس هناك مثل الحقائق وسيلة للقضاء على الحرب النفسية وإزالة آثارها، وتلك حقيقة يقرها علماء النفس وخبراء الحرب النفسية، كما أن غيبة الحقيقة تولد لدى الإنسان فراغاً فكرياً يجعله فريسة سهلة للإشاعات والأخبار المضللة التي يُذيعها الأعداء، مستغلين ذلك المناخ الصالح الذي يتهيأ لهم لتحقيق أغراضهم في تدمير الروح المعنوية، ولا تقلح وسائل تكذيب الإشاعات، في إزالة تلك الآثار الهدامة، مثلما تقلح الحقيقة التي هي السبيل الأوضح لقطع الشك والقضاء على البلبلة والغموض⁽¹⁾.
ومن الأمثلة التي تُساق في هذا الجانب، إشاعة مقتل النبي ﷺ في أحد، التي كان لها الأثر الشديد في نفوس المسلمين، حينما مرَّ الصحابي الجليل أنس بن النضر بعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، وهم رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل⁽²⁾.

لقد كان ردُّ الرسول القائد على إشاعة مقتله أن صعد إلى الجبل ليطمئن أصحابه ويرد إليهم الثقة في أنفسهم، فعن محمد بن مسلمة⁽³⁾ قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ، وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم لا يلبون عليه، وإنه ليقول: إلي يا فلان، إلي يا فلان، أنا رسول الله⁽⁴⁾.

هكذا كانت الحقيقة الدامغة بوجود رسول الله بن نفسه حياً، أبلغ رد يقضي على ما أشيع عن مقتله، ولم تؤدِّ هذه الحقيقة إلى إزالة الآثار المعنوية للإشاعة فحسب، بل أدت دورها الإيجابي الفعال في تجميع القوى المبعثرة، وفي ردِّ الثقة في النصر إلى المسلمين.

(1) النظر الإسلامية في الحرب النفسية، محفوظ، ص 59.

(2) السيرة النبوية، ابن إسحاق، ج 1/ ص 330.

(3) محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي من الأوس، صحابي جليل، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير، وذلك قبل إسلام أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ، وأخى رسول الله ﷺ بين محمد بن مسلمة وأبي عبيدة بن الجراح، وشهد محمد بدرًا وأحدًا، وكان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ، يومئذٍ حين ولى الناس، وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ما خلا تبوك فإن رسول الله ﷺ استخلفه على المدينة حين خرج إلى تبوك، وكان محمد فيمن قتل كعب بن الأشرف، الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج 3/ ص 338.

(4) المغازي، الواقدي، ج 1/ ص 237.

إن التربية العسكرية الإسلامية في مضمونها تسعى لإعداد الفرد المسلم، والجماعة المسلمة، إعدادًا إيمانيًا، وعقائديًا، ونفسيًا، وبدنيًا، وعسكريًا، حتى يصل بذلك، إلى التمكين في الأرض، ويكون مهياً للاستخلاف، لذلك فالتمكين هو ثمرة التربية العسكرية التي تسعى لها أمة الإسلام، لذلك أفردت فصلاً كاملاً يتحدث عن التمكين.

الفصل الرابع

التمكين؛ أهدافه وأركانه ومراحله ومراتبه
ونماذجه وصفاته جيله

المبحث الأول

تعريف التمكين شروطه وأسبابه ومعوقاته

المطلب الأول: تعريف التمكين لغةً واصطلاحاً

أولاً: التمكين لغةً

1. مَكَّنَ يمكن، تمكيناً، فهو ممكن، والمفعول ممكن، ومكن الشخص من التصرف في شئونه: أمكنه، جعل له عليه قدرة وسلطاناً⁽¹⁾.
 2. التمكين: إزالة الموانع، مَكَّنَ الله تعالى العبد: أي أعطاه آلة يقدر معها على الفعل⁽²⁾.
 3. المكان: الموضع، والجمع: أمكنة وأماكن، والمكانة: المنزلة عند الملك، مَكَّنَ - ككرم - وتمكن، وهو مكين، والجمع: مكناء، ومكنته من الشيء وأمكنته منه، فتمكَّن واستمكن، وأمكنتني الأمر معناه: أمكنتني من نفسه⁽³⁾.
 4. التمكن تقول العرب: إن بني فلان لذوو مكنة من السلطان، أي: تمكن⁽⁴⁾.
- يتضح للباحث أن المعنى اللغوي للتمكين يدور حول: الاستقرار والثبوت والمكانة العالية.

ثانياً: التمكين في الاصطلاح:

1. السعي الجاد من أجل الرجوع إلى ما كانت عليه من السلطة والنفوذ والمكانة في دنيا الناس⁽⁵⁾.
 2. بلوغ حال من النصر، وامتلاك قدر من القوة، وحياسة شيء من السلطة والسلطان، وتأييد الجماهير والأنصار والأتباع، وهي لون من ألوان الترسخ في الأرض وعلو الشأن⁽⁶⁾.
- يرى الباحث أن التمكين: هو السير نحو الثبات والاستقرار في تولّي زمام القيادة والسلطان.

معاني التمكين في القرآن الكريم

ورد الفعل مكن في القرآن الكريم بصيغ مختلفة في ثمانية عشر موضعاً⁽⁷⁾، ولم ترد لفظة التمكين صراحةً، حيث دلت على معاني مختلفة حسب السياق القرآني لكل آية.

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج3/ص 2115.

(2) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، ج9/ص 6361.

(3) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ج4/ص 516.

(4) لسان العرب، محمد بن مكرم، ج13/ص 412.

(5) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص، 18.

(6) مقال بعنوان، سنة التمكين، فتحي يكن، العدد 1249، مجلة المجتمع.

(7) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، ص 671.

1. الملك والسلطان

قال تعالى في شأن ذي القرنين: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: 84]، لقد مكن الله له في الأرض، فأعطاه سلطاناً وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع، وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة⁽¹⁾.

2. المنزلة والمكانة

لما أراد الله ليوسف عليه السلام أن تكون له مكانة عظيمة عند الملك، جعله الله يصطفيه لنفسه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِۦٓ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي۟ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف: 54]، أحضروه إلي من سجنه، أجعله من خاصتي وأهل مشورتي وموضع ثقتي، فلما خاطبه الملك وتعرف عليه، ورأى فضله وعلمه وبراعته، وحسن أدبه، وسمو أخلاقه، قال له: إنك عندنا اليوم وما بعده أصبحت ذا مكانة وعزة وأمانة، تؤتمن على كل شيء في أمور الحكم، وصاحب التصرف التام في شؤون البلاد⁽²⁾.

3. التهيئة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًاۗ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥٓ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِۦٓ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: 21]، أي: كما يسرنا له أن يشتريه عزيز مصر، ويكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدمة وتهيئة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق⁽³⁾.

4. الظفر والنصر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَاللَّهُ عَلَيْهِ۟ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 71]، إن خان الأسرى بعد رجوعهم إلى قومهم ونكثوا عهدهم وعادوا إلى القتال، ففي هذه الحالة طمأن الله المسلمين بأن يمكنهم مرة أخرى، كما أمكنهم منهم المرة الأولى ونصرهم عليهم⁽⁴⁾.

5. الثبوت والاستقرار

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المرسلات: 21]، استقر في الرحم فتمكن⁽⁵⁾.

(1) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج4/ ص 2290.

(2) التفسير المنير، الزحيلي، ج13/ ص 9.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/ ص 395.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج10/ ص 81.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج24/ ص 132.

الخلاصة: من الواضح أن العلاقة بين المعاني التي جاء بها القرآن، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بواقع التمكين في الأرض لإقامة دولة على منهاج النبوة والدين، فلا يمكن لفرد أو جماعة أن تُمكن قبل أن يهيأ لها، ثم تكون في الناس صاحبة مكانة ومنزلة، وبعد بلوغ المكانة سيأتي الظفر والانتصار على كل من يواجه هذه الدعوة "الربانية" ثم يكون الملك والسلطان، أي: القوة الحاكمة لهذه الدولة بشرع الله، ثم بعد ذلك الثبوت والاستقرار؛ للحفاظ على دعائم الدولة الإسلامية.

المطلب الثاني: شروط التمكين وأسبابه

إن الاستخلاف في الأرض، والتمكين لدين الله، وبسط الاستقرار والطمأنينة مكان الخوف والاضطراب، هي سنة الله في أرضه، ووعده ووعده الله لعباده، فمتى تحققت شروط التمكين في نفوس المسلمين كانت لهم العزة والنصرة، وقد دللنا القرآن الكريم على شروط التمكين بكل وضوح، فقد قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: 55 - 56].

أشارت الآية الكريمة إلى شروط التمكين، وهي: الإيمان بكل معانيه وأركانه كافة، وممارسة العمل الصالح بكل أنواعه، والحرص على كل أنواع الخير وصنوف البر، وتحقيق العبودية الشاملة، ومحاربة الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفائيه، وأما لوازم استمرار التمكين فهي: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول⁽¹⁾.

وأما ما يتعلق بأسباب التمكين، فقد أمر الله تعالى بالإعداد الشامل في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]، والإعداد في الحقيقة أخذ بالأسباب، والإعداد المطلوب من خلال مفهوم الآية إعداد شامل بأنواعه كافة، وفي هذا المطلب سنقف على شروط التمكين وأسبابه.

أولاً: شروط التمكين

1. الإيمان بالله والعمل الصالح

لقد بين الله لعباده حقيقة الإيمان الذي يقبل الله به الأعمال، ويتحقق به وعد الله للمؤمنين، فمن شروط التمكين والاستخلاف تحقيق الإيمان بكل معانيه والالتزام بشروطه كافة⁽²⁾. فالنصر والتمكين مضمون ومقرون بصفة الإيمان، فمن لم يحقق الإيمان الواجب، فلا ينتظر عوناً من الله تعالى، والإيمان ليس قولاً فقط، بل أهم ما يميزه هو وجود العمل الذي يصدق القول -

(1) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، ص 185، بتصرف.

(2) فقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص 162.

عمل القلب وعمل الجوارح، والإيمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح والأركان، أي: هو اعتقاد وقول وعمل؛ فهذه الثلاثة كلها مندرجة فيه، وتمثل أجزاءً من حقيقته، وقد توافرت أقوال علماء السلف ومن بعدهم على هذه الحقيقة، والأدلة كثيرة على صحة هذا القول في حقيقة الإيمان، فهناك آيات وأحاديث صحيحة توحى بأن الأعمال من الإيمان، ويؤخذ منها أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل⁽¹⁾، ومن هذه الأدلة، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: 2-4].

فقد جمعت هذه الآية الكريمة عرضاً لصفات المؤمنين وأحوالهم، وهي تجمع أعمال القلب وأعمال الجوارح، يقول القرطبي: وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربه، وكأنهم بين يديه، وهي من أعمال القلوب⁽²⁾.

ويقول مكي بن أبي طالب⁽³⁾: ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله، ويترك أمرهما، وإنما المؤمن الذي إذا سمع ذكر الله عز وجل، وجَلَّ قلبه، وخضع وانقاد لأمره تبارك وتعالى، وإذا قرئت عليه آيات كتاب الله سبحانه، صدَّق بها وأيقن أنها من عند الله جلَّتْ عظمتها، فازداد إيماناً إلى إيمانه⁽⁴⁾، ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

وبعدما ذكر اعتقادهم القلبي، ينبه تعالى على أعمال الجوارح والأركان، وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها، وهو إقامة الصلاة، وهو حق الله تعالى، وخصَّ إقامة الصلاة والصدقة؛ لكونهما أصل الخير وأساسه⁽⁵⁾.

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الذين اتصفوا بتلك الصفات ﴿ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾؛ لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، بين الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، بين العلم والعمل، بين أداء حقوق الله وحقوق عباده، وقدم تعالى أعمال القلوب؛ لأنها أصل الأعمال الجوارح وأفضل منها، وفيها دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها، وأنه ينبغي للعبد أن يتعهد إيمانه ويُنميه، وأن أولى ما

(1) ينظر، في ظلال الإيمان، الخالدي، ص 24.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 7/ ص 365.

(3) أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ؛ أصله من القيروان، انتقل وسكن قرطبة، وهو من أهل التبحر في علوم القرآن واللغة العربية، ومجوداً للقراءات السبع عالمًا بمعانيها، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ج 5/ ص 274.

(4) الهداية إلى بلوغ النهاية، ابن أبي طالب، ج 4/ ص 2714.

(5) ينظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 4/ ص 12.

يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه، ثم ذكر ثواب المؤمنين حقاً فقال: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، أي: عالية بحسب علو أعمالهم، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾، لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، وهو ما أعدَّ الله لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر⁽¹⁾.

وقد اقترن الإيمان بالجهاد في سبيل الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15].

إنما المؤمنون الذين صدقوا الله ورسوله، ثم لم يرتابوا، ولم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكٍ منه في وجوب ذلك عليه، وجاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم، وبذل مهجهم في جهادهم، على ما أمرهم الله به وذلك في سبيله؛ لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، أولئك هم الصادقون في قولهم: إنا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقق دمه وماله⁽²⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا قال: "الجهاد في سبيل الله" قيل: ثم ماذا قال: "حج مبرور"⁽³⁾.

فالجهاد في بعض الأوقات يكون أفضل من سائر الأعمال، وذلك في وقت استيلاء العدو وغلبته على المسلمين، كحال هذا الزمان، فلا يخفى على من له أدنى بصيرة أن الجهاد اليوم أوكد الواجبات، وأفضل الأعمال؛ لما أصاب المسلمين من قهر الأعداء، وكثرة الاستيلاء شرقاً وغرباً، جبر الله صدعنا، وجدّد نصرنا⁽⁴⁾.

2. تحقيق العبادة:

إن من شروط التمكين لدين الله تعالى في الأرض تحقيق العبادة في دنيا الناس، وعلى الجماعة المسلمة أن تفهم حقيقة العبادة في القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين ﷺ، وأن تعمل على نشر المفهوم الصحيح لمعنى العبادة في شرايين الأمة، حتى تخرج من الأوهام والمغالطات، والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فلقد ساد بين الناس مفاهيم خاطئة للعبادة، صرفت عقولهم وقلوبهم عن هذه الوظيفة التشريعية التي خلق الله بها الإنسان من أجلها، وسخر كل شيء في نفسه، وفي الكون من حوله؛ ليقوم بها وفق أمر خالقه⁽⁵⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/ص315.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج22/ص319، بتصرف.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، ج1/ص14.

(4) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ج1/ص276.

(5) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص184.

فمن أدّى الشعائر وصلّى وصام وحج واعتمر، لكنه رضي أن يحتكم في شئون حياته الخاصة أو العامة، أو في شئون المجتمع والدولة، إلى غير شرع الله وحكمه، فقد عبد غير الله، وأعطى غيره ما هو خالص حقه سبحانه⁽¹⁾.

ثم إن القرآن الكريم دمع أهل الكتاب بالشرك، ورماهم بأنهم عبدوا أبحارهم ورهبانهم، واتخذوهم أرباباً من دون الله، وذلك حين أطاعوهم فيما شرعوا لهم مما لم يأذن به الله⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ اَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 31].

﴿ اَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ ﴾ وهم علماءهم ﴿ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾ أي: العباد المتجردين للعبادة، ﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ يحلون لهم ما حرم الله فيحلون، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها، وكانوا أيضاً يغالون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثاناً تعبد من دون الله، وتقصد بالذبائح، والدعاء والاستغاثة، ﴿ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ اتخذوه إلهاً من دون الله، والحال أنهم خالفوا في ذلك أمر الله لهم على ألسنة رسله، فما، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا هُوَ ﴾ أي: الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حله فهو الحلال، وما شرعه أتبع، وما حكم به نفذ، ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ وتعالى ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تنزهه وتقدس، وتعالت عظمته عن شركهم وافترائهم⁽³⁾.

فالعبادة ليست أمراً على هامش الحياة، إنها المبدأ الأول الذي أنزل الله به كتبه، وبعث رسله لدعوة الناس، وتذكيرهم به إذا نسوه أو ضلوا عنه، ولهذا خاطب خاتم رسله محمداً ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25].

فكانت النصيحة الأولى في كل رسالة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنْبِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: 36].

ولما ختم الله كتبه بالقرآن، وختم رسالاته بالإسلام، وختم النبيين بمحمد ﷺ، أكد هذه الحقيقة، وأعلن في كتاب الخلود أن الغاية من خلق المكلفين أن يعرفوا ربهم ويعبدوه⁽⁴⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56].

(1) العبادة في الإسلام، القرضاوي، ص، 54.

(2) المرجع السابق، ص، 55.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ج1/ ص334.

(4) العبادة في الإسلام، القرضاوي، ص 6.

فهذه الغاية، التي خلق الله الجنَّ والإنسَ لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم⁽¹⁾.

ولا أدل على ذلك مما نحياه نحن المسلمون اليوم من ذلِّ وهوانٍ أصابنا؛ نتيجة اتخاذنا الدين شكلاً، فأصبحنا نعبد الله كما نريد نحن وفق مصالحنا، فما يتوافق مع المصالح اتبعناه، وما خالفنا عصيانه، حتى وإن كان من عند الله، فالأعمال تتبع الأهواء في زمان عمّت فيه الفتن والمفاسد.

والمجتمع بغير دين صحيح وإيمان قوي، هو مجتمع متوحش مظلم شقي، وإن لمعت فيه بوارج الحضارة المهترئة، وامتألت بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم الحسي، فهو مجتمع البقاء فيه للأقوى، لا للأفضل والأتقى، مجتمع تقرأ التعاسة والشقاء على وجوه أصحابه، وإن زينوا وجوههم بأنواع الأصباغ والمحسنات، وركبوا الطائرات، وسكنوا العمارات، واغتصبوا أعظم الثروات، فهو مجتمع رخيص هزيل؛ لأن غايات أهله ساذجة سطحية لا تتجاوز شهوات البطون والفروج⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمْتَنِعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: 12].

3. محاربة الشرك

إن محاربة الشرك بجميع أشكاله وأنواعه شرطٌ مهمٌّ من شروط التمكين، وذلك لتتمكن الأمة المسلمة من تحكيم شرع الله من غير تقيّد أو مناكفة من عدوٍ يتريص الدوائر بالإسلام وأهله، ولا يمكن للإنسان أن يتقي الشرك أو يحذر منه، إلا إذا عرفه وعرف خطره.

والناظر في واقع المسلمين الآن بعين الحق، وبروح الشريعة، وبفهم مراد الله تعالى وتعاليم الإسلام، يُدرك الفجوة العظيمة بين الإسلام وحقيقته، وبين ما عليه كثير من المسلمين، فإن المسلمين الآن قد جانبوا الشريعة، وولّوها الأدبارَ في معظم الأوامر، إلا من رحم الله، فصاروا مسلمين اسماءً، بعيداً عن التحلّي بالإسلام وأوامره ظاهراً وباطناً، وأصبحوا تبعاً لأعداء الله في كل الميادين على حساب الدين.

ومن هنا تظهر خطورة الشرك بالله وآثارها على الأفراد والمجتمعات، وإنّ بيان خطورة الشرك وسوء آثاره على الأفراد والمجتمعات من أعظم الذنوب التي يمكن أن يقترفها الإنسان، وخطورة الشرك لا تخفى على مؤحّد، فالشرك خطره عظيم، ونعرف ذلك من عدة أوجه⁽³⁾:

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/ ص 813.

(2) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص 176.

(3) دروس في العقيدة، ١ الراجحي، ص7.

أ. الشرك بالله أعظم الذنوب؛ لأن الله لا يغفره لمن لقيه به، بخلاف غيره من الذنوب؛ فإنه تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفره لمن لقيه به، وإن شاء عذبه به، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48].

ب. الشرك بالله أظلم الظلم، وأقبح القبيح؛ لأن فيه تنقصاً لله، وصرافاً بخالص حقه لغيره، وعدلاً غيره به، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]، فالمشرك عدل غير الله بالله، فهو أظلم الظلم، وأقبح القبيح، والظلم، والمشرك وضع العبادة في غير موضعها، فعبد غير الله.

ت. الشرك بالله مناقض للمقصود بالخلق والأمر؛ إذ المقصود بخلق الخلق أن يعبدوا الله، والله تعالى أمرهم أن يفرده بالعبادة، فالشرك مناقض للمقصود بالخلق والأمر، منافٍ له من كل وجه، وهذا غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته والذل له والخضوع والانقياد لأوامره التي لا صلاح للعالم إلا بها، فلا صلاح للعالم إلا بالتوحيد والإيمان، فمتى خلا العالم من الإيمان والتوحيد خرب وقامت القيامة، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله)⁽¹⁾.

4. تقوى الله

إنَّ من شروط التمكين المهمة التي تجعل بين العبد وربه حاجزاً عن العقاب والسخط تقوى الله؛ لأن التقوى آثارها عظيمة في الدنيا والآخرة، تظهر على الأفراد والجماعات التي تسعى لتحكيم شرع الله والتمكين لدينه، ومن تلك الآثار التي لا بد من توفُّرها في أمة تريد التمكين والاستخلاف ما يأتي:

أ. المخرج من كل ضيق

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2].

جعل الله التقوى مخلصاً من غم الدنيا وهم الآخرة وغمرات الموت وشدائد يوم القيامة، والتقوى ملاك الأمر عند الله، وبها نيّطت السعادة في الدارين⁽²⁾.

ومخرجاً من الضيق في الدنيا والآخرة، ورزقاً من حيث لا يقدر ولا ينتظر، وهو تقرير عام، وحقيقة دائمة من الله⁽³⁾.

ويجعل له مخرجاً من الشدة إلى الرخاء، ومن الحرام إلى الحلال، ومن النار إلى الجنة، يعني: من صبر على الضيق واتقى الحرام، جعل الله له مخرجاً من الضيق⁽⁴⁾.

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، ج/1 ص 131، حديث رقم، 148.

(2) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ج/28 ص 140.

(3) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج/6 ص 3602.

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ج/1 ص 1107.

ب. سهولة الأمور ويسرها

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۗ﴾ [الطلاق: 4].

أي: يسهل له أمره، ويسره عليه، ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً، ويوفقه في أعمال الخير كافة⁽¹⁾.

واليسر في الأمر غاية ما يرجوه إنسان، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبده من عباده، فلا عنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيقة، يأخذ الأمور ببسر في شعوره وتقديره، وينالها ببسر في حركته وعمله، ويرضاها ببسر في حصيلتها ونتيجتها، ويعيش من هذا في يسر رخي ندي، حتى يلقي الله⁽²⁾.

ت. العلم النافع

لقد أخرج الإسلام الناس من الظلمات إلى النور بالعلم وبالشريعة، فالتقوى تفتح قلوب المتقين للمعرفة، وتهيئ أرواحهم للتعلم؛ ليقوموا بحق الطاعة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: 282].

أشارت الآية أن التقوى سبب في إفاضة العلوم النافعة، وأمر بالتقوى؛ لأنها ملاك الخير، وبها يكون ترك الفسوق، ويعلمكم الله التذكير بنعمة الإسلام، الذي أخرجهم من الجهالة إلى العلم بالشريعة، ونظام العالم، وهو أكبر العلوم وأنفعها، ووعد بدوام ذلك؛ لأنه جيء فيه بالمضارع⁽³⁾.

اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه، وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك، وهو سبحانه العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئاً فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفساد وجلب المصالح لمن اتبع شرعه، وكرر لفظ الجلالة لكمال التذكير وقوة التأثير⁽⁴⁾.

إن تكرار لفظ الجلالة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها، فإن الأولى حث على التقوى، والثانية وعد بإنعامه، والثالثة تعظيم لشأنه⁽⁵⁾.

ث. نور البصيرة

فالمتقي له بصيرة وفرقان يفرق به بين الحق والباطل، وله نور من ربه يضيء دربه؛ فيحذر الشر ويرجو الخير ويوفق، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ۗ﴾ [الأنفال: 29].

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8/ ص 158.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج6/ ص 3602.

(3) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج3/ ص 188.

(4) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج3/ ص 107.

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/ ص 165، بتصرف.

أي: يجعل لكم هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، أو نصرًا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين، أو مخرجًا من الشبهات، أو نجاة عما تحذرون في الدارين، أو ظهورًا يُشهر أمركم، ويبث صيتمكم⁽¹⁾.

وبصيرة القلب من الثمار العظيمة التي يؤيد بها الله عباده، فهذا عمر بن الخطاب أنار الله قلبه ففتحت له الحدود والسدود، وتجاوز الحد المكاني والزماني، وأصبح يرى بنور قلبه من الله، فلما بعث سرية واستعمل عليها رجالًا يقال له: سارية، فبينما عمر ﷺ يخطب يوم الجمعة، قال: يا سارية الجبل يا سارية الجبل فوجدوا سارية قد انحاز إلى الجبل في تلك الساعة يوم الجمعة، وبينهما مسيرة شهر⁽²⁾.

ج. الوقاية والحفظ

لا يخلو الإنسان من عدوٍ كائدٍ، ولا قريبٍ حاسدٍ، فبالنقوى يدفع الله عن المتقي شر الأشرار، وكيد الفجار، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

فعن عائشة أنها كتبت إلى معاوية: أوصيك بتقوى الله، فإنك إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئًا، فعليك بتقوى الله⁽³⁾.

وهكذا تتبين قيمة النقوى على دين المرء، فهي تحافظ عليه وترقيه، وتزيده إيمانًا، وتحفظه من كيد الشيطان، وترده إلى الحق، وهي الفرقان الذي يميز به بين الحق والباطل⁽⁴⁾.

ح. النجاة من عذاب الله

عندما يقوم الناس من قبورهم إلى الحشر وفصل القضاء، يغشاهم من الهول والفرع الشيء العظيم، ثم يساق إلى النار الناس جميعهم، عندها تتدخل التقوى بأمر الله؛ فتأخذ بأيدي أصحابها لتنجو بهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ [مریم: 71 - 72].

يقول الإمام الطبري: (يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فجاج مسلم ومكسد فيها)⁽⁵⁾.

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج3/ ص 56.

(2) دلائل النبوة، الأصبهاني، ص، 579.

(3) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، ج7/ ص 244.

(4) التقوى في القرآن دراسة في التفسير الموضوعي، الديبسي، ص، 434.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج18/ ص 235.

خ. زيادة الأجر وتعظيم الثواب

التقوى سبب في تكفير السيئات وغفران الذنوب، وزيادة الأجر وتكثير الثواب لأصحابها، فهي ترفع الدرجات وتعلي المراتب، فالتقوى باب مفتوح للمنافسة، من أراد الدخول فيه غنم، ومن أعرض عنه ندم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقْرَبُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 172].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَوَمَّنْوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 179].

د. حفظ الأهل والمال والمصالح من بعده

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9].

أمر الله بالتقوى التي هي غاية الخشية، فقد أرشد الله سبحانه وتعالى الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم؛ لكي يحفظ أبناءهم، ويغاثون بالرعاية الإلهية⁽¹⁾.

ذ. ميراث الجنة

إنَّ أهل التقوى هم الورثة الحقيقيون لجنة الله جل في علاه، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63].

أي: تُبقي عليه الجنة، كما نبقي على الوارث مال المورث، ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة، فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم، كما يورث الوارث المال من المتوفى⁽²⁾.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [القم: 34].

أي: إن للمتقين جنات ليس فيها إلا النعيم الخالص، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا⁽³⁾.

(1) التقوى، المنجد، ص 57.

(2) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج 3/ ص 28.

(3) اللباب في علوم الكتاب، النعماني، ج 19/ ص 294.

ثانياً: أسباب التمكين

إن من أهم السنن الربانية التي ترتبط بعلاقة مباشرة مع سنن التمكين، سنة الأخذ بالأسباب؛ لذلك يجب على جميع الأفراد والجماعات العاملة للتمكين لدين الله أن تعي وتفهم ذلك، مع التطبيق على أرض الواقع، وقد أخبرنا القرآن الكريم على أهمية الأخذ بالأسباب حتى في حالة الضعف، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجُنَاحِ الْخَلَّةِ سُقُطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ ﴿٢٥﴾ [مريم: 25].

فقد طلب تعالى من السيدة مريم -عليها السلام- أن تباشر الأسباب، وهي في أشد حالات ضعفها، وهكذا يؤكد القرآن على ضرورة مباشرة الأسباب في كل الأمور والأحوال⁽¹⁾.

وقد اهتم الإسلام بتوضيح الأسباب التي من خلالها يمكن للأمة أن تنتصر ويمكن لها، فنجد أن القرآن الكريم يتحدث في آيات كثيرة عن أسباب النصر والتمكين، وقد جمعت آيتين من كتاب الله أسباب النصر التي يجب على الأمة السعي لتحقيقها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْزَبُورُ إِذَا لَقِيَتْمْ فَتَكْفَأُ فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتزَعَبُوا فَتَنَفَشُوا وَتَذَهَبَ رِيحَكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الأنفال: 45 - 46].

وتنقسم أسباب التمكين إلى سببين رئيسيين

أولهما: الأسباب المعنوية

يعدُّ الإعداد المعنوي صاحب المكانة الأولى التي تصل إلى تمكين الأمة الإسلامية، وهي كالاتي:

1. الالتزام بالمنهج الرباني

لقد رسم لنا النبي ﷺ منهجاً متميزاً في تربية الأفراد على المعاني الربانية، التي تحمل أداء الرسالة، وقد كان ﷺ مهتماً ببناء القاعدة الصلبة وتربية أتباعه على معاني العقيدة الصحيحة، فحرص ﷺ منذ أول يوم من بعثته على أن يعطي الناس التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم، مدرِكاً أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عند من صفت نفوسهم واستقامت فطرتهم⁽²⁾.

وقد ركز النبي ﷺ في تربية أفراد الأمة على جوانب مهمة، فالالتزام بها يصل بالفرد إلى منصة التمكين⁽³⁾، وهي كما يأتي:

أ. أن الله تعالى منزّه عن كل النقائص، فهو موصوف بالكمال.

(1) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص 216.

(2) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص 262.

(3) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص 226.

ب. أنه تعالى خالق كل شيء، ومالكة ومدبره، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْحَقِّ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

ت. أنه تعالى مصدر كل نعمة دَقَّتْ أو عظمت، ظهرت أو خفيت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: 53].

ث. أنه تعالى علمه محيط بكل شيء، لا تخفى عليه خافية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12].

ج. أنه تعالى يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه، ولاذ بحماه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196].

2. القيادة الربانية

القيادة ظاهرة اجتماعية ذات جذور عميقة تتصل بطبيعة الإنسان وتراثه الثقافي، ومشاركته لمن حوله في مجتمعه، فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يخلق نوعاً من الحاجة إلى من ينظم العلاقات القائمة بينهم، ففي هذه الحالة يتولى أحدهم القيادة، وهكذا فإن طبيعة الحياة جعلت من حاجتنا إلى قادة أمراً لا بد منه، وإنه لا تكون جماعة وإلا ويجب أن يكون لها قائد⁽¹⁾.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمروا أحدهم)⁽²⁾. هذا الحديث يدل على أهمية القيادة في حياة الناس، وقد قاله النبي ﷺ في زمن الصفوة من الرجال، فما بال الناس وقد انحرفت حياتهم نحو الأرض.

وإن من أهم أسباب التمكين، وجود القيادة الربانية التي تسير على منهج رب العالمين، فقادة الأمة هم عصب حياتها، وهم بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا صلحت القيادة صلحت الأمة، وإذا فسدت صار الفساد إلى الأمة، وقد فطن أعداء الإسلام لأهمية القيادة في حياة الأمة الإسلامية، ولذلك حرصوا على ألا يمكنوا القيادات الربانية من امتلاك نواصي الأمور والحكم⁽³⁾.

والقيادة الربانية تبعث في الأمة الإسلامية روح الأمل، ولا ربانية بلا عبادة، بل الربانية علم على العبادة، ومبنى العبادة الذكر، والذكر الكثير هو الطريق للوراثة النبوية، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي

(1) النظرية الإسلامية في الحروب الإسلامية، محفوظ، ص 17.

(2) حسن صحيح: سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، ج 3/ص 36، حديث رقم، 2608.

(3) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص 275، بتصرف.

رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: 21]، ولا ربانية بلا علم⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنَا نِعْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: 79]. إن القيادة الربانية الحكيمة، والتي تسعى لتحكيم شرع الله تعطي للعلوم بأنواعها أهميتها، وخصوصاً علم الشرع، وتركز على علم المقاصد، وفقه الموازنات، وفقه الخلافات، وفقه الأولويات، وفقه السنن الربانية؛ لأهميتها في زماننا هذا، بل هي من أفضل العدة بعد تقوى الله تعالى للعاملين لتحكيم شرع الله، وإن القيادة الربانية هي التي تفجر طاقات الأمة، وهي التي تحتضن الإسلام وتنتهجه قلباً وقالباً، جوهرًا ومنظرًا، وعقيدةً وشريعةً ودولةً⁽²⁾.

3. الوحدة وعدم الفرقة

إن الوحدة فريضة شرعية تكونت على أساس الإسلام، فكان القرآن الجامع لمتفرقيها، والموحد لأشتاتها، فلم تكن الوحدة قائمة على القومية بل كانت إسلامية، والفرق بينهما واضح، فالوحدة القومية تسد الباب على غير العرب، أما الوحدة الإسلامية مُفتحة الأبواب، ولذلك جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (إن ريكم واحد، وأباكم واحد، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)⁽³⁾.

وقد أوجب الإسلام وحدة المسلمين وأخوتهم في الدين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: 103].

فالاعتصام بالله: التمسك بكتابه، والتخلق بأدابه، والاعتبار بمواعظه، والرجاء في وعده، والخوف من وعيده، والالتزام بأوامره، والانتهاج عن نواهيه⁽⁴⁾. وليس المقصود: الأمر باعتصام كل مسلم في حال انفراده اعتصامًا بهذا الدين، بل المقصود: الأمر باعتصام الأمة كلها⁽⁵⁾.

إن الاعتصام بحبل الله يكون بالترام كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهذا من أوكذ أصول الدين، يقول ابن تيمية رحمته الله: (وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعًا وألَّا يتفرق، هو من أعظم أصول

(1) تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين، العفاني، ص، 545.

(2) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص، 250.

(3) المعجم الأوسط، الطبراني، باب العين، ج5/ ص 86، حديث رقم، 4749.

(4) درة اليقين في أسباب النصر والتمكين، المصري، ج2/ ص13.

(5) التحرير والتتوير، ابن عاشور، ج4/ ص 31.

الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم نومه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة⁽¹⁾.

ومن أجل ذلك؛ فقد أمر سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ بكل ما يحفظ على الأمة ألفتها ووحدتها، ونهيا عن كل ما يكره صفة وحدتهم؛ لأن ما حصل للمسلمين من اختلافات وتقاطعات؛ بسبب عدم مراعاة هذا الأصل وضوابطه؛ ما ترتب عليه تفرق الصفوف، وضعف في الاتحاد، فأصبحوا شيعاً وأحزاباً⁽²⁾.

وهذا يدل على أن الوحدة من أهم أسباب التمكين، فهي مقصد عظيم من مقاصد الشريعة، وهذا الأمر يحتاج منا إلى تغيير إيجابي تجاه ذلك المقصد، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

فلا بد من تضافر الجهود بين الدعاة، وقادة الحركات الإسلامية، وبين علماء المسلمين، وطلبة العلم، لإصلاح ذات البين إصلاحاً حقيقياً لا تلفيقياً؛ لأن أنصاف الحلول تفسد أكثر مما تصلح⁽³⁾.

4. الصبر والثبات

إن عناية الإسلام البالغة بالصبر ترجع إلى ما له من قيمة دينية كبيرة، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة، بل هو ضرورة لازمة للإنسان؛ ليرقى مادياً ومعنوياً، ويسعد فردياً واجتماعياً، فلا ينتصر دين، ولا تنهض دنيا إلا بالصبر⁽⁴⁾.

وإن دعوة الحق ما قامت ولن تقوم إلا بملازمة الصبر والثبات؛ لأن الطريق للتمكين ليس معبداً بما نحب، بل فيها فقدان للأحبة، وتضحية بالنفس والمال والجهد، وتعَبٌ ونَصَبٌ، ولا بد من الصبر والثبات لمواصلة الطريق، ولقد أمر الله المؤمنين بالصبر والمصابرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

وبين سبحانه وتعالى_ أن دعوات الحق السابقة واجهت الأعباء والمكائد والزلازل بالصبر، وكانوا يسألون الله أن يفرغ عليهم الصبر إفرغاً، عند مواجهة عقبات الدعوة واشتداد البلاء والكره بهم، فهذا نبي الله موسى يرشد بني إسرائيل إلى استصحاب الصبر حتى يأتي الفرج⁽⁵⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنَ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ تَنَارَبْنَا أَفْرَعًا عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 126].

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج22/ ص359.

(2) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص262.

(3) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص308.

(4) الصبر في القرآن الكريم، القرضاوي، ص12.

(5) عوامل النصر والتمكين، الشهري، ص54.

والصبر هو سبب دخول الجنة، والنجاة من النار، فقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (حَقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحَقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ)⁽¹⁾، فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكاره ليدخل الجنة، وإلى صبر عن الشهوات لينجو من النار⁽²⁾.

فالقرآن الكريم يشير إلى ضرورة الصبر وأهميته، حين يحدثنا عن خلق الإنسان، وما حُف به من ابتلاء ومكابدة ومعاناة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]. ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البدر: 4]، أي: في شدة ومشقة؛ لما يعانيه منذ مولده من شدائد الحياة الممزوجة بالآلام، وما يعانيه بعد بلوغه من الابتلاء بالمسئولية وأمانة التكليف، التي تنوء بحملها السماوات والأرض والجبال⁽³⁾.

ثانيهما: الأسباب المادية

بعد بيان الأسباب المعنوية للتمكين، فلا بد من إظهار الأسباب المادية، والتي تتمثل في إعداد العدة وتوفير كوادِر في مناشط الحياة كافةً، وهذا يحتاج إلى تخطيط وإدارة واعية، وتنظيم متين يشرف على إعداد خطة بيئة المعالم، محددة الأهداف، متطورة المناهج، شرعية في أسبابها ووسائلها⁽⁴⁾. ومن هذه الأسباب

1. إعداد المتخصصين

يُعدُّ الإنسان العنصرَ الأكثرَ أهميةً في الأمة، فلا بد من إعدادهِ إعدادًا متينًا، حتى يخرج وقد تكونت عنده معلومات يستطيع من خلالها الارتقاء بالمكان الذي يتواجد فيه. وإن من أسباب التمكين لهذا الدين، والانطلاق بدعوة الله بين الناس أن تهتم الحركات الإسلامية بمبدأ التفريغ والتخصصية لأصحاب القدرات العالية والتميزة في المواقع المهمة، وخصوصًا في مجال العلم والفكر، وفي مجال التربية والدعوة، وفي جميع مجالات الحياة اللازمة لتحكيم شرع الله على أفراد الشعب والمؤسسات كافةً⁽⁵⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفَّةٍ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

(1) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ج4/ ص 2174، حديث رقم 2822.

(2) قوت القلوب، المكي، ج1/ ص 200.

(3) الصبر في القرآن، القرضاوي، ص15.

(4) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص319.

(5) ينظر، فقه النصر والتمكين، الصلابي، ص272.

يقول القرضاوي: "لقد أنكر القرآن الكريم على المسلمين في عهد النبوة أن يتوجهوا جميعًا إلى ساحة الجهاد_وما أقدسها من ساحة_ مغفلين ساحة أخرى لا تقل قداسة عن الجهاد، وربما زادت عليه في بعض الأحيان؛ لأنها هي التي تهيبُ له، وتذكّرُ به، وتحذّرُ من إضاعته، وهي ساحة التفقّه في الدين"⁽¹⁾؛ فهذه دعوة قوية إلى التخصص، وتوزيع القوى على مجالات الحاجة. وإن مبدأ التخصص يعين الحركات الإسلامية على سدّ الثغرات المتنوعة، والتي لا بد من دخولها من أجل التمكين لدين الله.

ثم إن اليهود والنصارى والملاحدة تسابقوا للهيمنة على الدراسات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، والعلوم السياسية والإعلامية؛ لعلمهم أن ذلك يمكنهم من الصدارة في توجيه الأمم والمجتمعات، ولم يتركوا حتى مجال الأدب والقصة والنقد وغيره⁽²⁾. والأولى بنا نحن المسلمون أن نكون أصحاب الصدارة، خصوصًا في مجال العلم والفكر والحضارة؛ لأننا فُدنا الأمم على مر العصور، وخصوصًا لأن العرب والأمة الإسلامية يمتلكون من الأموال الكثير، لكنها تنفق الآن على المُجون والترف، وعلى المؤسسات العلمية الغربية التي تقف للإسلام بالمرصاد.

2. التخطيط والإدارة

التخطيط أساس نجاح أي عمل من الأعمال، سواء في حياة الفرد أو المنظمة، وهو الطريق الذي يُرسم بصورة مسبقة لسلوكه الفرد أو المنظمة عند اتخاذ القرارات وتنفيذ العمل، بشرط أن يكون وفق منهج فكري عقائدي متمثل بالإيمان بالقدر والتوكل على الله، والإدارة سلوك إسلامي قويم، ومنهج رشيد حتّى الإسلام على ممارسته في جميع شؤون الحياة؛ لأن الإدارة يحقق المسلم فعالية في عمله وإنتاجه، وكفاءة في أدائه⁽³⁾.

لذلك فإن التخطيط السليم والإدارة الناجحة في العمل الإسلامي من الأسباب الأكيدة في التمكين لدين الله، وجاء التخطيط في المفهوم القرآني، بأنه هو الاستعداد في الحاضر، لما يواجهه الإنسان عمله، أو حياته في المستقبل، وقد وجّه القرآن الكريم الأمة إلى التخطيط، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77]، إنه توجيه رباني للتخطيط في هذه الحياة الدنيا لمقابلة مصير الآخرة⁽⁴⁾.

(1) فقه النصر والتمكين، الصلابي، ص20.

(2) أولويات الحركة الإسلامية، ص 195.

(3) مجلة المنال، خديجة أحمد محمد بامخرمه، العدد 46، فبراير/2013.

(4) فقه النصر والتمكين، الصلابي، ص، 277.

3. الإعداد الاقتصادي

جاء الإسلام كرسالة سماوية عالمية خاتمة، ومن ثم فقد تناول حياة البشر كافة في مختلف نواحيها؛ روحية كانت أو مادية، فلم يكن الإسلام مجرد عقيدة دينية، وإنما هو أيضاً تنظيم سياسي واجتماعي واقتصادي للمجتمع، كما لم يكن الرسول ﷺ نبياً هادياً يدعو إلى مبادئ وقيم إسلامية فحسب، ولكنه كان أيضاً حاكماً أقام حكومةً ودولةً إسلاميةً، وهذا ما يعبر عنه باصطلاح أن الإسلام (عقيدة وشريعة)، أو أنه (دين ودنيا)؛ لذلك يمكن القول بأن الفكر الاقتصادي في الإسلام قديم قدم الإسلام نفسه⁽¹⁾.

وإن من أهم أسباب التمكين أن تهتم الحركات الإسلامية بالجانب الاقتصادي؛ لأن القوة المادية عصب الحياة الدنيا وقوامها، والضعيف فيها على مر العصور مقهور مسروق لا يحسب له حساب، إلا في ظل شرع الله حين يحكم، وليس معنى هذا جعل الدعوة شركة تجارية؛ لكنه ينبغي الاعتماد على الذات في موارد ثابتة؛ وهذا من النفرة التي أمرنا الله - عز وجل - بإعدادها لمواجهة الأعداء، ونشر الدين، والاستغناء عن مد يد الاستجداء؛ ما يوفر للدعوة حرية التحرك، واتخاذ القرار دون ضغوط كابحة للنشاط من أي جهة كانت⁽²⁾.

وإن من أهم القواعد في الاقتصاد الإسلامي العمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي للأمة، بمعنى: أنها يجب أن يكون لديها من الخبرات والوسائل والأدوات ما يجعلها قادرة على ما يفي حاجاتها، وسد ثغراتها المدنية والعسكرية، وتشمل كل علم أو عمل أو صناعة أو مهارة يقوم بها الناس في دينهم أو دنياهم، فالواجب عليهم حينئذٍ تعلمها وتعليمها وإتقانها، حتى لا يكون المسلمون عالمةً على غيرهم، ولا يتحكم فيهم سواهم من الأمم الأخرى، وبغير هذا الاستغناء والاكتفاء، لن يتحقق لهم العزة التي كتب الله لهم في كتابه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8]، وبغيره لن يتحقق لهم الاستقلال والسيادة الحقيقية وهو ما ذكره القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: 141]، ولن يتحقق لهم مكان الأستاذية والشهادة على الأمم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

فلا عزة لأمة يكون سلاحها من صنع غيرها، يبيعهها منه ما يشاء، ومتى يشاء، بالشروط التي يشاء، ويكف يده عنها متى شاء، وكيف شاء، ولا استقلال لأمة لا تملك زراعة قوتها في أرضها، ولا تجد الدواء لمرضها، ولا تقدر على النهوض بصناعة ثقيلة إلا باستيراد الآلة والخبرة من غيرها؛ إذن فلا بد لتجار المسلمين ورجال الأموال وأهل التخصص في الاقتصاد من حركات إسلامية وعموم الأمة أن يسلكوا سبيل الاكتفاء والتحرر من التبعية الغربية والشرقية.

(1) المذهب الاقتصادي الإسلامي، د. محمد الفنجري، ص، 26.

(2) مقال بعنوان، سنن الإعداد والتدافع، محمد محزون، العدد 118/ ص، 8، جمادي الآخرة، مجلة البيان، 1418هـ.

4. الإعداد الإعلامي

لم تعد توجد اليوم أمة تستغني عن الإعلام، بل أخذت الأمم تتبارى في ميدانه الفسيح، فأصبح ضرورة من ضرورات العصر الحديث، ولازمةً من لوازمه، وهو ركيزة اجتماعية من ركائز تنمية المجتمعات وازدهارها، فلقد وصل الإعلام إلى درجة كبيرة من الخطورة والتأثير بحيث أصبح قادرًا على أن يزين الباطل ويجعله حقًا، ويزري بالحق ليجعله باطلاً، إنه يسحر عيون وأسماع وعقول الناس اليوم⁽¹⁾.

وقد كان للإعلام دورٌ مهمٌ في نفوس المشركين، فصوّر القرآن الكريم أخلاق الأعداء وأكاذيبهم وأساليبهم الشيطانية التي تكشف عن حقيقة ما في نفوسهم من بغيض وكيد للحق، وهذه الصورة دائماً تكون منفرة، تشمئز منها النفوس الطاهرة، ويكون نتيجة هذا الأسلوب هو السخرية من الأعداء والاستهانة بهم، فقد نقل القرآن لنا صورةً للوليد بن المغيرة، وهو يجهد نفسه ليجد عيباً يعيب به القرآن: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ [الم نشر: 18 - 25]، فهذه الآية رسمت لهذا المشرك صورةً وهو في غاية السخرية والإثارة للضحك، فهو يفكر ويدبر في مصطنع متكلف يقطب حاجبيه عابساً، ويقبض ملامح وجهه باسراً؛ ليستجمع فكره في هيئة مضحكة، وبعد هذا المخاض كله لا يُفتح عليه بشيء⁽²⁾.

وكذلك كان الإعلام حاضرًا للدفاع عن المسلمين، والدُّود عن حياضهم، فقد انبرى شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت بعد تشجيع النبي ﷺ له في مواطن كثيرة للدفاع عن الإسلام، وجاء في صحيح البخاري أنّ حسان بن ثابت سأل أبا هريرة قال: "أنشدك الله، هل سمعت النبي ﷺ يقول: "يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيد بروح القدس"، قال أبو هريرة: نعم"⁽³⁾.

وهذا يعني أن حرباً إعلامية كانت تقوم عبر إعلام ذلك الزمان؛ ليقف على منصبه وزير الإعلام الشاعر حسان بن ثابت مدافعاً عن الدين والدعوة بتأييد من روح القدس.

أما في زماننا هذا، فقد تنوعت وسائل الإعلام وتطورت بشكل كبير عما كان عليه في سابق الأزمان، وأصبح من يمتلك أدواته أعداء الإسلام؛ لذلك بدأ يظهر دين الله تعالى، وكأنه العدو الأول للبشرية من خلال الحملات المستمرة التي تعنى بتشويه صورته، فتارة يرمونه بالإرهاب، وأخرى بالرَّجعية.

(1) الدور التربوي لوسائل الإعلام الإسلامي وسبل تطويره من وجهة نظر طلبة الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة، نجم. ص 37.

(2) الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم، الطلابي، ص 50.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد، ج 1/ ص 98، حديث رقم، 453.

وخلاصة الأمر: إذا أراد أهل الحق التمكين، فلا بد أن يكون إعلامنا الإسلامي صاحب المكانة الأولى ليدافع عن نفسه، وينشر الدعوة الصحيحة، وسماحة الإسلام وعدله.

5. الإعداد الأمني والعسكري

إنَّ للإعداد الأمني والعسكري في العمل الإسلامي دورًا بارزًا في السيادة، فهما من أهم أسباب التمكين لدين الله في الأرض؛ فالإعداد الأمني يمثل السياج الأول لحماية الصف الداخلي، وكذلك فهو يوفر المعلومات للحماية من العدو الخارجي، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية هذا الجانب، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة: 120]، تشير الآية إلى أن كل نيل من العدو بقتلٍ أو بأسٍ أو بوطء أرضهم استهانة بهم كان لهم بذلك أجر، ويؤخذ من ذلك استطلاع أخبارهم، ومعرفة مواطن قوتهم وضعفهم، ويعدُّ نيلًا؛ لأنه يؤدي للتخطيط السليم الذي يؤدي إلى النصر والغلبة⁽¹⁾.

أما الإعداد العسكري فهو الذي يصنع للأمة الكرامة والعزة، ويجعلها مأمونة الجانب، فلا يستطيع أحد التناول عليها، مهما بلغت قوته، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ترك قوم الجهاد إلا عمَّهم الله بالعذاب)⁽²⁾.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الإعداد العسكري وإعداد القوى؛ لما في ذلك حماية للأمة من أي اعتداء عليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60].

المطلب الثالث: معوقات التمكين

إن التمكين في الأرض له الكثير من المبشرات التي تبعث في النفوس الأمل والثقة، والطريق إليه حتميٌّ، وقد بشرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاريها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها...) ⁽³⁾.

وعلى الرغم من كل هذه المبشرات، يجب على من يقع على عاتقه التغيير والسعي للوصول إلى التمكين، أن يقف ويتفحص مواطن الخلل والضعف، التي تمنع أو تؤخر من الوصول للتمكين، وهناك من المعوقات ما هو داخلي وآخر خارجي.

(1) تفسير المراغي، المراغي، ج11/ ص 45، بتصرف.

(2) المعجم الأوسط، الطبراني، باب العين، ج4/ ص 148، حديث رقم، 3839.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج4/ ص 2215، حديث رقم، 2889.

أولاً: المعوقات الداخلية

1. الجهل

الجهل أساس كل الشرور، وهو من أهم عوامل ضعف الأمم، وهو ليس مشكلة فردية، بل أخطر وباء يهدد المجتمعات كاملة والحضارات، فكم من حضارة قضت على الجهل وامتدت عشرات السنين، وكم من حضارة هزمها الجهل وأفناها، وإن ميزان القوى اليوم مبني على العلم، والأمم التي لم تسلك طريق العلم ليس لها وزن في هذا العالم، وقد حرص الإسلام منذ بدايته على نشر العلم، والقضاء على براثن الجهل⁽¹⁾.

والجهل على ثلاث مراتب

أحسها أن تشكو الله إلى خلقه، وأعلاها أن تشكو نفسك إليه، وأوسطها أن تشكو خلقه إليه⁽²⁾. والجاهلية ليست فترة من الزمن محدودة في ثنايا التاريخ، وليست المقابل لما يسمى بالعلم والحضارة، وإنما حقيقة الجاهلية: هي رفض الاهتداء بهدي الله، ورفض الحكم بما أنزل الله، ورفض العمل بشرع الله، فالجاهلية في الحقيقة هي التي تستنكر هدى الله، وتستحب العمى على الهدى، وتزعم أن ما هي فيه هو الخير المحض، وأن ما تدعى إليه من الهدى هو الضرر والخسران، كما قال سبحانه: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: 17]، وزوال هذه الجاهلية يكون بالإيمان، والأعمال الصالحة، وبذل الجهد لإعلاء كلمة الله، ولما جاء الإسلام ذهب الكفر، ولما جاء الحق زهق الباطل، وذهاب الإسلام يكون على يد أربعة أصناف من الناس: صنف لا يعملون بما يعلمون، وصنف يعملون بما لا يعلمون، وهذان الصنفان فتنة لكل مفتون؛ فالأول العالم الفاجر، والثاني العابد الجاهل، والناس إنما يقتنون بعلمائهم وعبادهم، فإذا كان العلماء فجرة، والعباد جهلة، عمت المصيبة بهما، وعظمت الفتنة على العامة والخاصة، فليحذر العبد من هؤلاء، ولا يخالف قوله فعله: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف: 2]، والصنف الثالث: الذين لا علم لهم ولا عمل، وإنما هم كالأنعام السائمة كما قال تعالى: ﴿لَمْ تَحْسَبْ أَنَّ كَثُرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴿٥﴾ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: 44]، والصنف الرابع: الذين يمنعون الناس من العلم والعمل، ويثبطونهم عنهما، وهؤلاء هم نواب إبليس في الأرض، وهم أضر على الناس من شياطين الجن⁽³⁾.

(1) فقه التمكين وأثره في تطبيق الأحكام الشرعية، الجزار، ص 16.

(2) موارد الظمان لدروس الزمان، السلطان، ج 2/ ص 327.

(3) موسوعة فقه القلوب، التوجيهي، ج 2/ ص 1137.

2. الظلم

الظلم هو سبب رئيس من أسباب غضب الله تعالى، ومن أسباب زوال النعم وتأخير النصر، وسبب في حلول الهزائم والهلاك على الظالمين، وبه تنتشر الأحقاد والضغائن؛ فيكون سبباً في تفكيك وحدة المجتمع، واستبدال قوته بالضعف والهوان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يونس: 13].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته)⁽¹⁾ قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: 102].

وقد ذكر القرآن الكريم للعبرة والعظة أحوال الظالمين وجبروتهم وسلطانهم في الدنيا، فذكر لنا أمر فرعون، مثلاً لكل طاغية يجاوز الحد في الظلم والتجبر والاستبداد والمعصية، والاستخفاف بعقول الناس وإرادتهم ومصالحهم، وكلما أنس منهم السكوت على ظلمه، والخضوع لبغيه وعدوانه، ازداد صلفاً وتجبراً وتمرداً، حتى وصل إلى التألّه، وادّعاء الإرادة المطلقة في مصائر الناس من حوله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: 39-40].

بعد هذه الحكاية، تأتي عاقبة مشهودة معروضة للعالمين، وفيها عبرة للمعتبرين، ونذير للمكذبين، وفيها يد القدرة تعصف بالطغاة والمتجبرين في مثل لمح البصر، فهي الهزيمة في الدنيا، وهزيمة في الآخرة، جزاء البغي والاستطالة، وليست الهزيمة وحدها، إنما هي اللعنة في هذه الأرض⁽²⁾. وتعاني الشعوب اليوم حالة كبيرة من الظلم والقهر وسلب الحقوق، فإذا كان بالأمس فرعون، ففي الحياة كثير من أصناف الفراعنة الذين يعملون خدماً عند أعداء الله؛ ليحافظوا على مكانتهم، حتى وإن كان على حساب دينهم، أو ظلمهم لشعوبهم.

3. الفشل والتنازع

الفشل والتنازع داءٌ من أخطر ما أصاب الأمة الإسلامية، فقد نخر هذا الداء في عضد الأمة، وعمل على تآكل وحدتها، وتمزيق شملها، فكان ذلك دعوى لكل طامع بأن يتدخل في شئون المسلمين، بعد أن يلبس الذئب ثوب النصح والإرشاد، وكذلك فإنَّ الفشل والتنازع دعوى لانهايار صرح الأمة وتآكل بنياها. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْزِعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَهْلًا مِنْ بَنِيكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: 46].

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه

أليم شديد، ج/4 ص/74، حديث رقم، 4686.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج/5 ص/2695، بتصرف.

الفشل والتنازع يشتت القلوب ويفرقها، وبه تتحل العزائم وتخور القوى، ويرفع النصر والتمكين عن الأمة⁽¹⁾.

وقد أصاب الفشل والتنازع أصحاب رسول الله ﷺ، فضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة، ووقع النزاع بينهم وبين من يرون الطاعة المطلقة لأمر رسول الله ﷺ، وانتهى الأمر إلى العصيان، بعدما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي يحبونه، فكانوا فريقين: فريقاً يريد غنيمة الدنيا، وفريقاً يريد ثواب الآخرة، وتوزعت القلوب؛ فلم يعد الصف وحدة، ولم يعد الهدف واحداً، وشابت المطامع جلاء الإخلاص والتجرد الذي لا بد منه في معركة العقيدة، فمعركة العقيدة ليست ككل معركة، إنها معركة في الميدان ومعركة في الضمير، ولا انتصار في معركة الميدان دون الانتصار في معركة الضمير، إنها معركة لله، فلا ينصر الله فيها إلا من خلصت نفوسهم له، وقد شهد على ذلك كلام الله تعالى⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِيتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ تَحِبُّونَ ۗ مِّنكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ﴾ [آل عمران: 152].

إذن، لا حصانة لأحد من المسلمين، فالالتزام بالطاعة وبالانقياد لله تعالى تكوّن الوحدة والكلمة، فالمعاصي واتباع غير سبيل الله أقرب طريق للفشل والتنازع والهزيمة.

4. الهزيمة النفسية

وهي من أقوى المؤثرات التي تنال من الإنسان، وتؤدي إلى انهيار القلب، وضعف الشخصية أمام العدو؛ بسبب اليأس والقنوط الذي يؤدي إلى الاستسلام والانسحاب من كل الميادين، سواء كانت حربية أو فكرية أو حضارية، ولا يمكن لجيش أو غيره الانتصار بنفس تعاليها الهزائم. ولا شك أن الهزيمة النفسية أشد خطراً من الهزيمة العسكرية؛ لأن الهزيمة العسكرية ذات طابع مادي، وغالباً ما تكون في الأرواح والمعدات والأرض، وهي أمور يسهل تعويضها، أما الهزيمة النفسية فميدانها النفس والفكر والثقافة، وهي أمور يصعب تعويضها؛ لما لها من آثار سلبية تتمثل بالانكسار، والانتكفاء، واليأس، والعجز؛ لذا يقول خبراء الحروب "إن احتلال الجيوش المعادية للأرض يسهل أمام احتلال النفوس والإرادات، وهزيمة الجيوش تسهل أمام الهزيمة النفسية والروحية"⁽³⁾.

قال تعالى مبيناً أثر الخوف في إيقاع الهزيمة في نفوس الأعداء، ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: 151].

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/ ص 322، بتصرف.

(2) هل تخلى الله عن أمة محمد، الشحود، ص470.

(3) النصر والهزيمة - دراسة قرآنية، مرشود، ص110.

5. حب الدنيا والركون إليها:

إن حب الدنيا والركون إليها هو رأس كل خطيئة، ومصدر كل اضطراب، وسبب كل نزاع وشقاق، وسبب في نزع المهابة من صدور عدونا منا، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غناء كغناء السيل يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكرهيتكم الموت)⁽¹⁾.

وقد بين لنا القرآن الكريم أهم الأسباب التي تؤدي إلى الركون للدنيا والتنافس عليها، ومنها:

• الغفلة

فالغفلة سبب عظيم من أسباب الضلال، والانصراف عن الهداية، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَاءَ صِرْفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَآءَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: 146].

وكذلك فهي سبب من أسباب العقوبة في الدنيا، وسوء الخاتمة، والوعيد بالعذاب الأليم لمن ركن إلى الدنيا على حساب الآخرة.

يقول السيد قطب: (الغفلة أشد ما يفسد القلوب، فالقلب الغافل قلب معطل عن وظيفته، معطل عن الالتقاط والتأثر والاستجابة، تمرُّ به دلائل الهدى أو يمر بها دون أن يحسها أو يدركها، ودون أن ينبض أو يستقبل، ومن ثم كان الإنذار هو أليق شيء بالغفلة التي كان فيها القوم، الذين مضت الأجيال دون أن ينذرهم منذر، أو ينبههم منبه، فهم من ذرية إسماعيل ولم يكن لهم بعده من رسول، فالإنذار قد يوقظ الغافلين المستغرقين في الغفلة، الذين لم يأتهم ولم يأت آباءهم نذيراً)⁽²⁾.

• الاستكبار في الأرض:

التكبر من أفعال القلوب، بل من أمراض القلوب التي يترتب عليها سلوك قبيح مذموم شرعاً، وهي من أخطر الأمور التي تتسبب في غفلة القلب، وتجعل المرء ذاهلاً عن وظيفته التي خلق من أجلها، وتكون سبباً في حلول العقاب الأليم، وإن أول صفة من الصفات الأخلاقية التي تعدُّ أم المفسد والردائل، وأصل جميع أنواع الشقاء الإنساني، هي، التكبر والاستكبار، فكانت أول معصية ارتكبتها المخلوقات، حيث صدرت من إبليس بحق الله تعالى⁽³⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34].

(1) صحيح: صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، ج2/ ص1359، حديث رقم، 8180.

(2) في ظلال القرآن، ج5/ ص 2959.

(3) الغفلة في القرآن الكريم، أسبابها وآثارها وطرق علاجها، الطيب، ص7.

وعقوبة الاستكبار عظيمة؛ لأن فيها منازعة الله في حقه، فلذلك ترتب عليها عقوبة تتناسب مع الجرم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى الْجَمَلُ فِي سَبْرٍ لِنْيَاطٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: 40].

وقال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُم بِمَوْتِ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزمر: 72].
إن الآيات القرآنية الكريمة مليئة ببيان مفاصد الاستكبار والعواقب الوخيمة المترتبة على التكبر، واليوم نرى أن مسألة الاستكبار لها الدور الأول في خلق الأجواء الفاسدة، وزيادة المفاصد الأخلاقية والاجتماعية والسياسية في العالم والمجتمعات البشرية المعاصرة.

• طول الأمل

طول الأمل داءٌ عضالٌ، ومرضٌ فتاكٌ، يُفسد القلب، ويتلف الوقت، ويعرج بالمرء إلى عالم الخيال والأوهام، مضاره كثيرة، ومخاطره عديدة.

يقول ابن حجر: (يتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسوية بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب؛ لأن رفته وصفاءه إنما يقع بتذكير الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: 16]، وقيل: من قصر أمله قل همه وتور قلبه؛ لأنه إذا استحضر الموت، اجتهد في الطاعة، وقلَّ همه، ورضي بالقليل⁽¹⁾.

وطول الأمل المذموم، هو الذي يجعل الإنسان متعلقاً بدنياه عبداً لها منشغلاً بها، ناسياً الموت، غافلاً عن الدار الآخرة، وهذا ما حذر منه ربنا سبحانه وتعالى، وأخبر أنه صفة من لا خلاق له ولا دين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ آَلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: 96].

وأعجب ما في طول الأمل أنه ينمو ويكبر مع الأيام، فكلما كبر المرء، ازدادت آماله وتعددت أمانيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل)⁽²⁾.

ثانياً: المعوقات الخارجية

1. استخدام القوة المفرطة

لقد كانت المعارك في الماضي تُشن خارج المدن المسكونة، فيقتل من يشارك في المعركة فقط، حيث كانت المواجهة والشجاعة هي سيدة الموقف؛ أما في هذا العصر، وبفعل التطور السريع

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج11/ ص 237.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر، ج8/ ص 89،

حديث رقم، 6420.

للتكنولوجيا الحربية، واستثمار جيوش الدول المتقدمة لهذا التطور؛ أصبحت الخسائر البشرية في الحروب كثيرة؛ وخاصة في المدنيين، بحيث صارت النسبة من المدنيين الذين لا علاقة لهم بالحرب أكثر مقابل المقاتلين، وذلك لعدم التمييز بين الأهداف المدنية والعسكرية، حيث تصب نيرانها الكثيفة شديدة التدمير عن بعد، دون أن يصاب من يلقي هذه الأسلحة أدنى إصابة⁽¹⁾.

والسبب من وراء ذلك، الضغط على الدولة المعتدى عليها للاستسلام ورفع الراية البيضاء، كما حدث في الحروب الثلاثة على قطاع غزة، فقد استخدمت العصابة الصهيونية سلاحًا فتاكًا ضد المدنيين والمنشآت الحكومية، والمباني السكنية، وكل كذلك بهدف تأليب الناس، والتأثير عليهم نفسيًا حتى يثوروا ضد المقاومة، فيحققوا بذلك الردع للشعب الفلسطيني، لكن أنى لهم ذلك.

وكذلك ما حدث في العراق من إجرام أمريكي ضد المدنيين العراقيين؛ لتحقيق أهداف دنيئة، حتى وإن كانت باستخدام القوة المحرمة دوليًا.

وقد أكد القرآن حال أولئك الغاصبين من اليهود والنصارى والمنافقين، ومن دار في فلكهم، عندما تحين لهم الفرصة لقتل وتدمير وتشريد المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: 10].

أي: من أجل هذا الكفر والصد عن الإيمان، لا يراعون في مؤمن يظهر عليهم، ويقدر على الفتك به ربا يحرم الغدر، ولا قرابة تقتضي الود، ولا ذمة توجب الوفاء اتقاء للذم؛ لأن ذنب المؤمن في هذا عندهم كونه مؤمنا، وقد علموا أنه لا ينقض عهدًا، ولا يستحل غدرا، ولا يقطع رحما، وأولئك هم المعتدون لحدود العهود من دونكم، والبادئون لكم بالقتال كما فعلوا فيما مضى، وكذلك يفعلون فيما يأتي، والعلة في ذلك كراحتهم للإيمان وحقدهم على أهله⁽²⁾.

2. الغزو الفكري

الغزو الفكري عامل مهم في تخلف الشعوب، وتأخرها عن مقصدها الذي يكمن في خلافة الأرض، فالغزو الفكري هو عمل عدائي، يفرض بأسلوب قهري يشمل جوانب الحياة المعنوية المختلفة، سلاحه فكرة وكلمة، رأي وحيلة، نظرية وشبهة⁽³⁾.

(1) استخدام القوة المفرطة في الحرب دراسة فقهية مقارنة، الشوكي، ص106.

(2) تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، رضا، ج10/ 169.

(3) معوقات الجهاد في العصر الحاضر تحليلاً وتقويماً، العقلا، ص193.

ولقد مرت الأمة الإسلامية في صراعها مع الأعداء بعدة مواجهات من الشرق والغرب؛ فالحروب الصليبية كانت بدوافع دينية بحتة، وما ذهب إليه البعض من القول بأنها ذات أهداف سياسية أو اقتصادية أو علمية بجانب للصواب، فمدار الصراع مع أعداء الإسلام قد حدده الله سبحانه وتعالى بما لا يدع مجالاً للاجتهاد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120]، فذلك هي العلة الأصلية، ليس الذي ينقصهم هو البرهان، وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق، وأن الذي جاءك من ربك الحق، ولو قدمت إليهم ما قدمت، ولو توددت إليهم ما توددت، لن يرضيهم من هذا كله شيء، إلا أن تتبع ملتهم وتترك ما معك من الحق⁽¹⁾.

والاستعمار الشرقي والغربي الذي هاجم العالم الإسلامي منذ بضعة قرون، كان مزدوج الهدف؛ فهو طامع في خيرات الشرق الكثيرة يراها ميراثاً لا صاحب له، وفي الوقت نفسه مثقلاً بضغائن قديمة، يكره الإسلام كراهية شديدة، ويضيق بكل من ينتمي إليه، ويشتد ضيقه بالعرب خاصة، وعندما أتته الفرصة، ووضع يده على أقطارهم، شرع بضرب الإسلام بقوةٍ ومكرٍ، ومضى دون هوادة يُجهز على فلوله الثقافية الخائفة، بعدما دحر جيوشه العسكرية⁽²⁾.

إن هدف الغزو الفكري قائم على تشويه وتدمير الخلافة الإسلامية، وتخريب الفكر الإسلامي، وتشويه عقل المسلمين، وما زال دعاته يعملون ويواصلون الليل بالنهار من أجل ذلك، ولكن الأسماء تتغير، والشعارات تتلون، إلا أن الهدف واحد، وهو تجريد المسلمين من إيمانهم بالله، حتى يحصلوا على أمة لا يعرفون للمساجد باباً، ولا للدين طريقاً، ويساعدهم الطابور الخامس الذي يعمل داخل صفوفنا ليجهز على مقاومتنا، ويجعل من المسلمين أشتاتاً لا ينتمون لبعضهم إلا اسماً⁽³⁾.

3. التطبيع

إن من أهم المعوقات التي تقف حائلاً أمام التمكين لدولة المسلمين، موالاته أعداء الله من اليهود والنصارى والمنافقين، وذلك بمحبتهم والتودد إليهم على حساب الدين؛ تنازلاً، وانحطاطاً في العقيدة، وانحطاطاً في الالتزام بمقتضيات هذه العقيدة من الجهاد والتميز والعزة.

وقد نهى الله تعالى عن موالاتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ لِيَأْتِيَهُمُ الْإِيمَانُ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ مِّنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة: 51].

(1) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج2/ص180.

(2) الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، محمد الغزالي، ص، 32.

(3) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى الخالدي/ عمر فروخ، ص، 218، بتصرف.

يقول السيد قطب: "يربي القرآن وعي المسلم بحقيقة أعدائه، وحقيقة المعركة التي يخوضها معهم ويخوضونها معه، إنها معركة العقيدة، فالعقيدة هي القضية القائمة بين المسلم وكل أعدائه، وهم يعادونه لعقيدته ودينه، قبل أي شيء آخر، وهم يعادونه هذا العداء الذي لا يهدأ؛ لأنهم هم فاسقون عن دين الله، ومن ثم يكرهون كل من يستقيم على دين الله"⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [المتحنة: 1]، لا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أولياء، والمراد العداوة في الدين⁽²⁾.

وفي زماننا هذا ظهر مفهوم جديد للملواة، وهو التطبيع مع أعداء الله، وهو المشاركة في أي مشروع أو مبادرة أو نشاط، محلي أو دولي، مصمم خصيصًا للجمع سواء بشكل مباشر أو غير مباشر بين فلسطينيين أو عرب وإسرائيليين، (أفرادا كانوا أم مؤسسات)، ولا يهدف صراحة إلى مقاومة أو فضح الاحتلال، وكل أشكال التمييز والاضطهاد الممارس على الشعب الفلسطيني، أو على أي شعب مسلم مضطهد.

(1) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج2/ ص 908.

(2) التحرير والتتوير، الطاهر بن عاشور، ج28/ ص133.

المبحث الثاني

مراحل التمكين؛ أهدافه وصفاته جيله

المطلب الأول: مراحل التمكين

1. مرحلة التعريف بالإسلام

إن الخطوة الأولى في سبيل إقامة الدولة المسلمة أو التمكين للإسلام، هو التعريف به والدعوة إليه، وقد كان هذا منهج الأنبياء منذ أن بعثهم الله، وقد بين لنا سبحانه وظيفة الرسل والدعاة إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء: 25]. فأمر الله تعالى أنبيائه أن يعرفوا الناس بالله أولاً، ثم يأمرهم بعبادته، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلُؤُوا عَلَيْهِمْ أَيْدِيَنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصاص: 59].

ولقد بدأت الدعوة الإسلامية الأولى متدرجة، تسير بالناس سيراً دقيقاً، حينما تم التكليف الإلهي لسيد الأنبياء محمد ﷺ، ونزل على قلبه القرآن؛ ليقوم بمهمة التبليغ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ [المدر: 1 - 3]، بدأت بمرحلة الاصطفاء والتأسيس، ثم مرحلة المواجهة والمقاومة، ثم مرحلة النصر والتمكين، وما كان لتبدأ جميعها في وقت واحد، وإلا كانت المشقة والعجز، وما كان كذلك أن تقدم واحدة منها على الأخرى، وإلا كان الخلل والإرباك. واعتبار هذه السنة في غاية الأهمية، ذلك أن بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية يحسبون أن التمكين يمكن أن يتحقق بين عشية وضحاها، ويريدون أن يغيروا الواقع الذي تحياه الأمة الإسلامية في طرفة عين، دون النظر في العواقب، ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ودون إعداد جيد للمقدمات أو للأساليب والوسائل⁽¹⁾.

وهذه السنة الربانية في التدرج لنشر الدعوة والتعريف بالإسلام، محطة أساسية عندما يراد تطبيق الإسلام في الحياة، واستئناف حياة إسلامية متكاملة يكون التمكين ثمرتها. لقد سلك النبي ﷺ في طريق دعوته إلى الله تعالى مراحل مهمة، انحصرت في تربية الجيل المؤمن، الذي يستطيع أن يحمل عبء الدعوة، وتكاليف الجهاد؛ لحمايتها ونشرها في الآفاق، ولهذا لم تكن المرحلة المكّية مرحلة تشريع، بقدر ما كانت مرحلة تربية وتكوين.

(1) آفات على الطريق، محمد السيد نوح، ج1/ ص 53، بتصرف.

فكانت الدعوة المكية على ثلاث مراحل

أ - مرحلة الدعوة السرية

بدأت هذه المرحلة بسرية بين أصحابها، ثلاث سنوات من الدعوة السرية، ومن المعلوم أن مكة كانت مركز دين العرب، وكان بها سدنة الكعبة، والقوام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب؛ فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عسراً وشدة عما لو كان بعيداً عنها، فالأمر يحتاج إلى عزيمة لا تنزلها المصائب والكوارث، فكان من الحكمة تلقاء ذلك أن الدعوة في بدء أمرها سرية؛ لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم، لكن مرت الثلاث سنين والدعوة لم تنزل سرية وفردية، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون، وتبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها، ثم تنزل الوحي يكلف رسول الله ﷺ بمعالننه قومه، ومجابهة باطلهم ومهاجمة أصنامهم⁽¹⁾.

ب - مرحلة إعلان الدعوة

بعد المرحلة الأولى من سرية الدعوة، جاء الأمر من الله تعالى بالجهر لدعوة السماء، فقد حان للدعوة بعد هذا أن تأخذ طريقها للانطلاق والظهور، فأذن الله جل شأنه لنبيه ﷺ أن يصدع بما يوحي إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: 94]، فجهر النبي ﷺ بالدعوة، واستعلن بها هو وأصحابه، فلم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه، حتى عاب آلهتهم، وسفّه أحلامهم، وبيّن لهم ما هم فيه من الضلالة والجهل والخرافات، فجاهروه وصحبه بالعداوة، وعزموا على مخالفته، عصبية وجهلاً؛ ولما لم يمكنهم أن يقرعوا الحجة بالحجة، لجأوا إلى السباب والشتيم، والإيذاء، والتعذيب؛ ومن ثم بدأ دور المحنة والبلاء، وكان دوراً طويلاً شاقاً، أؤدي فيه النبي ﷺ على الرغم من عون عمه أبي طالب عليه، ومنعه له، وأؤدي المسلمون غاية الإيذاء، ولاسيما الضعفاء⁽²⁾.

لقد كان الجهر بالدعوة أمراً ليس بالسهل، ولم تكن الدعوة السرية تحمل الكتمان، إنما كانت لتربية جيل يحتمل جهرية الدعوة، وما يصاحبها من عذابات.

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: 214]، هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ، فقد فاصل الرسول ﷺ قومه على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله، وأن النجاة تكمن في التمسك بهذا الدين، عندها بدأت قریش تسير في طريقها، طريق الصد، ومجانبة الصواب، ومضى محمد ﷺ كذلك في طريقه، يدعو إلى الله، ويتلطف في عرض الإسلام، ويكشف النقاب عن مخازي الوثنية، ويسمع ويجيب، ويهاجم ويدافع⁽³⁾.

(1) الرحيق المختوم، المباركفوري، ج1/ ص 65.

(2) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبه، ج1/ ص 291.

(3) فقه السيرة، محمد الغزالي، ص 104.

ت - مرحلة الدعوة خارج مكة

لما اشتد التعذيب والملاحقة بمن آمن بالله ورسوله، واشتد مكر أعداء الله، وهموا بقتل رسول الله ﷺ، حين رأوا أصحابه يزدادون ويكثرُونَ؛ عندها امتلأت قلوب الكافرين حقداً، فرأوا الخلاص من النبي ﷺ فعرضوا على قومه أن يعطوهم دينه ويقتلوه، فأبى ذلك قومه، ومنع الله عز وجل رسول الله بحماية رهنه، حينها اشتدوا على من اتبعه على دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة وزلزلاً شديداً، فمنهم من عصم الله، ومنهم من افتتن، فلما فعل بالمسلمين ذلك، أمرهم رسول الله ﷺ الخروج إلى أرض الحبشة فأرّين بدينهم، وكان بأرض الحبشة ملك يقال له النجاشي، لا يظلم بأرضه أحد، وكان يثني عليه مع ذلك خيراً، فانطلق إليها عامتهم حين قهروا وخافوا الفتنة⁽¹⁾.

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا، واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً واستقراراً، وحسن جوار من النجاشي، وعبدوا الله لا يؤذيه أحد، ولا يسمعون شيئاً يكرهونه، انتمروا فيما بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي وفدًا؛ لإحضار من عنده من المسلمين، بعد أن يوقعوا بينهم وبين النجاشي، حتى لا يكونوا آمنين، إلا أن الوفد خدم الإسلام من حيث لا يدري⁽²⁾.

نلاحظ من هذا الفعل أن أعداء الإسلام يحاربون دين الله في كل مكان وزمان، فهم لا يهدأ لهم بال، ولا يستقر لهم جنان، ولا تسكن لهم أركان، إلا بعد القضاء على أتباع الإسلام؛ لأنهم يعلمون أنهم يهددون عروشهم الظالمة، وسلطاتهم الفاسدة؛ لذلك فإن قوى الظلم مستعدة أن تدفع الأموال الطائلة من أجل وقف انتشار المد الإسلامي الذي ينادي بتوحيد الله، ويجابه كل قوى الشر، حتى وإن كلفهم الكثير، وهذه الحالة التي صارت عليها قريش يسير عليها الآن حكام وزعماء وسلطين العالم، إلا من رحم الله، وقد صور القرآن الكريم الحالة التي يتبعها أولئك، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36].

وهذا التغاير والتنقل بين مراحل الدعوة ضرورة واقعية، وقد تعامل الرسول ﷺ والدعاة معه، ومن بعده، مع الواقع بما يناسبه، وبما يحقق الغاية المقصودة منه، حيث إن هدف الدعوة معروف منذ اللحظة الأولى، لكن تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى وسائل عديدة تتعامل مع واقع الحياة والأحياء، ويحتاج كذلك إلى أسلوب يلتقي مع أفهام المخاطبين، ويتلاءم مع أفكارهم وثقافتهم، وإن ثبات الغاية وتغيير الأسلوب والوسيلة مسألة تعطي الدعوة الحيوية والمرونة والتجديد، ومن المعلوم أن جمود

(1) دلائل النبوة، البيهقي، ج2/ ص 286.

(2) سيرة ابن إسحاق، ابن إسحاق، ج1/ ص213، بتصرف.

الوسيلة لا يتفق مع تطور الحياة، وتقدم المدنية، وطبائع الناس، كما أن جمود الأسلوب تخلف يؤدي إلى وضع الأفكار في قوالب غامضة تضر الفكرة، وتعجز عن إيصالها إلى عديد من الناس⁽¹⁾.

2. مرحلة المشاركة والاندماج

تأتي هذه المرحلة للمشاركة في المجتمعات الحاضرة؛ بغية الإصلاح والتقويم حتى الوصول للتمكين العام، وقد تجلّت بشكل واضح في كتاب الله، مثلها يوسف عليه السلام وطلبه المشاركة في الحكم، وأن يكون له سلطة في البلد الذي يعيش فيها، حتى يصل إلى التمكين، ولا يمكن لأي شخص أن يخوض غمار المشاركة ويتوجه نحو التغيير من السوء إلى الأحسن، إلا إذا توفرت شروط تمكنه من ذلك.

وتتطلب هذه المرحلة بعض الشروط الخاصة للاندماج والسير السليم، فهي لا تسير بعشوائية أو اندفاع، إنما وفق منهج منظم يستطيع من خلاله النهوض للغاية التي يتطلع لها.

ومن أبرز الخطوات التي اتخذها نبي الله يوسف في المشاركة والاندماج، طلبه التدخل عندما حلت الأزمة التي تحمل في طياتها الصعاب والشدائد؛ لأنه رأى في نفسه القدرة على وضع منهجية علمية يسير عليها؛ للتخلص من تلك الأزمة، وهي الحفظ والأمانة، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ٥٥ ﴾ [يوسف: 55]، ولم يكن يوسف عليه السلام يطلب هذه المكانة لشخصه، إنما كان حصيماً في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها؛ لينهض بالواجب المرهق الثقيل في أشد أوقات الأزمة، ويكون مسؤولاً عن إطعام شعب كامل طوال سبع سنوات، لا زرع فيها ولا ضرع، فليس هذا مغنماً يطلبه يوسف لنفسه، إنما هي تبعة يهرب منها الرجال؛ لأنها قد تكلفهم رؤوسهم، والجوع كافر، وقد تمزق الجماهير الجائعة أجسادهم في لحظات الكفر والجنون⁽²⁾.

ويأتي تسلّم يوسف لخزائن الأرض من باب تمكين الله له؛ لأنه انفرد عن غيره بأهم الصفات التي بوّأته لذلك، وهي الحفظ والعلم، وقد أعدّ الله عز وجل يوسف عليه السلام وهيئته ليكون حاكماً لمصر، وقد وعد الله يوسف بالتمكين، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ أَمِيرٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: 21].

3. مرحلة التمكين وإقامة الدولة

إن مرحلة التمكين هي ذروة العمل الإسلامي المنظم الهادف، وهي تمثل الثمرة الناضجة، إذا مثّلت المراحل التي سبقتها التربية الحسنة والبذرة الصالحة، والتعهد والرعاية، وإن الجهد الذي أوصل إلى المرحلة كله من توفيق الله، ويستطيع أن يلمس المؤمن أثر توفيق الله سبحانه وتعالى في الوصول إلى مرحلة التمكين لدينه في الأرض، ومرحلة التمكين في الدعوة إلى الله تعني أن الله تعالى

(1) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، غلوش، ص 419.

(2) ينظر: في ظلال القرآن، السيد قطب، ج4/ ص 2005.

يَمَكِّنُ لدينه في الأرض عن طريق المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وأن هذا التمكين يسبقه الاستخلاف والملك والسلطان، ويعقبه أمن بعد خوف، كما أن الوصول إلى التمكين يكون بعد تحقيق شروطه من إيمان وعمل صالح، وتحقيق العبودية، ومحاربة الشرك، وتقوى الله، كما أن لاستمراره شروطاً منها: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول ﷺ، وهذه الثلاثة هي إجمال للإسلام كله، فالصلاة عماد الدين وهي دليل الإسلام وعلامته، والزكاة تراحم وتكافل، ودفع لحاجات المحتاجين، كما أنها طهارة لقلب المزكّي، ولماله، وطاعة الرسول هي الالتزام بكل ما أمر، والانتهاز عن كل ما نهى، وذلك الإسلام كله⁽¹⁾، والذي يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور: 55 - 56].

وستظل الطاعة لرسول الله ﷺ، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، مصاحبة للتمكين لا تتفك عنه، ولا ينفك عنها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عِزَّةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: 41].

وفي هذه الآية نصٌّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من صميم ما أمر الرسول ﷺ به⁽²⁾.

إن التمكين لدين الله في الأرض مطلب عزيز دعا إليه الدين، وهو ليس مطلب عسير أو فوق مستوى الطاقة البشرية للمسلمين؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، بل هو في مقدور العاملين، كما أن التمكين هو إرادة إلهية كي يظهر الدين الإسلامي، ويحكم به ربوع العالمين يوماً من الأيام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الصف: 9].

والتمكين هو الهدف الأكبر للأمة الإسلامية، فقد صار النبي ﷺ بخطة ثابتة نحو تحقيق الهدف الأكبر، فكانت مسيرته تسير جنباً إلى جنب في بناء العقيدة وتطهير النفوس من أمراضها، وتربيتها بالأخلاق الفاضلة مع الاهتمام بجوانب التخطيط والسياسة والإعلام والجهاد وبناء دولة تحكم شرع الله وتسعى لتمكين دينه، وقد وصل رسول الله ﷺ لمرحلة التمكين الشامل في مسيرته وتجلت صورته الزاهية عند فتح مكة الذي ترتب عليه نتائج أهمها⁽³⁾:

1. دخول مكة تحت نفوذ المسلمين وزوال دولة الكفر.

(1) ينظر: فقه الدعوة إلى الله، عبد الحليم، ص 705.

(2) فقه الدعوة إلى الله، عبد الحليم، ج2/ ص 715.

(3) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي، ص 493.

2. تطهير الكعبة من الأصنام، وإنهاء الوثنية في مكة، بعد أن دمرت أصنام القلوب وأصلحت العقائد الفاسدة والتصورات المنحرفة.
3. استخدام العفو العام عند المقدرة، فكان ذلك سبباً في دخول زعمائهم الإسلام، وتمكن من قلوبهم أمثال عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية.
4. أصبح المسلمون قوة عظمى في جزيرة العرب، لا يشق لها غبار.
5. تمكين الله للمؤمنين الصادقين، بعدما ضحوا بالغالي والنفيس، وحققوا شروط التمكين، وأخذوا أسبابه.
6. كان التمكين في هذه المرحلة في ذروته التي لم تصل إليها الأمة في أي وقت آخر، فكان شاملاً براً وبحراً، سياسياً وعسكرياً، واقتصادياً، وقد سعدت الأمة الإسلامية ردحاً كبيراً من الزمان، وفتح الله عليها بركات السماء والأرض.

المطلب الثاني: أهداف التمكين

تدور أهداف التمكين الذي يعدُّ غايةً مرحليةً لغاية كبرى؛ هي إرضاء الله ﷻ من خلال تحكيم شرعه، وتطبيق منهجه ودستوره، وتدور أهدافه حول إسعاد الإنسان، ذلك الذي استخلفه الله في أرضه؛ ليقوم فيها منهجه، وينشر عدله، ويبين الله ﷻ هدف تمكين الأمة وغاياته، والذي يتمثل في قيادة الأمة لنفسها وللبشرية بكتاب الله تعالى، الذي نهى عن الانحراف عن المنهج الرباني إلى تشريع آخر، وهو الطاغوت، هذه هي غاية وجود الأمة والهدف من إقامة دولتها⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: 45]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 47]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44].

**والتمكين في الأرض تُبنى عليه أهداف عظيمة، يشعر فيها الإنسان بالاستقرار والطمأنينة،
ومن أهم تلك الأهداف
أولاً: بناء مجتمع مسلم**

إن من أهم أهداف التمكين بناء المجتمع المسلم الذي تتحقق فيه العبودية الشاملة لله تعالى، ولذلك لا بد من إقامة دولة الإسلام بكل مكوناتها، مرتكزة على قواعد للنظام الإسلامي، الذي يسمح من خلاله وبشكل مطلق نشر الدعوة إلى الله تعالى.

(1) سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم، الغريب، ص93، بتصرف.

1. إقامة دولة الإسلام بجميع مكوناتها

إن من الوسائل المهمة في تحقيق العبودية لله تعالى، إقامة دولة الإسلام التي تحارب الباطل بأشكاله وأنواعه، وتتاصرر الحق وأتباعه. وللدولة الإسلامية دعائم مهمة تقوم عليها، ومبادئ تستند إليها، وأهداف تسعى لتحقيقها؛ لذلك فإن من أهداف التمكين تحقيق هذه الدعائم، المتمثلة في نظام الحكم، والرعية الصالحة، وحاكم صالح يسعى ويجتهد من أجل تحكيم شرع الله⁽¹⁾.

وتتمثل هذه الدعائم فيما يأتي

• نظام الحكم (الحاكمية)

إن النظام الإسلامي في الحكم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين وأخلاقه وعقيدته، وإن الحاكمية من صلب وأصل العقيدة الإسلامية، هذه العقيدة التي مكث القرآن المكي ثلاثة عشر عاماً يركز عليها⁽²⁾. ولقد جمع الإسلام بين الرسالة والخلافة؛ لأن دين الإسلام غاية مراد الله تعالى من الشرائع، وهو الشريعة الخاتمة؛ ولأن امتزاج الدين والملك هو أكمل مظاهر التمكين في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: 64]، ولذلك أجمع أصحاب رسول الله بعد وفاة النبي ﷺ على إقامة الخليفة لحفظ نظام الأمة وتنفيذ الشريعة، ولم ينازع في ذلك أحد من الخاصة ولا من العامة، إلا الذين ارتدوا على أديبارهم من بعدما تبين لهم الهدى⁽³⁾.

إن تحقيق حاكمية الله على الأمة من خلال دولة مسلمة هو محض العبودية لله؛ لأنه بذلك يحقق التوحيد ويقوم الدين⁽⁴⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ أُلْحَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: 40].

أي: ما الحكم الحق في الربوبية، والعقائد والعبادات الدينية إلا لله وحده يوحيه لمن اصطفاه من رسله، لا يمكن لبشر أن يحكم فيه برأيه وهواه، ولا بعقله واستدلاله، ولا باجتهاده واستحسانه، فهذه القاعدة هي أساس دين الله تعالى على السنة جميع رسله، لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة⁽⁵⁾.

(1) ينظر: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص 436.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج 3/ ص 1004.

(3) التحرير والتوير، ابن عاشور، ج 1/ ص 399.

(4) تبصير المؤمنين بفقهاء النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص 517.

(5) تفسير القرآن الحكيم، رضا، ج 12/ ص 254.

• الحاكم الصالح

يعدُّ الحاكم الصالح من الدعائم القوية التي تشدُّ أزر دولة الإسلام، فإذا كان الحكمُ أمانةً عظيمةً يجعلها الله تعالى في عنق من يشاء من عباده، فينبغي للحاكم أن يكون ناصحاً أميناً، وعادلاً عليمًا، صالحًا في نفسه قدوة لغيره.

وقد قال الله تعالى لنبيه إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124]، أي: جعلناك للناس إمامًا يأتُمون بك في الخصال، ويقتدي بك الصالحون⁽¹⁾.

ولهذا؛ فإن الذين يفتقدون الصلاح لا يستحقون الإمامة، فإبراهيم قال لربه بعدما بُشِّرَ بالإمامة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، على جهة الاستفهام، أي يا رب ماذا يكون من ذريتي، فأخبره تعالى أن فيهم عصاة ظالمين، لا يستحقون الإمامة⁽²⁾، وقال: ﴿لَا يَتَّأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]، أي: لا يستحق الإمامة من كان ظالمًا في نفسه، وظالمًا لغيره؛ لأن في ذلك خيانة لله تعالى.

وفي الآية إشارة إلى أن الإمامة والعدل فيها أمانة وعهد، والجور والظلم فيها خيانة لذلك العهد، يقول صاحب المنار: "أن الولاية العامة الشرعية حق أهل الإيمان والعدل، وأن الله تعالى لن يعهد بإمامة الناس وتولي أمورهم للظالمين، فكل حاكم ظالم فهو ناقض لعهد الله تعالى"⁽³⁾.

• الرعية الصالحة

إن من أهم أهداف التمكين إيجاد دعائم دولة الإسلام، ومن أهمها الرعية الصالحة والاهتمام بها؛ لأنه لا يمكن أن تقوم دولة بدون وجود رعية تطبق نظام الحكم، وتحمل إقامة الحياة على شريعة الله.

كما أن الرعية الصالحة قيمة كبيرة في طريق الحكام؛ لأنهم إذا زاغوا عن الطريق ردَّتْهم، وهذا ما حصل عندما بويح الصديق ﷺ لخلافة المسلمين، (أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف، حتى آخذ الحق منه، إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم)⁽⁴⁾.

وقد اختار الله أمة النبي ﷺ وجعلها أفضل الأمم، وخصَّها بأفضل شريعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2/ ص 107.

(2) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الصلابي، ص، 445.

(3) تفسير المنار، رضا، ج1/ ص95.

(4) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، النجدي، ج1/ ص 252.

فمطلوب منها أن تكون صالحة في نفسها، مصلحة لغيرها، فهي الشهيدة على الأمم السابقة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143].

لذلك فإن من أهم أهداف مرحلة التمكين بيان حقوق الرعية على الراعي، وحث الحاكم تنفيذها، ومن أهم هذه الحقوق⁽¹⁾

أ. حماية النفس من الاعتداء عليها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّذِينَ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الإسراء: 33].

ب. حماية الحياة الخاصة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ [النور: 27].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات: 12].

ت. حماية حقوق الملكية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ ﴾ [البقرة: 188].

ث. حق المعاملة دون تمييز أو تفریق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي

نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص: 4].

ج. حق الاعتراض على الظلم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ [النساء: 148].

ح. حرية الاعتقاد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: 256].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ ﴾

[يونس: 99].

فإذا استوفت الرعية حقوقها من ولايتها، فلا بد أن تؤدي واجباتها.

ومن واجباتها تجاه الولاية⁽²⁾

أ. الطاعة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: 59].

ب. الالتزام بالقانون وعدم نشر الفساد

(1) ينظر: الخلافة والملك، المودودي، ص 19.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 30.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 85].

ت. النصرة وبذل الأرواح في الدفاع عنها

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ؕ
إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا أَنْفِرُوا خِفَافًا
وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [التوبة: 38 -
41].

إن العلاقة بين الراعي والرعية كما حددت الشريعة معالمها، هي علاقة التعاون والتعاقد مع النزاهة والتجرد، فهي علاقة لإعلاء كلمة الله.

ثانياً: إقامة قواعد النظام الإسلامي

من أهم أهداف التمكين إقامة قواعد النظام الإسلامي وفق منهج إسلامي قائم على الشورى بين ولاية الأمر، وإقامة العدل والمساواة بين الناس، وحفظ الحقوق والحريات لهم.

أ. الشورى

تعد الشورى القاعدة الأولى ودعامة من دعائم الحكم الإسلامي، تعطي الحق للأمة في إدارة شئونها والإشراف عليها، وتمثل ضماناً أساسية تحول دون مخالفة الحكومة للأحكام أو الانحراف في استعمال السلطة؛ لأن القرار الذي ستقدم عليه الإدارة لن يخرج إلى حيز التنفيذ، إلا بعد بحث واستنصاء وتحري المصلحة ومشاورة المختصين في هذا الأمر⁽¹⁾.

والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه، وقد مدح الله المؤمنين⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38].

وبهذا النص الجازم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم حتى ومحمد رسول الله ﷺ هو الذي يتولاه، وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي، لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه⁽³⁾.

ب. العدل

هو القاعدة الثانية التي أسس عليها بناء الدولة، وأن الجميع فيها متساوون أمام القانون الرباني، ولا بد من تنفيذه عليهم من أدنى فرد في الدولة إلى القادة والحكام بدرجة واحدة ليس فيه مجال لمحسوبية أو تفضيل أو محاباة⁽⁴⁾.

(1) الشورى في الإسلام، خطاب، ص 13.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج1/ ص 534.

(3) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج1/ ص 501.

(4) الخلافة والملك، المودودي، ص 38.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، والعدل هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف وإعطاء الحق، والإحسان هو فعل كل مندوب إليه (1).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]،

والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام، وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به (2).

ويوضح النبي ﷺ هذه القاعدة فيقول: (أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (3)، هكذا كان ﷺ يقيم العدل، وينفذ الحدود في دولته.

ت. المساواة

والقاعدة الثالثة التي أسس عليها بناء الدولة الإسلامية، ضمن جميع المسلمات في الدولة، هي أن جميع المسلمين متساوون في الحقوق تساويًا تامًا، دون اعتبار للون، أو الجنس، أو اللغة، أو الوطن، ولم يكن لأي شخص، أو جماعة، أو طبقة، أو جنس، أو شعب داخل حدود الدولة الإسلامية أي نوع من التمايز في الحقوق أو الاختلاف في المنزلة (4).
وقد تجلت المساواة في القيمة الإنسانية بين البشر كافة في أصلين (5)

الأول: وحدة التكليف

ذلك أن الله سبحانه خاطب البشر بتكليف واحد؛ لأنهم متمثلون في الاستعداد لتقبل ذلك التكليف، وأساسه عقيدة التوحيد التي أرسل الله بها رسله وأنزل كتبه، قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]، والتكليف منوط بالعقل، فخاطب الرسل عقول الناس، فأمن من آمن، وكفر من كفر.

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج3/ ص 416.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 183.

(3) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ج3/ ص 1315، حديث رقم، 1688.

(4) الخلافة والملك، أبو الأعلى المودودي، ص 39.

(5) في الفقه السياسي الإسلامي، فريد عبد الخالق، ص 214/213.

الثاني: وحدة الأصل

البشر متساوون في أصل المنشأ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: 1]، فالمساواة بين البشر في هذين الأصل تقتضي عدم الالتفات إلى اختلافهم في الأجناس والألوان والأنساب، بأن يجعلوها مقاييس للتفاضل أو التناكر؛ لأن حكمة الله اقتضت أن يكون مقصود هذا الاختلاف التعاون والتعارف بين الأمم والشعوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات: 13]، فجعل تقوى الله مقياس التفاضل عنده ومن تقواه إحسان العمل والعدل بين الناس.

وقد تميزت الشريعة الإسلامية بأن قررت المساواة على إطلاقها، لا يحملها إلا مقتضى العدل، فلا قيود ولا استثناءات، قال رسول الله ﷺ: (المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده)⁽¹⁾.

وإن تطبيق مبدأ المساواة بين أفراد الدولة الإسلامية، يقوى صفها، ويوحد كلمتها؛ فينتج عن ذلك مجتمع متماسك، كما أن تطبيق مبدأ المساواة طريقة لها أهمية كبيرة للوصول إلى تمكين الأمة الإسلامية، وسيادتها الأمم؛ لامتلاكها المنهج الرباني الصالح لكل زمان ومكان.

ثانياً: نشر الدعوة إلى الله

إن الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي وظيفة هذه الأمة إلى قيام الساعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف: 108]، والدعوة إلى الله هي أم الأعمال الصالحة كلها، فيسببها يدخل الناس الإسلام، يعملون بأحكامه، ويتخلقون بأخلاقه؛ ولأهمية الدعوة، أوجبها الله على هذه الأمة، وشرفها بها، ومدح وأثنى على القائمين بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: 33].

إن من الأهداف الرئيسة للتمكين نشر الدعوة إلى الله وحمايتها، وتوفير جميع السبل والوسائل المعينة على القيام بهذه المهمة العظيمة، والتي تعمل على توجيه الناس حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوقوف عند حدود الله، والدعوة إلى الأخلاق الكريمة، والتي تعزز عقيدة الجهاد في سبيل الله.

(1) صحيح لغيره: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ج2/ ص 268، حديث رقم 960.

ومن أهم الوسائل في نشر الدعوة إلى الله

1. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله؛ لتعطلت النبوة، واضمحلّت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التتاد⁽¹⁾.

لذلك فقد أمر الله تعالى هذه الأمة بأن تسلك طريق النجاة والفلاح، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، يقول الشعراوي: (أن هذه الآية تأمر بأن تكون كل جماعة المسلمين أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وأنها تطالب كل أمة المسلمين بذلك، فلا تختص جماعة منها فقط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل الواجب أن تكون أمة المسلمين كلها آمرة بالمعروف، وناهية عن المنكر، فمن يعرف حكمًا من الأحكام عليه أن يأمر به)⁽²⁾.

2. الجهاد في سبيل الله

إن الأخطار التي تواجه الدولة الإسلامية كثيرة وكثيرة جدًا، ولا يكاد يمر وقت إلا وفيه مكيدة تُحاك ضد الإسلام وأهله، سواء كانت هذه المؤامرات من الداخل أو الخارج، فهذه الأخطار كلها يجب أن تواجهه، لكن ليس بالمفاوضات أو التنازلات أو الوساطات الخادمة لأعداء الله، بل بقطع دابر المتآمريين جميعهم بالسيف والسلاح.

والصراع بين الحق والباطل سنةٌ جاريةٌ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها⁽³⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: 217]، ويقول تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18]، والكثير من البشر لا يبقادون للحق بدون قوة تحملهم على ذلك، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103] ولكون أهل الباطل هم الكثرة دائمًا، فإنه لا ينقمع شرهم وفسادهم إلا بقوة ترهبهم وتكسر شوكتهم لأجل ذلك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا تَشَفَّنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 57]، وقد بيّن تعالى بأنه

(1) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج2/ ص 306.

(2) الخواطر، الشعراوي، ج3/ ص 1665.

(3) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، العلياني، ص 254.

لولا جهاد المسلمين للكافرين، فسدت الأرض وهدمت المساجد⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251].

إن هذا الدين الإسلامي لا يتحقق في أنفس المسلمين، ولا في واقع الناس إلا بالجهاد، وبجميع أنواعه؛ لهذا كان تأثير الجهاد في نشر الإسلام في الأرض عظيمًا، يقول ابن القيم: (وبعث رسول الله ﷺ بالكتاب الهادي والسيف الناصر بين يدي الساعة حتى يعبد سبحانه وحده لا شريك له، وجعل رزقه تحت ظل سيفه ورمحه، وجعل الذلة والصغار على من قابل أمره بالمخالفة والعصيان)، ويقول رحمه الله: (فإن الله سبحانه أقام دين الإسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان، فكلاهما في نصره أخوان شقيقان)⁽²⁾.

المطلب الثالث: صفات جيل التمكين

لا يخفى على أحد ما يحدث لأمتنا الإسلامية من ذل وهوان، فالجراح تملأ جسد الأمة، والضعف والوهن قد أصابه، ولم يعد المسلمون على قلب رجل واحد، ولا راية واحدة، بل تعددت راياتهم، واختلفت وجهاتهم، وتكالب عليهم أعداؤهم من كل مكان، ولقد أصبحنا أذل أهل الأرض لا قيمة لنا، ولا اعتبار لوجودنا، ويكفي ما يفعله بنا إخوان القردة والخنازير وحلفاؤهم، فقد سامونا سوء العذاب؛ يقتلون أبناءنا، ويهدمون بيوتنا، ويعتقلون شبابنا، وكل ذلك يحدث تحت سمع وبصر العالم أجمع.

لذلك نحتاج جيلًا قادرًا على تغيير هذه الحالة التي وصلت إليها الأمة الإسلامية، جيلًا يمن عليه الله بأن يكون سببًا من أسباب التغيير والتمكين، ويكون سببًا في نشر دعوة الله في أرضه، وبلاغ رسالته، جيلًا قرآنيًا فريدًا له صفاته الخاصة، يعيش لغيره كما يعيش لنفسه، فيصلح دنياه على منهاج مولاه⁽³⁾.

ونحتاج جيلًا يعود بالإسلام إلى ينابيعه الصافية، ويفهمه فهمًا صحيحًا متكاملًا، خالصًا من الحشو والشوائب⁽⁴⁾.

صفات جيل التمكين متمثلة فيما يأتي

1. جيل سليم العقيدة

لابد لكل بناءٍ ماديًا كان أو معنويًا من أساسٍ يقوم عليه، والدين الإسلاميُّ بناءٌ متكاملٌ يشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته، ثم ما يصير إليه بعد موته، وهذا البناء الضخم يقوم على

(1) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج1/ ص 227.

(2) الفروسية، ابن القيم، ص 83.

(3) صفات جيل التمكين في المنظور القرآني، الغريب، ص 7.

(4) جيل النصر المنشود، القرضاوي، ص 15.

أساس متين هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقاً لها⁽¹⁾، كما قال تعالى: ﴿قُلْ

إِنَّ صَلَاتِي وَمُحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ [الأنعام: 162].

وبالعقيدة يمشي الإنسان في طريق الحياة، كأنه يمشي في الحياة إلى الجنة بخطوات مسددة لا تزيغ ولا تتحرف، فلا شر ولا رذيلة، تقف أمام رجلٍ تسلح بعقيدة سليمة. وقد ظل القرآن الكريم في مكة المكرمة ينتزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً كاملة، يحدثه فيها عن قضية واحدة لا تتغير، وهو العقيدة ومقتضياتها؛ لأنها هي الأساس الذي سيقوم عليه البناء⁽²⁾.

لقد كان التوحيد مبدأ دعوة الأنبياء، كانوا يبذلون في ذلك الوقت الكافي الذي يؤكد البناء ويرسخ الاعتقاد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء: 25].

يقول السيد قطب: "التوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس، لا تبديل فيها ولا تحويل، توحيد الإله وتوحيد المعبود، فلا انفصال بين الألوهية والربوبية، ولا مجال للشرك في الألوهية ولا في العبادة"⁽³⁾.

ولقد كان للتربية العقيدية التي رعى النبي ﷺ أصحابه نتائج كبيرة، ظهرت ملامحها في جيل الرسالة، وفي كل جيل نهل من ذلك المعين، فكل تربية تبنى على أساس راسخ من صحة الاعتقاد، وتتغلغل في سويداء القلوب، ستثمر جنياً طيباً وثماراً حلواً، ومن هذه الثمار: أ. التمييز والمفاصلة:

صاحب العقيدة واضح لا تذبذب لديه في المواقف ولا في العلاقات؛ فرؤيته ثابتة ونظرته واضحة قد ضبط علاقته بالكافر والمنافق، وبنائها على المصالح الشرعية لا على المصالح الذاتية. لمّا علم أبو سفيان بعزم النبي ﷺ على التوجه إلى مكة فاتحاً، دخل المدينة متستراً بجنح الظلام ساعياً للصالح، فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال: أرغبت بهذا الفراش عني، قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك⁽⁴⁾.

إن المفاصلة والتمييز عن الكافر والمنافق ليست من مستحبات الأمور، بل هذا التمييز بين المسلمين وغيرهم أصلٌ في عقيدة الإسلام وأحكامه، بل هو أساسه، فلا حلول وسط، ولا التقاء مع

(1) أركان الإيمان، علي الشحود، ص4.

(2) ينظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ضميرية، ص 37.

(3) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج4/ص2374.

(4) ينظر: مغازي الواقدي، الواقدي، ج2/ص792.

الكافر في أصول الدين والمعتقدات، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: 2].

ب. البذل والتضحية

إن عقيدة التوحيد هي صانعة الرجال الذين ينفقون في سبيلها الأموال، ويزهقون في سبيلها الأرواح، ولا يمكن لأي إنسان أن يضحي بنفسه وماله وأهله، إلا إذا كانت لديه عقيدة راسخة وغاية عظمى، يقدم من أجلها الغالي والرخيص لنفسه.

فقد ضرب لنا الصحابة الكرام أروع نماذج التضحية والبذل، فها هو الصحابي الجليل صهيب الرومي عندما أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة، فأتبعه نفر من قريش فقالوا له: أتيتنا صلوكاً حقيراً فكثير مالك عندنا، فبلغت ما بلغت، ثم تنطلق بنفسك ومالك، والله لا يكون ذلك، فنزل عن رحلته وتسلح بما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنني من أركام رجالاتنا، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي من يدي منه شيء فافعلوا ما شئتم، فإن شئتم دللتكم على مالي وخليتم سبيلي قالوا: نعم، ففعل⁽¹⁾، فلما قدم على النبي ﷺ قال: "ريح البيع أبا يحيى، ريح البيع"، ونزل قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾﴾ [البقرة: 207].

ت. الثبات

إن أصحاب العقيدة الراسخة والتوحيد الخالص أثبتت الناس قلباً، وأصلبهم عوداً، وأقواهم عريكة، وذلك أن أثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عباده في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]، يثبت الله المؤمنين في الدنيا بعدم تعرضهم للفتنة في دينهم بالرغم من التعذيب كبلال وغيره من الصحابة، فتثبتهم به في الدنيا، أنهم إذا فتتوا في دينهم، لم يزلوا، كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأعداء، والذين نشروا بالمناشير، ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد، وتثبتهم في الآخرة، أنهم إذا سئلوا عن معتقدتهم ودينهم في موقف الحساب، لم يتلعثموا، ولم تحيرهم أهوال الحشر⁽²⁾.

إن طريق الدعوة والجهاد فيه من المشقة والجهد ما يحتاج معه إلى صبر وثبات، والذي لا عقيدة له، لا يمكن أن يثبت في ميدان الجهاد، ولا يمكن أن يجاهد كما يجاهد الرجال.

(1) سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، عبد الواحد، ج1/ ص 9.

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج13/ ص 245.

2. جيل يؤمن بالعلم

للعلم قيمة ومنزلة كبيرة في الإسلام، وهذا واضح وظاهر كظهور الشَّمْس في كبد السَّمَاء، فقد نزل القرآن الكريم حين نزل، وهو يحمل أهم أدوات الكتابة وهو القلم، وأهم أدوات المعرفة وهي القراءة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ ﴾ [العلق: 1 - 4].

ولا يمكن لجيل يتبنى التمكين أن يكون فارغ المضمون، لا يمتلك من أدواته شيء، إن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى جيل يؤمن بالعلم، ويحترم العقل، ويدين للبرهان، ويرفض الخرافة، ولا يتبع الظن، وما تهوى الأنفس، جيل تعلم من القرآن والسنة أن التفكير فريضة، والتأمل عبادة، وطلب العلم جهاد، وأن الجمود على القديم لمجرد قدمه جهل وضلال، وأن الاتِّباع الأعمى للآباء والكبراء فساد وخبال، فهو لهذا يفكر قبل أن يحكم، ويتعلم قبل أن يعمل، ويستدل قبل أن يعتقد، ويخطط قبل أن ينفذ، ولا يقبل حكمًا بلا بيعة، ولا دعوى بلا برهان، جيل قد وضع نصب عينيه⁽¹⁾ قوله تعالى: ﴿ نِعُوْنِي يَعْلَمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٤٣ ﴾ [الأنعام: 143]، فإذا امتلك الإنسان العلم النافع، ارتفع قدره، وعلت مكانته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١ ﴾ [المجادلة: 11].

ولا يقتصر العلم هنا على العلوم الشرعية فحسب، إنما على غيرها من العلوم النافعة التي يصلح معها البقاء على هذه الأرض، وقد أكرم الله تعالى دواد وسليمان _عليهما السلام_ ومنحهم علمًا يقودهم إلى التمكين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحِصِّنَكُمْ مِّنْ بِأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝٨٠ ﴾ [سجدة: 80 - 81].

لذلك فإن كل أمة تسعى إلى التمكين عليها أن تربي جيلًا من الجنود على العلم كفريضة، علمًا شرعيًا يحمي العقيدة من الزيغ والانحراف، وعلمًا كونيًا مختلفًا أنواعه، يحمي الأرض من السلب والنهب من الطامعين المعتدين.

3. جيل العمل الجماعي

لقد كان للإسلام العظيم الدور الكبير في تنمية روح العمل الجماعي وغرسه في نفوس أتباعه، وقد أوجبه الله على المسلمين من أجل التمكين الذي ارتضاه لهم، حتى يخرج جيل يؤمن بأن العمل الجماعي لنصرة الإسلام واستعادة سلطانه فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، وأن إصلاح الفرد _وإن كان هو الأساس_ لا يتم إلا في ظل جماعة يعيش في كنفها⁽²⁾.

(1) جيل النصر المنشود، القرضاوي، ص 27.

(2) ينظر: جيل النصر المنشود، القرضاوي، ص 29.

والعمل الجماعي هو غريزة أودعها الله في كل أمة من الخلائق، تتقاد إلى النظام الاجتماعي التي يناسبها، فجعل للنمل قري ومساكن تجتمع فيها، وأسلوباً تعاونياً لتحقيق رزقها فإنك تجد، "جماعة النمل إذا أرادت إحراز القوت خرجت من أسرابها طالبة له، فإذا ظفرت به أخذت طريقاً من أسرابها إليه وشرعت في نقله... فإذا ثقل عليها حمل الشيء من تلك، اجتمعت عليه جماعة من النمل وتساعدت على حمله"⁽¹⁾.

وجعل للنحل مملكة ونظاماً جماعياً يخضع له جميع أفرادها، فالنحل يعمل بإلهام من الفطرة التي أودعها إياها الخالق، فهو لون من الوحي تعمل بمقتضاه، وهي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها، أو في تقسيم العمل بينها، أو في طريقة إفرازها للعسل المصفى⁽²⁾.

وكذلك الإنسان، هو أمة من هذه الأمم، لا يعيش إلا في جماعة، يتصف أفرادها بخصائص واحدة متناسبة بعضها مع بعض، ووفق نظام يلبي مطالبهم، إلا أنه يمتاز عن سائر المخلوقات بما منحه الله من العقل والتميز.

فالعمل الجماعي للإسلام ضرورة بشرية وفريضة شرعية؛ فهو ضرورة بشرية؛ لأن الإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه، وهو فريضة شرعية، حيث حثنا الله ورسوله على الجماعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، أي: تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله⁽³⁾.

تلك الأهداف السامية لن تتم إلا من خلال العمل الجماعي، وتنسيق الجهود وتوحيدها في ميدان العمل، حتى يمكن للأمة أن تنهض وتغير واقعها، وتعود إلى قيادية البشرية، بعد أن غيبت الفرقة والتنازع شملها، وتعالى على شتات أمتنا الأراذل من الأمم.

4. جيل مبتلى

إن مما اقتضته حكمته سبحانه وتعالى، ومضت به سنته، الابتلاء والامتحان، الذي يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان؛ إذ قد دل كتابه على أنه لا بد من الفتنة لكل من الداعي إلى الإيمان، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان⁽⁴⁾.

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ، ج1/ ص 243.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج4/ ص 2181.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج7/ ص 70.

(4) مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج3/ ص 212.

وقد شاء الله أن يبنتلي عباده بضروب وألوان شتى من المحن والابتلاءات، لا لينتقم منهم، بل لأنه يحبهم، ولا يدرك هذا إلا المؤمنون به، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴾ (٣) [العنكبوت: 2 - 3].

يقول السيد قطب: "إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها، ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به"⁽¹⁾.

وجيل التمكين هو جيل تنزل به المحن، فلا تهزم إصراره، ولا تخمد ناره، ولا تطفئ نوره، ولا تغلب صبره، ولا تحطم عزمه، ولا تُفقد أمله، بل يجعل منها فرصة لتطهير النفس، وتمييز الصف، ومراجعة الحساب، والاستعداد للغد، لا يهن ولا يضعف ولا يستكين، وأسوته في ذلك أولئك الريانيون الذين نوه الله بهم⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٦١) [آل عمران: 146].

وإن الأمة الإسلامية أحوج ما تحتاج إليه اليوم، من جيل يصبر على المحن والابتلاءات، لاسيما ونحن في زمان الذل والهوان الذي أصاب الأمة، وتكالب عليها القريب والبعيد، في زمان أصبحت الدعوة إلى الله جريمة يحاسب صاحبها؛ لذلك على أمة الإسلام الصبر، فالنصر حليفها، والتمسك بدين الله هو مركب النجاة.

5. جيل يعتز بالإسلام

إن جيل التمكين هم جيل يؤمنون بالإسلام عن بينة، ويرفضون الجاهلية عن دراية، ويدعون إلى الله على بصيرة، ولا يرضون بغير شريعته منهاجاً، ولا يقبلون غير كتابه دستوراً، وكيف لا يرضون وقد رضيهم الله لهم، وأتم به النعمة عليهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: 3].

وجيل التمكين لا ينتسبون إلا للرحمن، ولا يعتزون إلا بالإيمان، ولا يفخرون إلا بالإسلام⁽³⁾.

إن هذا الجيل لا ينقاد ولا يتبع إلا ما ارتضاه الله لهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴾ (٨٥) [آل عمران: 85].

(1) في ظلال القرآن، ج 5/ ص 2720.

(2) جيل النصر المنشود، د. يوسف القرضاوي، ص، 43.

(3) المرجع السابق، ص 36.

أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول؛ لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله، إخلاصًا وانقيادًا لرسله، فما لم يأت به العبد، لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وكل دين سواه فباطل⁽¹⁾.

أما واقع الأمة الإسلامية اليوم فهو واقع مريع، باع فيه المسلمون دينهم، وتخلوا عن هويتهم الإسلامية، وانساقوا وراء حضارة غربية قائمة على المعاصي والمفاسد والملذات المحرمة، وانحدروا في مستنقع الشهوات المفضية لغضب الله، لذلك نحتاج لجيل متمسك بهويته؛ ليعيد لنا مجدنا الذي تناسيناه، ولأمتنا كرامتها التي فقدتها، ولا يكون ذلك إلا إذا عدنا الله تعالى.

6. جيل دعوة وجهاد

جيل التمكين جيل دعوة وجهاد، كما كان الصحابة الكرام، فمن نورهم يقتبسون، وعلى هداهم يسيرون، جاهدوا في ذات الله أنفسهم، كما جاهدوا عدو الله وعدوهم، لا يشغلهم جهاد عن جهاد، ولا ميدان عن ميدان، فهم في معركة دائمة، لا يلقون السلاح، ولا يستريحون من كفاح، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤١] [التوبة: 41]، فالجهاد يكون باللسان، إذا كان لا بد من كلمة الحق يصدع بها في وجه الباطل، وإذا عجزوا عن الجهاد باللسان، لم يعجزوا عن الجهاد بالقرآن، وهو الجهاد الكبير، كما سماه الله في كتابه⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [٥٢] [الفرقان: 52].

ولا يصح للمؤمنين المجاهدين أن يضجروا من مكافحة الأعداء، ولا ييأسوا من الحظوة بمظلة الإيمان، والبعد من الخوف على أنفسهم، حتى وإن استمروا في حمل السلاح؛ لأنه في النهاية ستتحقق لهم الثمرة البانعة، وهي الاستخلاف في الأرض، فقد وعد الله الذين آمنوا بحق، وعملوا صالح الأعمال أن يستخلفهم في الأرض⁽³⁾.

كما أن جيل التمكين لا يخشى في الله لومة لائم، يقول تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: 54]، أي: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وقتال أعدائه، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصددهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عدل عادل⁽⁴⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/ ص 137.

(2) جيل النصر المنشود، د. يوسف القرضاوي، ص 38.

(3) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج2/ ص 1767

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3/ ص 136.

ونرى اليوم اجتماع ملة الكفر وأذئابهم، وهم يتآمرون على أهل الجهاد في كل مكان، بل ويروجوا الأكاذيب والأباطيل نحوهم؛ بُغية النيل منهم وضربهم؛ لأنهم يعلمون أن انتشار الإسلام سيقض مضاجعهم، ولا عجب اليوم أن المجاهدين يضربون ويحاربون بتمويل عربي مسلم خدمة للاحتلال، لكن الخلاص من ذلك كله التمسك بالجهاد حتى يمكن لدين الله.

7. جيل وسطي

إن الإسلام الحنيف خاتم الأديان والرسالات الإلهية، تميز منذ فجر دعوته في العهد النبوي بالتوسط، والاعتدال، والسماحة، واليسر، ودفع الحرج، والمشقة في جميع الشرائع والأحكام الإلهية، والأنظمة الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، سواء في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات والعلاقات الاجتماعية والإنسانية، فهو دين الحنيفية السمحة⁽¹⁾.

لذلك تخرَّج لنا من مدرسة النبوة جيل مع صلابتهم وقوتهم وجهادهم وغيرتهم _متوازنون معتدلون_ فهم على صراط مستقيم لا يميلون إلى اليمين، ولا ينحرفون إلى الشمال، لا يغرقون في الماديات، ولا يسبحون في الروحانيات، يعلمون أن لربهم عليهم حقًا، وأن لأنفسهم عليهم حقًا، فهم يعطون كل ذي حق حقه، غير جانحين إلى الإفراط، ولا مائلين إلى التفريط، يأخذون بالعزائم، ولا يغفلون الرخص، فإن الله يحب أن تُؤتى رخصه، كما يحب أن تُؤتى عزائمه، يبشرون ولا ينفرون، ويبسرون ولا يعسرون، فقد علمهم القرآن أن الله يريد بعباده اليسر، ولا يريد بهم العسر، يدعون إلى رسالتهم بالرفق لا بالعنف، وبالْحِكْمَةَ لا بِالْحِمَاقَةِ، ويجادلون بالتي هي أحسن⁽²⁾؛ امتثالاً لقوله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: 125].

ويقول تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143]، وصف الله الأمة الإسلامية بأنهم وسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، كغلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا، ولا هم أهل تقصير فيه، كتقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك؛ إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها⁽³⁾.

(1) الوسطية مطلبًا شرعيًا وحضاريًا، د. وهبة الزحيلي، ص 1.

(2) ينظر، جيل النصر المنشود، د. يوسف القرضاوي، ص 46.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج 3/ ص 142.

المبحث الثالث

مراتب ونماذج التمكين

المطلب الأول: مراتب التمكين في القرآن الكريم

لا يمكن أن يتمَّ التمكين في لحظة عابرة أو برهة من الزمن، بل له مراحل يتدرج فيها من مرتبة لمرتبة، ولكون هذه المراتب ليست على درجة واحدة بل كل مرتبة يقوى فيها التمكين ويشد عوده أكثر من المرتبة السابقة بالارتقاء من البداية إلى الذروة القصوى⁽¹⁾.

ومراتب التمكين في القرآن الكريم سبع مراتب⁽²⁾

المرتبة الأولى: السلامة من الخسران

هذه المرتبة هي الدرجة الأولى في سلم مراتب التمكين للفئة أو الجماعة المؤمنة، وهي لازمة حتمية، لا يمكن أن تبدأ للتمكين بداية دون البداية بها، ولقد بينها الله تعالى في كتابه، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: 1 - 3].

هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث تمثل منهجاً كاملاً للحياة البشرية كما يريد الإسلام، وهو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده، وهو هذا الطريق الذي تصف معالمه، وكل ما وراء ذلك ضياع وخسارة، إنه الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر⁽³⁾. قال الشافعي: لو تدبر الناس هذه السورة، لوسعتهم⁽⁴⁾.

إن هذه الخصال حين تتوافر في جماعة من الجماعات أيًا كانت، فهي كفيلة بأن تجعلها في أمان من كل خسارة أخروية أو دنيوية، والباحث المتحري لعوامل النصر، والناظر الفاحص لأحداث الأمم في التاريخ؛ يجد أن السورة لخصت الصفات المطلوبة فيمن يؤهل لبلوغ النصر ويمكن له في الأرض، خصوصاً من الأمة الإسلامية⁽⁵⁾.

من خلال هذه السورة، يتضح أن هذه الخصال إذا توافرت في الفئة المؤمنة، وامتنعت في الفئة الباغية أو الكافرة، كان النصر والتمكين للمؤمنين.

(1) عوامل النصر والتمكين، الشهري، ص 25.

(2) المرجع السابق، الشهري، ص 40.

(3) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج6/ص3965.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8/ص 479.

(5) عوامل النصر والتمكين، الشهري، ص26.

المرتبة الثانية: التأييد

التأييد هو القوة والحفظ⁽¹⁾، كالذي وقع لرسول الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: 40]، حيث أيده وقواه بجنود من عنده من الملائكة، لم تروها أنتم⁽²⁾.

والتأييد: من الأيد، وهو القوة؛ كأنه يأخذه معه بيده في الشيء الذي يقويه به، كأخذ قوة المظاهرة من الظهر؛ لأن الظهر موضع قوة الشيء في ذاته، واليد موضع قوة تناوله لغيره⁽³⁾.

والتأييد من الله يكون للمؤمنين الذين يجاهدون في سبيله وابتغاء مرضاته، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 13].

وعن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ، أو قالت: ينافح عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: (إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر، أو ينافح عن رسول الله ﷺ)⁽⁴⁾.

فالتأييد مرتبة من مراتب التمكين وهي تدخل كل مجال من مجالات الدعوة من توفيق أو سداد رأي أو حجة، أو التأييد بالنصر أو الجماعة، كما قال تعالى - لرسوله ﷺ -: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62]، فالتأييد يعد المرتبة الثانية من مراتب التمكين، وهو أعلى من المرتبة السابقة "الأولى".

المرتبة الثالثة: الظهور

الظهور هو القوة والبروز⁽⁵⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: 14]. وهذه المرتبة هي نتاج مرتبة التأييد وحصيلتها، وهي مرتبة من التمكين وقد بين نبينا محمد ﷺ، أنها لن تتعدم من أمته إلى قيام الساعة، فمهما أصاب الأمة من نكبات، ومهما ضعفت وتمزقت ونقص حظها من التمكين، فلن تتعدم منها هذه المرتبة من التمكين، وهي الظهور في علو وقوة من فئة أو جماعة في شرق الأمة أو غربها، ولا يمكن بحال أن تنحط كل طوائف الأمة الإسلامية جميعاً

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1/ ص 163.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج14/ ص 261.

(3) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص 89.

(4) سنن الترمذي، الترمذي، باب ما جاء في إنشاد الشعر، ج5/ ص 138، حديث رقم 2846.

(5) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3/ ص 471.

عن هذه المرتبة⁽¹⁾، قال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة..."⁽²⁾.

المرتبة الرابعة: النصر

وقد ورد النصر بمعانٍ متعددة؛ أشهرها ما يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين، آتاهم الظفر على عدوهم⁽³⁾.

والنصر: هو أخصُّ من المعونة؛ لاختصاصه بدفع الضر⁽⁴⁾.

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160].

وهنا في قضية النصر والخذلان، بوصفهما نتيجتين للمعركة _أية معركة_ يرد المسلمين إلى قدر الله ومشيتته، ويعلقهم بإرادة الله وقدرته، حيث لا قوة إلا قوة الله، ولا قدرة إلا قدرته، ولا مشيئة إلا مشيئته⁽⁵⁾.

وكذلك النصر يأتي بمعنى الانتقام وإعانة المظلوم⁽⁶⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الشورى: 39]، أي: والذين إذا بغى عليهم باغ ينتصرون ممن ظلمهم من غير تعد عليه⁽⁷⁾.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا لَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: 51].
قد يقع هنا سؤال، قد علم أن بعض الأنبياء _عليهم الصلاة والسلام_ قتلهم قومهم بالكلية كحيى وزكريا، فأين النصر في الدنيا؟ يقول ابن كثير: (إن الانتصار لهم ممن آذاهم، وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم، كما فعل بقتلة يحيى وزكريا، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم، وأما الذين أريدوا صلب المسيح ﷺ فسلط الله عليهم الروم، فأهانوهم وأذلّوهم، وأظهرهم الله عليهم)⁽⁸⁾.

(1) عوامل النصر والتمكين، الشهري، ص 29.

(2) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ج 1/ ص 137، حديث رقم 156.

(3) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 5/ ص 435.

(4) الكليات، الحنفي، ص 909.

(5) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج 1/ ص 503.

(6) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ج 2/ ص 829.

(7) تفسير المراغي، المراغي، ج 25/ ص 53.

(8) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 7/ ص 150.

وقد أكد الله تعالى أن النصر حاصل لرسله ولأتباعهم من المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47].

المرتبة الخامسة: الغلبة

والغلبة أعلى من النصر فهي تزيد عليه بالقوة والقهر والشدة(1).
فهي رتبة أعلى من النصر يصل بها التمكين إلى مشارف الكمال، ولقد تكفل بها الله لرسله وجنده المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21].
وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون، على الرغم مما قد يبدو أحياناً من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق، فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك، واستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية، وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد(2).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: 173].

وقد تحقق العلماء أن غلبة الأنبياء على قسمين

1. غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميعهم.
2. وغلبة بالسيف والسنان، وهي ثابتة لخصوص الذين أمروا منهم بالقتال في سبيل الله؛ لأن من لم يؤمر بالقتال ليس بغالب ولا مغلوب(3).

لكن أكثر معاني الغلبة في القرآن الكريم غلبة السيف والسنان، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: 65]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَوْ كَانُوا يَدْرُسُونَ﴾ [الأنفال: 65].
وَيَسِّرْ لِيْهِمُ السَّبِيلَ [آل عمران: 12].

المرتبة السادسة: الملك أو الولاية

إن ولاية الأمر ووحدة القيادة مرحلة لازمة في كل مراحل ومراتب التمكين، ولكن حين يبلغ الحال باتباع دعوة الحق باتحادهم واجتماعهم على رجل واحد يكون ملكاً عليهم، فهذه الحال هي حالة التمكين العليا، والأكثر في الأمة الإسلامية، وفي أمم الأرض جميعاً قديماً وحديثاً، وليس فوقها إلا الخلافة التي على منهاج النبوة، فهي أعلى حالات التمكين لدعوة الحق، ولقد امتن الله بإعطائه الملك

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج4/ ص 388.

(2) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج 6/ ص 3514.

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج1/ ص 211.

لأقوام مؤمنين من أنبياء وغيرهم، ولأقوام كافرين، وبين سبحانه أنه لا يعطى لأحد إلا بإذنه وتصرفه وهو بيده فهو مالك الملك⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].

وفيه إشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة والقيصرة ومن تبعهم ويؤتية أمة محمد، وقد فعل والله الحمد، فحصول الملك ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى، ولا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية والدينية، التي هي سبب بقاء الملك وحصوله وسبب زواله، فإنها كلها بمشيئة الله لا يوجد سبب يستقل بشيء، بل الأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر، ومن الأسباب التي جعلها الله سبباً لحصول الملك الإيمان والعمل الصالح، التي منها اجتماع المسلمين واتفاقهم، وإعدادهم الآلات التي يقدرها عليها والصبر وعدم التنازع⁽²⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَعَآتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 251].

في هذا الأمر إعلان النصر الأخير للعقيدة الواثقة لا للقوة المادية، ولإرادة المستعالية لا للكثرة العددية، حينئذ يعلن عن الغاية العليا من اضطراع تلك القوى، إنها ليست المغنم والأسلاب، وليست الأمجاد والهالات، إنما هو الصلاح في الأرض، وإنما هو التمكين للخير بالكفاح مع الشر⁽³⁾. ولذلك حذر الإسلام من شق العصا بعد استقرار الأوضاع واجتماع الكلمة على حاكم؛ لأنها نعمة عزيزة، وفرصة لا تهدر بحال، بل حذر الإسلام وأمر بقتل من شق العصا ولو فجر الحاكم وبغى واستأثر، ما لم يترك الصلاة، أو يصل إلى الكفر البواح، ويعلن به، كل ذلك حفاظاً على تلك المرتبة العليا من التمكين والتي ينبغي ألا تهدر، وإذا أهدرت فإنه قلما يكون العوض خيراً من المعاض عنه⁽⁴⁾، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره، فإن عليه منه)⁽⁵⁾.

ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ولا بد للناس من إمارة؛ برة كانت أو فاجرة، فقيل: يا أمير المؤمنين هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ فقال: يقام بها الحدود، وتأمين بها السبل، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء⁽⁶⁾.

وبهذا يمكن القول إن كل مُلْكٍ وولاية للمسلمين هي مرتبة عليا من مراتب التمكين.

(1) عوامل النصر والتمكين، الشهري، ص 32.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/ ص 126.

(3) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج1/ ص 270.

(4) عوامل النصر والتمكين، الشهري، ص 33.

(5) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، ج4/ ص 50، حديث رقم، 2956.

(6) مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج28/ ص 297.

المرتبة السابعة: الخلافة

وهي الخلافة على منهاج النبوة، وهي المرتبة الأعلى في مراتب التمكين لدعوة المرسلين، وهي أفضل من الملك، وهي الأصل⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: 30]، هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة⁽²⁾.

قال رسول الله ﷺ: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر)، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (فوا ببيعة الأول، فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم)⁽³⁾.

وكذلك الحاكم أو الملك، فإن لم يكن من أنبياء الله، وكان يسير على نهج النبوة وقد اتخذ، كانت ولايته ديناً وقرية إلى الله، وكان خليفة من خلفاء الله في الأرض، وعندما يسمى الحاكم خليفة وهو على غير منهاج النبوة، فإنما يكون ذلك من باب التجوز في التسمية والتوسع، وإلا فالحقيقة أنه ليس بخليفة يصدق عليه مصطلح خلافة النبوة المتعارف عليه عند المسلمين وعلمائهم⁽⁴⁾.

إن هذه المراتب المتدرجة نحو التمكين لا يمكن أن تأتي دفعة واحدة، بل تأتي بشكل متتابع بعد الخلو من الشوائب، والتخلي بالمحامد، عندها سيكون الوصول للتمكين أمراً لا شك فيه.

المطلب الثاني: نماذج قرآنية للتمكين

بعد النظر في كتاب الله، نرى أن الله منح نعمة التمكين للعديد من أنبيائه وأوليائه، فقد مكّن الله نبيه محمد ﷺ، وكذلك مكّن ذي القرنين، ومكّن داوود وسليمان ويوسف _عليهم السلام_، وسأكتفي بذكر نموذج واحد من الذين منحهم الله هذه النعمة.

داوود عليه السلام وتمكين الله له

رفع داوود عليه السلام راية النصر، وشرع في إعادة التمكين لبني إسرائيل بعد المعركة الفاصلة التي أدت لمقتل جالوت على يد داوود عليه السلام⁽⁵⁾، وكان إذ ذاك فتى، وكان له الظفر، فالتقت على محبته القلوب، وتأكدت له أواصر الإخلاص، وأصبح بين عشية وضحاها حديث بني إسرائيل، يكونون له التقدير والتوقير، ومن ذلك الحين أصبح ينتقل من ظفر إلى ظفر، حتى تولى الملك، وأصبح ذا

(1) ينظر، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج35/ ص 22.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/ ص 264.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، ج3/ ص 1471، حديث رقم، 1842.

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج35/ ص 20.

(5) ينظر، تفاصيل القصة، من كتاب قصص الأنبياء، ابن كثير، ج2/ ص 256

سلطان، وظهرت ملامح الحكم في زمانه، في عدله وحكمه، فكان أوابًا رجاءًا إلى ربه بالطاعة والعبادة والذكر والاستغفار، وكان منهج التغيير في زمن داوود عليه السلام، هو الصراع المسلح بين قوى الخير والشر، والإيمان والكفر، وبالفعل تم دمج الباطل وإضعافه، ووصل بنو إسرائيل إلى قمة مجدهم وعزهم⁽¹⁾.

إن من أهم دعائم التمكين لداوود عليه السلام، أنه كان دائم الذكر والطاعة والتسبيح، يسبح بالعشي والإشراق، ومعه تجاوبت الجبال وكذلك الطيور، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ ۝﴾ [ص: 18 - 19].

وبعد استقرار العبادة في نفس نبي الله داوود وهبه ملكًا عظيمًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ۝ وَعَآيِنَتْهُ أَلْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ۝﴾ [ص: 20]، أي: الذي جعلنا له ملكًا كاملًا من بين ملوك الأرض، فقد كان داود أشد ملوك الأرض سلطانًا، وكان يحرس محرابه كل ليلة نيف وثلثون ألف رجل، وقويناه بالهيبة وإلقاء الرعب منه في القلوب، وبكثرة الجنود، بحيث لا يتمكن منه أعداءه، وكان مؤيدًا بنصر الله تعالى⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۝ إِنَّهُ أَوَابٌ ۝﴾ [ص: 17].

إن المتأمل في الآيات السابقة، التي تحدثت عن قصة نبي الله داوود عليه السلام، يتعرف على أهم صفات القائد الممكن.

ومن هذه أهم الصفات

1. الصبر

أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريق الصبر كمن سبقه من الأنبياء؛ لأن الصبر أول خطوة على طريق التمكين.

2. العبودية

وصف الله داوود عليه السلام بالعبد، والوصف بالعبودية لله مقام في غاية التشريف والتعظيم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر داود يحدث عنه، قال: (كان أعبد البشر)⁽³⁾.

وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا، ويفطر يومًا)⁽⁴⁾.

3. القوة على أداء الطاعة، والاحتراز عن المعاصي، في قوله تعالى: ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾.

والرجوع إلى طاعة الله في أموره كلها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَوَابٌ﴾.

(1) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي، ص 140.

(2) ينظر، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 15/ ص 162.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب الدعوات، ج 5/ ص 523، حديث رقم، 3490.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التهجد، باب من نام عند السحر، ج 2/ ص 50، حديث رقم، 1131.

4. قوة الملك: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾، وشددنا ملكه وقويناه بما أعطيناه من الأسباب، وكثرة العدد والعدة التي بها قوى الله ملكه⁽¹⁾.

5. إيتاء الحكمة: ﴿وَأَيَّنَهُ الْحِكْمَةَ﴾، إنا أعطيناه الفهم والعقل والفتنة وفهم الدين وجودة النظر، والعلم الذي لا ترده العقول، والعدل، وإتقان العمل والحكم السديد⁽²⁾.

6. حسن الفصل في الخصومات: ﴿وَفَصَّلَ لِنَطَابٍ﴾، أي: ألهمناه حسن الفصل في القضاء بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإيجاز البيان، بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل⁽³⁾.

إن هذه الصفات العظيمة، إذا تجمعت في إنسان أو جماعة، كان حقاً على الله أن يمكن لها في الأرض، ويجعلها تقود زمام الأمر، ويهيئ لها كل أسباب النجاح والظفر، لكن مع ذلك لا يخلو الإنسان أو الجماعة التي اتصفت بكل المقومات الصالحة والمؤهلة للتمكين من التعرض للفتنة والابتلاء والمحن.

ومع هذا كله، فقد تعرض داوود عليه السلام للفتنة والابتلاء، وكانت عين الله عليه لترعاه وتقود خطاه، وكانت يد الله معه تكشف له ضعفه وخطاه، وتوقيه خطر الطريق وتعلمه كيف يتوقاه⁽⁴⁾.

وبيان هذه الفتنة أن داوود النبي الملك، كان يخصص بعض وقته للتصرف في شؤون الملك، وللقضاء بين الناس، ويخصص البعض الآخر للخلوة والعبادة والترتيل تسييحاً لله في المحراب، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس، وفي ذات يوم فوجئ بشخصين يتسوران المحراب المغلق عليه، ففرغ منهم، فبادرا يطمئنانه، قالوا لا تخف، جئنا للتقاضي أمامك فاحكم بيننا بالحق والعدل، وابتعد عن الظلم والجور، وبدأ أحدهما فعرض خصومته بطريقة توحى بأن أحدهما وقع في ظلم صارخ، فاندفع داوود دون السماع إلى حجة الخصم الآخر وأصدر حكمه، وبعد انتهاء إصدار الحكم تنبه داوود بأنه لم يثبت، فربما كان صاحب النعجة الواحدة هو الظالم، فأيقن إنما الحادثة اختبار من الله تعالى، فرجع إلى طبيعته، واستغفر ربه، وخرّ راکعاً، وأناب⁽⁵⁾.

فبعد اكتمال تلك الصفات الواجب توافرها في كل شخص أو جماعة، واكتمالها عند نبي الله داوود، تأتي مرحلة الاستخلاف.

(1) تفسير المراغي، المراغي، 1/ ص 711.

(2) تفسير الوسيط، الزحيلي، ج3/ ص 2199.

(3) تفسير المنير، الزحيلي، ج23/ ص 185.

(4) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج5/ ص 3017.

(5) في ظلال القرآن، السيد قطب، ج5/ ص 3018.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ^ع

إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ [ص: 26].

يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، يخاطب الله تعالى داود عليه السلام بأنه استخلفه حاكماً بين الناس في الأرض، فله السلطة والحكم، وعليهم السمع والطاعة، ثم بيّن الله تعالى له قواعد الحكم تعليمًا لغيره من الناس، وهي⁽¹⁾:

1. ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾، أي: فاقض بين الناس بالعدل الذي قامت به السماوات والأرض، وهذه أولى وأهم قواعد الحكم.

2. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾، أي: لا تمل في الحكم مع أهواء نفسك أو بسبب مطامع الدنيا، فإن اتباع الهوى مزلفة ومدعاة إلى النار.

واتباع الهوى هنا، كناية عن الباطل والجور والظلم لما هو متعارف من الملازمة بين هذه الأمور وبين هوى النفوس، فإن العدل والإنصاف ثقيل على النفوس فلا تهواه غالباً، ومن صارت له محبة الحق سحبية، فقد أوتي العلم والحكمة، وأُيد بالحفظ أو العصمة، والنهي عن اتباع الهوى تحذيراً له وإيقاظاً؛ ليحذر من جراء الهوى، ويتهم هوى نفسه ويتعقبه، فلا ينقاد إليه فيما يدعوه إليه إلا بعد التأمل والتثبت⁽²⁾.

وتبين الآية الكريمة أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاهها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه، ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده⁽³⁾.

يرى الباحث: أن الآية الكريمة التي تحمل تكليفاً لنبي الله داود بالخلافة في الأرض قائمة على نشر العدل بين الناس وعدم الظلم والاستكبار، فهذه القاعدة منطلق مهمّ لثبات التمكين في الأرض، وأن اتباع الهوى يتمثل في الحكم بغير ما أنزل الله، وفي كل أمر لا يرضى عنه الله، وكذلك نشر للظلم والمحسوبية المقيتة، وقتل الكفاءات التي تدعو للصلاح، والنتيجة وراء ذلك حلول غضب الله ووعيده بالحساب الشديد.

(1) تفسير المنير، الزحيلي، ج23/ ص 187.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج23/ ص 244.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/ ص 714.

بعد منح الله الصفات العظيمة لداوود عليه السلام، وجعله خليفة يحكم بين الناس بالعدل والقيام على شئونهم بما أمره الله به، يأتي دور القوة التي والبأس الذي يحمي تلك الخلافة، لكيلا يجرأ أحد على الاعتداء، أو أن تسول له نفسه بالانقلاب والتمرد، فقد وهب الله داوود علمًا عسكريًا يمنحه القوة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80].
من نعم الله تعالى على نبيه أنه علّمه صناعة الدروع من الحديد للوقاية من الحروب والبأس؛ لأن بامتلاك الأدوات العسكرية في يد أولياء الله والمجاهدين حماية لدين الله من أي اعتداء، فبعد تعليم الله هذه الصنعة يوجه سؤالاً، هل شكرتم الله على هذه المنة؟ والمطلوب هو دوام الشكر له سبحانه وتعالى⁽¹⁾.

وهذه الآية دليل على جواز اتخاذ الصنائع والأسباب، فالسبب سنة الله في خلقه، وهي شهادة للعمال وأهل الحرف والصنائع بأن العمل شرف، واتخاذ الحرفة كرامة، وقد أخبر الله تعالى عن داود أنه كان يصنع الدروع، وفيها إشارة لحث أهل الإيمان على العمل والإبداع، والأخذ بأسباب النصر على الأعداء، ومحاربة الفساد بإعداد الجيوش مقودة بقيم الإيمان وتعاليم الرحمن⁽²⁾.

ومن تمام فضل الله على داود عليه السلام، أنه ألان له الحديد، وجعله في يده يتشكل كالطين، وذلك لِيُتِمَّ عَلَيْهِ نِعْمَةَ التَّمَكِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [١٠] أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ [سبأ: 10 - 11].

أي: وجعلنا الحديد في يده ليبدأ يسهل تصويره وتصريفه كما يشاء، فيعمل منه الدروع وآلات الحرب على أتم النظم وأحكم الأوضاع، التي تهيب له وسائل القوة والغلبة على أعدائه⁽³⁾.

ويقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25]، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، أي: خلقنا الحديد مع المعادن، وعلمنا الناس صنعته، وجعلناه رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ففيه قوة رادعة، ومنافع للناس ينتفعون به في كثير من حاجاتهم ومعاشهم، فكلمة الحديد إشارة إلى القوة الرادعة لتنفيذ أحكام الشريعة بين المسلمين ومن يتعايش معهم في داخل الدولة، ولجهد الأعداء الذين يعتدون على حرمت الدين وبلاد الإسلام، ويعرقلون انتشاره في العالم⁽⁴⁾.

إن الذي يمتلك أدوات القوة، هو الذي يتربع على عرش الحكم وقيادة البشرية جمعاء، وتكون له القوة واليد العليا، وقد مر داود عليه السلام بمراحل متتابعة حتى وصل للتمكين في الأرض، تمثلت في نفاء

(1) ينظر، في ظلال القرآن، السيد قطب، ج4/ ص 2390.

(2) تفسير المنير، الزحيلي، ج17/ ص 107.

(3) تفسير المراغي، المراغي، ج22/ ص 64.

(4) تفسير المنير، الزحيلي، ج27/ ص 332.

السر والسريرة مع الله أولاً، ثم وهبه الله المؤهلات ليرفع لواء الحق، ثم جاء بعد ذلك التكليف من الله بخلافة الأرض لإصلاحها، ثم بعد ذلك منحه الله وسائل القوة التي يحافظ بها على المشروع الرباني، فيرهب كل من أراد الاعتداء، وبهذه القوة يستطيع الداعية أن ينشر شرع الله، ويقود الناس إلى خيري الدنيا والآخرة.

ولا عجب اليوم من الحالة التي وصلت إليه الأمة الإسلامية، من حالة الضعف والذل، على الرغم من امتلاكها أدوات القوة، إلا أنها لا تستطيع أن تصنع إبرة إلا بعد سماح الغرب لها؛ لأنّها تخلت وتركت تعاليم الإسلام الداعية إلى الأخلاق والجهاد.

الخاتمة

الحمد لله العلي القدير، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من سار على دربه، واقتفى أثره إلى يوم البعث والدين، وبعد ...

أهم النتائج:

1. خلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم منهج متكامل، ومتوازن، وواقعي، ومتميز عن غيره، من المناهج، وذلك في مجال التربية العسكرية، للجند والقادة.
2. التربية العسكرية لا تتم إلا تحت إشراف قيادة نموذجية إسلامية، مؤهلة دينياً ومهنياً.
3. النظرية التربوية العسكرية، ترمي إلى إعداد الجندي والقائد العسكري.
4. يقع على عاتق الأسرة مهمة عظيمة، ألا وهي حسن التربية لما لها من بالغ الأثر في التربية العسكرية.
5. أظهر البحث الأهمية العظيمة للتخلي بالتربية في جوانب كافة، ولاسيما من الناحية العسكرية.
6. الإعداد المعنوي لا يقل أهمية عن الإعداد العسكري، في التفوق العسكري.
7. الدور البارز للإعلام العسكري في خلخلة صفوف العدو، وتحطيم قواه.
8. الحرب النفسية لها دور كبير في حسم نتائج المعارك، حين اتباعها.
9. الإعداد العسكري من الناحيتين: المادية والمعنوية لا ينفكان عن بعضهما في تحقيق النصر والعلبة.
10. التمكين في الأرض ثمرة الجهد التربوي العسكري المبذول.
11. القوة العقلية العلمية بعد القوة الإيمانية، هي صاحبة التفوق الأول في ميدان العسكرية.
12. أخذ الأسباب المعينة على النصر والتفوق تعدد من كمال القدرة العسكرية.
13. القوة الإيمانية والعقيد الإسلامية أقوى سلاح ممكن للقتال.
14. تختلف الأدوات العسكرية القتالية من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان.
15. التعرف على قدرات ومقدرات العدو، له الدور البارز في السيطرة على المعارك القتالية.
16. تعزيز الجانب المعنوي للمجاهد في سبيل الله، له التأثير الفاعل في ميدان الجهاد.
17. التمايز الكبير بين المجاهدين الذين تربوا في بيوت الله، وعلى موائد القرآن عن غيرهم.

18. لا تقتصر القرارات العسكرية على القيادة فحسب، بل الجندي له الدور الواضح في اتخاذ القرارات الإيجابية.

19. تعدُّ القدرات الأمنية والاستخبارية من أهم مقدمات الأعمال العسكرية القتالية.

20. التنوع في استخدام الأساليب والوسائل القتالية في نفس الزمان، تختلف باختلاف مهارة العدو.

21. التحصين العسكري بالتحالفات يعدُّ من أسباب القوة والمنعة، وصد العدوان، في بعض مراحل الصراع.

22. الأعمال العسكرية الناجحة، هي التي تعمل بخفاء، بعيدة عن أعين العدو وأعدائه.

أهم التوصيات:

1. إعداد فريق مؤهل لممارسة العمل التربوي العسكري؛ للارتقاء بجميع الجوانب التي تساعد على نشر الدعوة إلى الله، وخصوصًا في مجال العسكرية.
2. إنشاء مدارس عسكرية تقوم على أساس إسلامي، كمدرسة النبي ﷺ في تعليم أصحابه.
3. توفير الموازنات المالية الكافية؛ للإنفاق على مجال التربية العسكرية.
4. الانتقاء السليم للعاملين في هذا الميدان، والالتزام بالضوابط الشرعية الإسلامية.
5. بناء فريق رقابي، يعمل بشكل حقيقي ومهني؛ لمعالجة الأخطاء في مهدها.
6. إنشاء مصانع تواكب التطور التكنولوجي العسكري.
7. تضمين التربية العسكرية، للمناهج التعليمية "قدر المستطاع" ولو كان بطريقة غير مباشرة.

المصادر والمراجع

المراجع والمصادر:

1. أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، محمد رضا، دار إحياء المكتبة العربية، ط2، 1369 هـ - 1950م.
2. آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دمشق، دار الفكر، ط3، 1419هـ - 1998م.
3. أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، محمد نعيم ياسين، دار الأرقم، ط1، 1404 هـ - 1984م.
4. الأثر التربوي للمسجد، صالح بن غانم السدلان، الأستاذ بكلية الشريعة - قسم الدراسات العليا، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
5. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت 354هـ)، حققه: وخرج أحاديثه وعلق عليه، شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1408 هـ - 1988 م.
6. الأتحاف السياسية والعسكرية المعاصرة والآثار المترتبة عليها، هشام محمد برغش، دار اليسر، ط1، 1434هـ - 2013م.
7. إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة بيروت.
8. أخلاق الحرب في السيرة النبوية، د. إبراهيم محمد عبد الرحمن، دار الهداية، ط1، 1431هـ - 2010م.
9. أخلاقيات الحرب في الإسلام، د. محمد إقبال النائطي الندوي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1435هـ - 2014م.
10. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، دار مكتبة الحياة، 1986م.
11. إرشاد البرية إلى أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، أبي عبد الرحمن غنيم عبد العظيم لواتي، بحث مقدم لرابطة العالم الإسلامي.
12. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ.
13. أركان الإيمان، علي الشحود، بهانج- دار المعمور، ط1.
14. أروع القيم الحضارية في سيرة خير البرية، انجوغو امبكي صمب.
15. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ - 1998 م.

16. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام، دار الإصلاح، ط2، 1412هـ - 1992 م.
17. الاستخبارات العسكرية ودورها في تحقيق الأمن القومي للدولة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، زكي زيدان، مدرس الشريعة الإسلامية - بكلية الحقوق - جامعة طنطا.
18. الاستخبارات في دولة المدينة المنورة، إبراهيم علي أحمد، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط1، 1420 هـ - 1991م.
19. استراتيجيات الإعلام العسكري والحربي، د. محمد أبو سمرة، دار الزاوية للنشر والتوزيع، ط1، 2012م.
20. الاستطلاع والأمن ومقاومة الجاسوسية، محمد محفوظ، دار الاعتصام.
21. أسس التربية الإسلامية، عبد الحميد الزنداني، - ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، ط2، 1993.
22. أسلحة المسلمين القديمة، إسلام ويب، الرابط على الشبكة العنكبوتية، <https://www.islamweb.net/ar/article/135549>
23. الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم، محمد محمود الطلابي، محاضر في جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الإعلام، 1412 هـ.
24. الإثاعة، د. أحمد نوفل، الأردن، دار الفرقان، ط3، 1407هـ - 1987م.
25. أصول الاقتصاد الإسلامي، رفيق يونس المصري، دمشق، دار القلم، ط6، 1433هـ - 2012م.
26. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، بيروت - لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415هـ - 1995م.
27. الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة، عبد الله قاسم الواشلي، طنطا، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، ط2، 1993م.
28. الإعلام الحربي والعسكري، د. حازم الحمداني، عمان/ الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
29. الإعلام العسكري والحربي، علي عبد الفتاح، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
30. الإعلام العسكري والحربي، فردها حسن عبد الطيف، عمان - الأردن، الجنادرية، ط1، 2015م.
31. آفات على الطريق، محمد السيد نوح.

32. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (ت 634هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ.
33. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (ت 845هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ - 1999 م.
34. أمن البلدان من خلال القرآن، رياض محمد المسيميري، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
35. الأمن العسكري في السنة النبوية دراسة موضوعية، نهاد الثلاثيني، الجامعة الإسلامية، غزة، رسالة ماجستير، 1428هـ - 2007م.
36. الأمن العسكري، مظهر الشاكر، بغداد 2019م.
37. الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
38. الأمن والأجهزة الأمنية من وجهة نظر إسلامية، محمد سليمان الزير، دار الفكر.
39. الأمن والاستخبارات مفاهيم أمنية عسكرية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، الرابط على الشبكة العنكبوتية، www.politics-dz.com.
40. الأمن والأمن القومي مقاربات نظرية، أ. د. علي عباس مراد، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2017م.
41. الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، علي النميري، المكتبة الشاملة الذهبية.
42. الانضباط العسكري، اللواء حمد مبارك سعيد.
43. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.
44. أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، د. علي نفيح العلياني، دار طيبة، ط1، 1405هـ - 1985م.
45. أولويات الحركة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي.
46. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ/2003م.

47. *البداية والنهاية*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ - 1997م، سنة النشر، 1424هـ / 2003م.
48. *بصائر نوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ)، المحقق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
49. *البيان في أيمان القرآن*، ابن القيم الجوزية، تحقيق، عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط1، 1429 هـ.
50. *تاج العروس من جواهر القاموس*، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
51. *تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس*، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت 966هـ)، دار صادر - بيروت.
52. *التأصيل الإسلامي للأهداف المهارية*، تهاني أحمد جوارنة، دار الكتاب الثقافي.
53. *التبشير والاستعمار في البلاد العربية*، مصطفى الخالدي/ عمر فزوخ، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ط3، 1372 هـ.
54. *تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم*، د. علي محمد الصلابي، الإمارات/ الشارقة، مكتبة الصحابة، القاهرة/ عين شمس، مكتبة التابعين، ط1، 1422هـ - 2001م.
55. *تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين*، سيد بن حسين العفاني، دار ماجد عسييري.
56. *التحالف السياسي في الإسلام*، محمد منير الغضبان، الزقاء / الأردن ، مكتبة المنار، ط1، 1402هـ - 1982م.
57. *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تونس، الدار التونسية للنشر 1984هـ.
58. *التخطيط الإداري من المنظور الإسلامي النبوي*، خديجة أحمد محمد بامخرمه، مجلة المنال، العدد، 46، فبراير/ 2013.
59. *تدابير الأمن الداخلي وقواعده العامة في الدولة في ضوء مقاصد الشريعة*، حسام إبراهيم أبو الحاج، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية - عمان -.
60. *التربية الإسلامية من خلال القرآن الكريم*، محمد الحاج علي، دار الطباعة العربية، ط1، 1408 - 1988.
61. *التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة*، عبد الرحمن نحلاوي، بيروت، المكتب الإسلامي، الرياض، مكتبة أسامة، ط2، 1405هـ - 1985م.

76. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.
77. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ - 1946 م.
78. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ.
79. التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، بيروت، دار الجيل الجديد، ط10، 1413 هـ.
80. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الفجالة - القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م.
81. التقوى في القرآن دراسة في التفسير الموضوعي، محمد الديبسي، دار الكتب المصرية، ط1، 1429هـ - 2008م.
82. التقوى، محمد صالح المنجد، السعودية، مجموعة زاد للنشر، ط1، 1430هـ - 2009م.
83. تكتيك العمليات العسكرية في ضوء السنة النبوية "دراسة موضوعية"، (رسالة ماجستير) نسيم أبو عجينة، الجامعة الإسلامية، 2016م، 1437هـ.
84. تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر أن دُوزي، دار الرشيد للنشر، 1980م.
85. التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن، محمد السيد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط3، 2003م.
86. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت 1031هـ)، القاهرة، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، ط1، 1410هـ-1990م.
87. التوكل على الله، سليمان بن قاسم العيد، شبكة الألوكة، على الرابط، <https://www.alukah.net/web/eleid/0/52989/#ixzz6e8TGPMRc>
88. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000 م.
89. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.
90. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين من حديث جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم دمشقي، الحنبلي (ت 795هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1424 هـ - 2004 م.

91. الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996.
92. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
93. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964 م.
94. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.
95. الجهاد سبيلنا، عبد الباقي رمزون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1990.
96. الجهاد في الإسلام، محمد شديد، بيروت، مؤسسة الرسالة.
97. الجهاد في سبيل الله، د. كامل سلامة الدقس، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط2، 1409 هـ - 1988م.
98. الجهاد والفتاوية في الإسلام، حسن أيوب، بيروت-لبنان، دار الندوة الجديدة، ط2، 1403هـ - 1983م.
99. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، أصل الكتاب رسالة دكتوراه، الناشر، دار البيارق.
100. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، دار البيارق.
101. جوامع السيرة النبوية، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية.
102. جيل النصر المنشود، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة الزحيلي، ط3، 1412هـ - 1992م.
103. حديث القرآن عن الحرية، الدكتور توفيق زبادي، الرابط، <http://montdatarbawy.com/show/122756>.
104. الحرب النفسية أضواء إسلامية، د. فهمي النجار.
105. الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم، د. معن عارف.
106. الحرب النفسية، د. حميدة سميسم، الدار الثقافية للنشر - بغداد.
107. الحرب النفسية، صلاح نصر، دار القاهرة للطباعة والنشر، ط1، 1966م/ ط2، 1967م.

108. الحرب النفسية، محمد محفوظ، القاهرة، دار الاعتصام.
109. الحرب والرأي العام والدعاية، رشيد حمليل، إصدار وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، سنة 2007م.
110. الحرية السياسية في الإسلام، د. أحمد الفنجري، دار القلم، ط2، 1403هـ - 1983م.
111. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت 430هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.
112. حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 1999م.
113. الخلافة والملك، أبو الأعلى المودودي، الكويت، دار القلم، ط1، 1398هـ - 1978م.
114. خلق المسلم، محمد الغزالي، القاهرة، دار الريان للتراث، ط1، 1408هـ - 1987م.
115. خواطر حول القرآن الكريم " تفسير الشعراوي"، محمد متولي الشعراوي، إدارة الكتب والمكتبات، 1411هـ - 1991م.
116. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ) بمساعدة فريق عمل عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.
117. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.
118. دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، بيروت، دار النفائس، ط2 - 1425هـ.
119. درة اليقين في أسباب النصر والتمكين، جميلة المصري، الاسكندرية، دار البيان للنشر والتوزيع.
120. الدرر السنوية، الموسوعة الحديثية، الرابط، <https://dorar.net/hadith/sharh/20348>.
121. الدرر في اختصار المغازي والسير، النمري، الحافظ يوسف بن البر، المحقق: الدكتور شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1403هـ.
122. دروس في العقيدة، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي مصدر الكتاب، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net> [الكتاب مرقم آلياً، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 18 درساً].
123. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ.
124. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت 1057هـ)، بيروت - لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1425هـ - 2004م.
125. الدور التربوي للمسجد، عبد الله الواشلي، الرابط، <http://eyooon.net/view.aspx?id=23089>، السبت 11 / 10 / 2014.

126. الدور التربوي لوسائل الإعلام الإسلامي وسبل تطويره من وجهة نظر طلبة الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة، (رسالة ماجستير)، منور نجم، الجامعة الإسلامية- بغزة، 1426هـ - 2005م
127. دور المسجد في التربية، عبد الله قادري الأهدل.
128. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت 1427هـ)، بيروت، دار الهلال (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، ط1.
129. الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، المحقق: د. محمد جميل غازي، جدة، مكتبة المدني.
130. الرسول القائد، محمود شيت خطاب، بغداد، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، ط2، 1960م.
131. الروح العسكرية في الإسلام، محمد الخضر حسين، الرابط،
<https://dorar.net/article/1230>
132. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت 581هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1421هـ/ 2000م.
133. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1422 هـ.
134. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية ، ط27، 1415هـ/ 1994م.
135. الزهد في الإسلام - قراءة في صفة الصفوة، د. مأمون فريز جزار، 2018.
136. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت 1394هـ)، دار الفكر العربي.
137. سُبُلُ السَّلَامِ مِنْ صَحِيحِ سِيرَةِ خَيْرِ الْأَنْبَاءِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، صالح بن طه عبد الواحد، الدار الأثرية، مكتبة الغرباء، ط2، 1428هـ.
138. السلاح في الإسلام، عبد الرحمن زكي، مدير المتحف الحربي، مصر، دار المعارف.
139. السلام العالمي والإسلام، السيد قطب، القاهرة، دار الشروق، ط13، 1422هـ - 2001م.
140. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت 1420هـ)، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، (لمكتبة المعارف)، 1415هـ - 1995 م.
141. سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم، د. رمضان الغريب، المملكة العربية السعودية، عضو هيئة التدريس في جامعة الأزهر وأستاذ الدراسات القرآنية المشارك في كلية التربية حائل.

142. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية.
143. سنن الإعداد والتدافع، محمد محزون، مجلة البيان، العدد 118 / (ص، 8)، جمادي الآخرة، 1418 هـ.
144. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ - 1975 م.
145. السنن الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406 هـ - 1986م.
146. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001 م.
147. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ - 2003م.
148. سورة التوبة دراسة عقائدية، د. محمد طاهر العزيز، دار الكتب العلمية، سنة 2019م.
149. السيادة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية، عبد الوهاب خالف، مؤسسة الرسالة، 2000م.
150. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ط1 1398هـ / 1978م.
151. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت 1044هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2 - 1427هـ.
152. السيرة النبوية - دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي (ت 1384هـ)، المكتب الإسلامي، ط3، 1405 هـ - 1985 م.
153. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت - لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1395هـ - 1976م.
154. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت 1403هـ)، دمشق، دار القلم، ط8، 1427 هـ.
155. السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمن علي الحجي، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1420 هـ.
156. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت 354هـ)، بيروت، الكتب الثقافية، ط3، 1417 هـ.

157. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ - 2004م.
158. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1375هـ - 1955م.
159. الشخصية الإسلامية، تقي الدين النبهاني، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1426هـ - 2005م.
160. شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، السعودية، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ - 2003م.
161. شرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (ت 407هـ)، مكة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1424هـ.
162. الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، المستشار علي منصور، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، القاهرة، 1390هـ - 1971م.
163. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423هـ - 2003م.
164. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت 573هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، بيروت - لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق - سورية، دار الفكر، ط1، 1420هـ - 1999م.
165. الشورى العسكرية في عهد الرسالة، محمود شيت خطاب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط1، 1413هـ - 1992م.
166. الشورى بين التأثير والتأثر، عبد الحميد الأنصاري، مطابع الشروق، 1402هـ - 1982م.
167. الشورى في الإسلام "الشورى العسكرية"، محمود شيت خطاب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط1، 1413هـ - 1992م.
168. الشورى في الإسلام، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، 1985م.
169. الشورى في الإسلام، ابتهاج حجازي غبور، المكتبة الشاملة الذهبية.
170. الشورى في ضوء القرآن الكريم والسنة، حسن ضياء الدين عز، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية / إحياء التراث، ط1، 1422هـ - 2001م.

171. الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي، عبد الرحمن عبد الخالق، دار القلم، 1418هـ - 1997م.
172. الصبر في القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، دار وهبة الزحيلي، ط3، 1410هـ - 1989م.
173. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ - 1987م.
174. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414 - 1993.
175. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت 1420هـ)، المكتب الإسلامي.
176. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ - 1997م.
177. صفوة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، (ت 597)، تحقيق: أحمد بن علي، القاهرة، دار الحديث، ط1، 421هـ - 2000م.
178. صناعة القائد، طارق سويدان، فيصل عمر شرحبيل، مكتبة جرير السعودية / مكتبة العبيكان السعودية، ط3، 1425هـ - 2004م.
179. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي.
180. الطريق إلى المدائن، أحمد عادل كمال، بيروت، دار النفائس، ط1، 1392هـ - 1972م.
181. العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، القاهرة، مكتبة وهبة الزحيلي، ط24، 1416هـ - 1995م.
182. العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، محمد فرج، مطابع الدار القومية.
183. العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، جمال يوسف/ بهاء الدين أسعد.
184. العسكرية الإسلامية ونهضتها الحضارية، اللواء محمد محفوظ.
185. العسكرية في الإسلام، محمد جمال الدين محفوظ، 1119 كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع ، دار المعارف.
186. العقيدة العسكرية، محمد جمال الدين محفوظ، دار الاعتصام القاهرة للطباعة والنشر والتوزيع.
187. العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، 1415هـ - 1995م.
188. العلم العسكري والقيادة العلمية، محمد جمال الدين محفوظ، دار الاعتصام القاهرة للطباعة والنشر والتوزيع.

189. العلوم العسكرية في الحضارة الإسلامية، دراسة على الشبكة العنكبوتية، 18 / 8 / 2009، الرابط، <http://defensearab.com/vb/showthread.php?t=18997>.
190. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت 855هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي .
191. عوامل النصر والتمكين، أحمد بن حمدان الشهري.
192. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت 734هـ)، بيروت، دار القلم، ط1، 1993/1414.
193. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، محمد الغزالي، القاهرة، دار الشروق.
194. غزوة فتح مكة في ضوء السنة المطهرة، عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ت 1422هـ)، تحقيق: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض، مطبعة سفير .
195. الغفلة في القرآن الكريم، أسبابها وآثارها وطرق علاجها، د. إدريس الطيب، دراسات دعوية، العدد 14 / سنة 2007م.
196. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت، دار المعرفة، 1379.
197. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (ت 1250هـ)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت دار الكلم الطيب، ط1، 1414 هـ.
198. فتوحات إسلامية برؤية معاصرة، خالد فهمي، 2017م.
199. الفروسية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، المحقق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، السعودية - حائل، دار الأندلس، ط1، 1414 هـ - 1993م.
200. فصل الخطاب في الزهد والرفائق والآداب، محمد نصر الدين عويضة، ينظر المقدمة، ص2.
201. فضل الجهاد في سبيل الله، ابن القيم الجوزية، دار القلم.
202. فقه الأمن والمخابرات، إبراهيم علي أحمد، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1427هـ - 2006م.
203. فقه الدعوة إلى الله، على عبد الحليم، المنصورة/ مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410 هـ - 1990م.
204. فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (ت 1416هـ)، دمشق، دار القلم، ط1، 1427 هـ.
205. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، د. على الصلابي، بيروت، دار المعرفة، ط5، 1430هـ - 2009م.

206. فن الحرب الإسلامي، بسام العسلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1408 هـ - 1988م.
207. في الفقه السياسي الإسلامي، فريد عبد الخالق، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1419 هـ - 1998م.
208. في ظلال الإيمان، صلاح الخالدي، دار القلم - دمشق -، طالرابعة، 1434 هـ - 2013م.
209. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385 هـ)، - بيروت - القاهرة، دار الشروق ط17، 1412 هـ.
210. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت 1031 هـ)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط1، 1356 هـ.
211. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426 هـ - 2005 م.
212. القتال في الفتنة دراسة تأصيلية عقديّة، عبد الله بن العزيز السويد، دار الهدى النبوي - دار الفضيلة.
213. القرآن والقتال، محمود شلتوت، مطبعة دار الكتاب العربي، سنة 1951م.
214. قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774 هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، القاهرة، مطبعة دار التأليف، ط1، 1388 هـ - 1968 م.
215. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت 660 هـ)، راجعه وعلق عليه، طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.
216. قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفى مخدم، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 1420 هـ - 1999م.
217. قوت القلوب، أبوطالب المكي، الرابط على الشبكة www.al-mostafa.com.
218. القيادة والجنديّة في الإسلام، محمد السيد الوكيل، دار الوفاء للطباعة والنشر، 1430 هـ - 2009م.
219. القيادة، كيث جرينت، ترجمة، حسين التلاوي، مراجعة/ هاني فتحي سليمان، كلمات عربية للترجمة والنشر، ط2013، 1م.
220. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630 هـ)، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، 1417 هـ / 1997م.

221. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ - 1983م.
222. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
223. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر، المحقق، كمال يوسف الحوت، بيروت، دار التاج، 1409هـ - 1989م.
224. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ.
225. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.
226. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت 975هـ)، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ - 1981م.
227. كيف تتعم أسرنا بالأمن دراسة تأصيلية تربوية، د. عبد المجيد البيانوني، المملكة العربية السعودية - جدة -، ط1، 1429هـ.
228. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحبي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.
229. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت / لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ - 1998م.
230. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ، عدد الأجزاء، 15.
231. مبادئ الإرشاد النفسي في المجال العسكري، محمد نواف البلوي، دار الجنان للنشر والتوزيع، ط1، 2014م.
232. مبادئ الاقتصاد الإسلامي، سعد بن حمدان اللحياني، ط2، 1428هـ.
233. مبادئ الحرب، الرابط على الشبكة،
- <https://elsarm2909.wordpress.com/2013/06/14/> 2013.

234. المبادئ العامة للحروب التقليدية، شريف شكري يونس، الرابط على الشبكة،

<https://www.group73historians.com>

235. مجلة المجتمع، مقال بعنوان، سنة التمكين، فتحي يكن، العدد 1249، 1997م0

236. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط2، 1408 هـ - 1988م.

237. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1406 هـ - 1986 م.

238. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ/1995م.

239. المجموع شرح المذهب (ع تكملة السبكي والمطيعي)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، دار الفكر.

240. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418 هـ.

241. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422 هـ.

242. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ-2000م.

243. مخابرات دولة الرسول، محمد الشافعي.

244. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، بيروت- صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط5، 1420 هـ - 1999م.

245. مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق): محمد علي الصابوني، بيروت - لبنان، دار القرآن الكريم، ط7، 1402 هـ - 1981 م.

246. مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت 1206هـ)، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1418 هـ.

247. مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د. عبد الرحمن صالح عبد الله وآخرون، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

248. المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية، محمد جمال محفوظ، القاهرة، دار الاعتصام، ط2، 1976م.
249. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. عثمان جمعة ضميرية، مكتبة السوادى للتوزيع، ط1، 1414هـ - 1993م.
250. المدرسة العسكرية الإسلامية، محمد فرج، دار الفكر العربي، ط2.
251. المدرسة العسكرية النبوية، د. محمد عبد القادر أبو فارس، عمان/الأردن، دار الفرقان، ط1، 1413هـ - 1993م.
252. مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم بن إبراهيم قريبي، المملكة العربية السعودية، مادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط1، 1412هـ.
253. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1990م.
254. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.
255. مسند الدارمي المعروف ب (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت 255هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، المملكة العربية السعودية، دار المغني للنشر والتوزيع، ط1، 1412هـ - 2000م.
256. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
257. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، بيروت، المكتبة العلمية.
258. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو 770هـ)، بيروت، المكتبة العلمية.
259. مظاهر التربية الإسلامية، الشيخ سيد سابق، الرابطة على الشبكة العنكبوتية، <https://www.alukah.net/social/0/28420>.
260. المعالم الأثرية في السنة والسيرة، محمد حسن شراب، دمشق، دار القلم / بيروت، الدار الشامية، 1411هـ - 1991م.
261. معالم قرآنية في البناء، أ. د. محمد أديب الصالح، مكتبة العبيكان، ط1، 1428هـ - 2007م.

262. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين.
263. معجم المصطلحات العسكرية عربي - انجليزي، يوسف بن إبراهيم السلوم، دار العبيكان، سنة 2000م.
264. معجم المصطلحات العسكرية، العميد سامي عوض، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
265. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، سنة النشر، 1364 هـ.
266. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
267. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، عدد الأجزاء، 6.
268. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلججي، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، (حلب - دمشق)، دار الوعي، (المنصورة - القاهرة)، دار الوفاء، ط1، 1412هـ - 1991م.
269. معوقات الجهاد في العصر الحاضر تحليلاً وتقويماً، محمد العقلا، الرياض، دار الرشد، ط1، 1423هـ - 200م.
270. المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت 207هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، دار الأعلمي، ط3، 1409هـ - 1989م.
271. المغرب، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرَّرِي (ت 610هـ)، دار الكتاب العربي.
272. المغني، ابن قدامة المقدسي، دار عالم الكتب، ط3، 1417هـ - 1997م.
273. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ.
274. مفتاح دار السعادة ومنتشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية.

275. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412هـ.
276. المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المحقق: محي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، ط1، 1417 هـ - 1996م.
277. مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر محمد بن عاشور، القاهرة، دار الكتاب المصري / بيروت، دار الكتب اللبناني، 2011م.
278. مَقَاصِدُ الْمُكَلَّفِينَ فِيمَا يُتَعَبَّدُ بِهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، (رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر)، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العنبي، أصل هذا الكتاب، الكويت، مكتبة الفلاح، ط1، 1401هـ - 1981م.
279. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة دار البيان / المملكة العربية السعودية-الطائف، مكتبة المؤيد، 1410هـ - 1990م.
280. منتدى المواجهة العسكرية، الرابط على الشبكة، www.moqatel.com، سنة النشر، 2013.
281. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ - 1992م.
282. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة، ط2، 1414 هـ - 1994م.
283. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا، مؤسسة قرطبة، ط2، 1414هـ - 1994م.
284. منهج تربية المجاهدين في المدرسة النبوية، (رسالة ماجستير)، محمد سميح عبيد الله، جامعة الملك عبد العزيز، بمكة المكرمة، 1401 هـ.
285. مهارات بناء وتحفيز فرق العمل، محمود عبد الفتاح رضوان، القاهرة (مصر)، المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2013م.
286. موارد الظمان لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلطان (ت 1422هـ)، ط30، 1424 هـ.
287. موسوعة الأخلاق، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، مرجع علمي موثوق على منهاج أهل السنة والجماعة.

288. موسوعة الأخلاق، خالد الخراز، مكتبة أهل الأثر، ط1، 1430هـ - 2009م.
289. موسوعة الجهاد الأمن والاستخبارات، قيادات المعسكرات والجبهات، ط2، 1424 هـ.
290. موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، المكتبة السلفية ومطابعها، ط8، 1405 هـ - 1985م.
291. موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، عمان، بيت الأفكار الدولية.
292. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت 179هـ)، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1406هـ - 1985م.
293. موقع طريق الإسلام، الرابط على الشبكة العنكبوتية، <https://ar.islamway.net/article/74226/>
294. النصر والإسلام، محمود شيت خطاب، دار قتيبة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1392هـ - 1985م.
295. النظرية الإسلامية في الحرب النفسية، محمد جمال الدين محفوظ، دار الاعتصام.
296. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
297. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م.
298. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (ت 1345هـ)، دمشق، دار الفيحاء، ط2، 1425 هـ.
299. هداية الخلائق بين الغايات والوسائل، سلسلة تصحيح المفاهيم الإسلام وتحديات، ناجح إبراهيم عبد الله، مكتبة العبيكان، ط1، 1425هـ - 2004م.
300. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د، الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ - 2008م.
301. هل تخلى الله عن أمة محمد، علي الشحود، الباحث في علوم القرآن.
302. وسائل القتال وأساليبه في الإسلام، إسماعيل محمد حنفي، بحث مقدم لمؤتمر حماية ضحايا الحرب في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، سنة 2004م.

303.الوسطية مطلبًا شرعيًا وحضاريًا، د. وهبة الزحيلي، أبحاث مؤتمر "الوسطية منهج حياة"، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت.

304.الوسيط في رسالة المسجد العسكرية، محمود شيت خطاب، بيروت، دار القرآن الكريم، ط7، 1401هـ - 1981م.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات الكريمة

رقم الآية	رقم الآية	الآية	م.
سورة البقرة			
261	30	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ ﴾	1.
171	33	﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنۢبِيَآءُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ ... ﴾	2.
230	34	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكَبَرَ ۗ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ۗ ﴾	3.
29	38	﴿ فَمَنْ يَبۡعِ هُدًى فَلَاحِقَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾	4.
231	96	﴿ وَلَنَجۡدَنَّهُمْ أَهۡرَاصَ النَّٰسِ عَلَىٰ حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشۡرَكُوا يُوۡدُ أَحَدَهُمۡ نُوۡ يَعۡمُرُ أَلۡفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرۡحَزٍ جِهَةٍ ۖ مِنَ الْعَذَابِ أَنۡ يۡعۡمُرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يۡعۡمَلُونَ ... ﴾	5.
233	120	﴿ وَلَنۡ تَرۡضَىٰ عَنۡكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ... ﴾	6.
242	124	﴿ إِنِّي جَاعِلٌ لِّلنَّاسِ إِمَامًا ... ﴾	7.
242	124	﴿ لَا يَنَالُ عَهۡدِي الظَّٰلِمِينَ بِهِ ۗ ﴾	8.
224	143	﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلۡنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيۡكُمْ شَهِيدًا ... ﴾	9.
255، 243	143	﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلۡنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيۡكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾	10.
203، 38	153	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسۡتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ ... ﴾	11.
65	154	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ ۗ بَلۡ أَحْيَآءٌ وَلٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾	12.
31	163	﴿ وَإِلٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحۡمٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾	13.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
29	186	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾	14.
243	188	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾	15.
47 ، 42	190	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِلَيْكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾	16.
134 ، 88	190	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِلَيْكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ... ﴾	17.
134 ، 90	193	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ... ﴾	18.
250 ، 101	207	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ... ﴾	19.
146 ، 39	214	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَأَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾	20.
70 ، 39	216	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾	21.
247	217	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾	22.
88	246	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّنَا ... ﴾	23.
88	246	﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا ... ﴾	24.
157	249	﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ ... ﴾	25.

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
26.	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ... ﴾	251	76
27.	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَجُودِهِ... ﴾	251	248
28.	﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾	251	260
29.	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾	256	243
30.	﴿ فَأَذْنُوبًا يَحْرَبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾	279	170
31.	﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ... ﴾	282	215
32.	﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾	285	54
سورة آل عمران			
33.	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ بَلْ يَرَوْنَ كَثْرَةً فِي عُيُوبِهِمْ وَمُنْقَرًا بِأَعْيُنِنَا وَاللَّهُ يُهْدِي الْبَغْيَ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾	12	259
34.	﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَانِ فَتُنَّتُنَّ لِقَاءَ فِئَةٍ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾	13	257
35.	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ ﴾	26	260
36.	﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتَّابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧١﴾ ﴾	79	220
37.	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾	85	253

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
38.	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ... ﴾	100	197
39.	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونُوا بِالْأَنفُسِ الَّتِي كُفِّرْتُمْ بِمَسِيئَتِكُمْ ؕ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	102	20
40.	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴿١٠٣﴾ ﴾	103	152
41.	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَآذِكُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ ۖ ... ﴾	103	198
42.	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَآذِكُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ ۖ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ ذُرِّيَّةً مِّنَ النَّارِ فَانقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۗ ﴿١٠٣﴾ ﴾	103	220
43.	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾	103	252
44.	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۗ ﴿١٠٤﴾ ﴾	104	247
45.	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴿١١٠﴾ ﴾	110	242، 106
46.	﴿ وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾	120	216
47.	﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمَدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِلِينَ ۗ ﴿١١٤﴾ ﴾	124	138
48.	﴿ بَلَىٰ ۗ إِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۗ ﴿١١٥﴾ ﴾	125	138
49.	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ۗ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ ۗ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۗ ﴿١١٦﴾ ﴾	139	147
50.	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ ۗ ﴿١٤٢﴾ ﴾	142	60

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
144	97	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۗ ﴾ (١٤٤)	.51
144	202	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۗ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصَرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۗ ﴾ (١٤٤)	.52
146	253	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۗ ﴾ (١٤٦)	.53
151	193	﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا ۗ فِ اللَّهِ يُنزِّلُ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۗ وَيَسْ مَثْوَى الظَّالِمِينَ وَلَقَدْ	.54
151	229	﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ۗ ﴾	.55
152	229	﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنْذَرْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ مَّا أَرَانَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۗ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَلَقَدْ	.56
154	50	﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلَا يَتَلَوُا اللَّهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ ۗ وَيُخَصِّصُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِدَاتِ الصُّدُورِ ۗ ﴾ (١٥٤)	.57
154	197	﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ ... ﴾	.58
159	74	﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ... ﴾	.59
159	82	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ... ﴾	.60
159	244	﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ ﴾	.61
160	258	﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۗ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ ... ﴾	.62

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
169	65	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ﴾	63.
172	217	﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	64.
173	194، 194	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣)	65.
179	217	﴿ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٦)	66.
-196 197	18	﴿ لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ (١٧٦) مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (١٧٧)	67.
-139 140	39	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٦) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٧٦)	68.
-169 170	64	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٧٦) فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٧٧)	69.
-139 140	69	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ... ﴾	70.
-124 125	155	﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ (١٧٤) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (١٧٥)	71.
-145 146	172	﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنْتُمْ مُؤَجَّلُونَ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ... ﴾	72.
38، 55، 221، 172	200	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الْحَتَفِ) الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا تَفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠)	73.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
سورة النساء			
90	75	﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾	74
246	1	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾	75
43	104	﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمِنُونَ كَمَا تَأْمِنُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾	76
163	123	﴿ وَلَا يَحِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾	77
224	141	﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾	78
243	148	﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾	79
245	165	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾	80
214	48	﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾	81
36	-57 59	﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿٥٩﴾ ﴾	82
245	58	﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾	83
140	59	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٖ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾	84

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
85.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٥٩)	59	156
86.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾	59	243
87.	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ يَصُدُّونَ ﴾	64	241
88.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوَانْفِرُوا جَمِيعًا ﴾	71	108 ، 106
89.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (٧١)	71	144
90.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوَانْفِرُوا جَمِيعًا ﴾	71	174
91.	﴿ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٧٤)	74	102
92.	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٦)	76	42
93.	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	76	42
94.	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾	76	42
95.	﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ... ﴾	76	43
96.	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٦)	76	61
97.	﴿ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ أَنْفَى وَلَا نُظَلَمُونَ فَنِيلاً ﴾ (٧٧)	77	18
98.	﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٨٠)	80	140
99.	﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ ﴾	83	199
100.	﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعُوا بِهِ ﴾	83	171

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
199 ، 196	83	﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ ﴾	.101
89	89	﴿ وَذُوقُوا تَذَاتُورًا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴿٨٩﴾ ﴾	.102
217	9	﴿ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلَيْتَقُؤُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾	.103
سورة المائدة			
164	1	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾	.104
40	2	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾	.105
152 ، 40	2	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾	.106
163 ، 151	2	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾	.107
78	24	﴿ فَأَذَٰبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾	.108
176	24	﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذَٰبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ۗ الْأَرْضُ ﴾	.109
253	3	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾	.110
240	44	﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	.111
240	45	﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	.112
240	47	﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	.113
233	51	﴿ بِالْفَتْحِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ۚ ﴾	.114

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
254	54	﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾	.115
173	55	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾	.116
17	-80 81	﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْلُغَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ...﴾	.117
70	82	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ يَوْمَئِذٍ لَبِئْسَ بِالنَّاصِرِينَ﴾	.118
31	-90 91	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَزْلَامِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾	.119
سورة الأنعام			
214	1	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾	.120
35	38	﴿مَا فَطَرْنَا فِي السَّمَاءِ مِن شَيْءٍ ﴿٣٨﴾﴾	.121
251	143	﴿نِعْمُوْنِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾	.122
62	153	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾	.123
249	162	﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَمَنَاسِكِي وَحَيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾	.124
سورة الأعراف			
سورة الأنفال			
210	4-2	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ...﴾	.125

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
29	-125 126	﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْفِئُ مِنَّا إِلَّا أَن تَأْمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾	.126
23	-15 16	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْاَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾	.127
218	-45 46	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتزَعَّرُوا فَنفْسِلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾	.128
210	3	﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾	.129
210	4	﴿ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾	.130
210	4	﴿ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾	.131
211	4	﴿ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾	.132
155، 138	9	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾ ﴾	.133
70	12	﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾	.134
193	12	﴿ سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾ ﴾	.135
55	16	﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾	.136
147، 68	17	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾	.137

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
138.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾	27	144
139.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾	29	215
140.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْسِدُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	36	237
141.	﴿ وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كُفُّهُ لِّلَّهِ فَإِنَّ أُنتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	29
142.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفِئَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾	40	231
143.	﴿ فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ﴾	44	170
144.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾	45	55، 60، 194
145.	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾	46	40
146.	﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾	46	40
147.	﴿ وَلَا تَنزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾	46	40، 228
148.	﴿ يَا مَعْرُوفُ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾	54	219
149.	﴿ فَأَمَّا ثَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهْمَ مَن خَلَفَهُم لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴾	57	247
150.	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	25، 209، 125، 200، 33
151.	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ءَعَدُّوا اللَّهَ وَعَدُّوكُمْ ءَوَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ ... ﴾	60	125

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
195، 200، 174، 193	60	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾	.152
200	60	﴿وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾	.153
226	60	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	.154
257	62	﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِصَرْوِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾	.155
146	65	﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾	.156
259	65	﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾	.157
208	71	﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾	.158
164	72	﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾	.159
244	85	﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾	.160
221	126	﴿وَمَا نُنْقِمْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾	.161
230	146	﴿سَاصِرُفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾	.162
219	196	﴿إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾	.163
93	199	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾	.164

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
سورة التوبة			
232	10	﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ (١٠)	165.
175	107	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾	166.
195	107	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٧)	167.
64، 36، 101، 71	111	﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١١١)	168.
226	120	﴿ هَمَزْتُمَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٢٠)	169.
222	122	﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢)	170.
71	13	﴿ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُكُمْ أَوْلَىٰ مَرَّةً أَخَشَوْهُمْ ۗ فَاَللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣)	171.
153	13	﴿ تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُكُمْ أَوْلَىٰ مَرَّةً أَخَشَوْهُمْ ۗ فَاَللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣) كَيْفَ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ...	172.

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
14-15	173	﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْزِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِئُ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَلَا	.173
16	59	﴿ أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تَتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾	.174
18	54	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾	.175
24	59	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾	.176
25	16	﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾	.177
29	135	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾	.178
31	212	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾	.179
31	212	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	.180

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
38-41	244	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ ﴾	181.
40	257	﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾	182.
41	254، 138	﴿ تَعَالَى: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	183.
47	201، 175	﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ ﴾	184.
51	172	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالِئَتَوْكُلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	185.
64	192	﴿ قُلِ اسْتَهِرُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴾	186.
64-66	30	﴿ يَحْذَرُ الْمُتَنَفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِرُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ... ﴾	187.
7	162	﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُّوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾	188.
8	50	﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾	189.
81-83	198	﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ... ﴾	190.
83	201	﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْتَوْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجََا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نُقْتَلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقَعُودِ ... ﴾	191.

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
192.	﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧)	87	50
سورة يونس			
193.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ إِيمًا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٨)	8-7	18
194.	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٣)	13	228
195.	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ ﴾ (١١) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (١١) ﴿ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (١١)	99	243
سورة هود			
196.	﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾	38	191
197.	﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا ... ﴾	87	192
سورة يوسف			
198.	﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ... ﴾	21	208
199.	﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	21	238
200.	﴿ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ ... ﴾	40	241

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
54	208	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾	.201
55	238	﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾ ﴾	.202
70	171	﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾	.203
99	105	﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾	.204
103	247	﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾	.205
108	246	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾	.206
سورة الرعد			
11	221، 49	﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	.207
19	26	﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَنْدَرُكُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	.208
20	162	﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ ﴾	.209
سورة إبراهيم			
1	94	﴿ الرَّكَّاتِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾	.210
27	32	﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾	.211
35	105	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾	.212
52	170	﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ... ﴾	.213

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
27	250	﴿الرَّحْمَنُ اللَّهُ الَّذِي ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	.214
سورة الحجر			
11	192	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١١)	.215
29	146	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾ (٢٩)	.216
94	236، 169	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	.217
سورة النحل			
36	212	﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٣٦)	.218
53	219	﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (٥٣)	.219
90	93	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠)	.220
90	245	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾	.221
91	164	﴿الْقَائِلِينَ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾	.222
112	143	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢)	.223
125	255	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾	.224

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
20	128	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨)	.225
سورة الإسراء			
243	33	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	.226
199	36	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣٦)	.227
سورة الكهف			
208	84	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَانَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَأًا ﴾ (٨٤)	.228
سورة مريم			
218	25	﴿ وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حِينًا ﴾ (٢٥)	.229
217	63	﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٦٣)	.230
216	-71 72	﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴾ (٧٢)	.231
63	96	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾	.232
سورة الأنبياء			
251	-80 81	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (٨٠) وَلَسَلَيَمَنَّ الرِّيحُ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴾ (٨١)	.233
247	18	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾	.234
212، 235، 249	25	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٥)	.235

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
80	26، 265	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾	.236
92	151	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾	.237
سورة الحج			
-39 40	87	﴿ أذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾	.238
27	171	﴿ وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ... ﴾	.239
39	153، 46	﴿ أذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ... ﴾	.240
41	239	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلَيْكَ الْأَمُورِ ... ﴾	.241
78	35	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ اللَّهُ ... ﴾	.242
سورة المؤمنون			
71	30	﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ دُونَ ... ﴾	.243
سورة النور			
12	196	﴿ تَوَلَّآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ۗ إِفْكٌ ... ﴾	.244
19	190	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾	.245
27	243	﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا ﴾	.246
-35 37	52	﴿ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتِ أَدْنَىٰ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ ۗ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾	.247

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
239، 209	55-56	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	.248
209	55	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ نَدًّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	.249
سورة الفرقان			
16	58	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ آيَةٌ	.250
227	44	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ... ﴾	.251
254	52	﴿ فَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾	.252
سورة الشعراء			
236	214	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾	.253
سورة النمل			
109	22	﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾	.254
109	22	﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ ﴾	.255

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
22	109	﴿ وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِيقَانَ ﴾	256.
-22 24	109	﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِيقَانَ ... ﴾	257.
-23 24	109	﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾	258.
27	109	﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾	259.
28	109	﴿ أَذْهَبَ بِكُنُوزِي هَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾	260.
-29 32	75	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤِ إِنِّي أَلقَى إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤِ أَقْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	261.
32	75	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤِ أَقْتُونِي فِي أَمْرِي ﴾	262.
35	109	﴿ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	263.
40	خ	﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾	264.
سورة القصص			
4	243	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾	265.
11	110، 110	﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ ۖ فُصِّيه ﴾	266.
11	110، 110	﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۗ ﴾	267.
12	110	﴿ هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكُمْ يُكْفَلُونَ لَهُ ۚ لَكُمْ وَهَمٌّ لَهُمْ لَنْصَحُونَ ۗ ﴾	268.
77	18، 223	﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ ﴾	269.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
228	-39 40	﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَكْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾	.270
235	59	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْهِمْ ؕ أَيْنَمَا وَجَدْنَا مَالًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ الْيَأْسَاءِ وَالضَّرَافِعِ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾	.271
سورة العنكبوت			
253، 61	3-2	﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾	.272
131	20	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾	.273
31	69	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	.274
سورة الروم			
259	47	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	.275
سورة الأحزاب			
199	-12 13	﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ... ﴾	.276
200	-70 71	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا ... ﴾	.277
1، 47، 219، 140	21	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾	.278
193	26	﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾	.279
30	36	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾	.280

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
سورة سبأ			
11	126	﴿ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْيٍ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدِ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا ﴾	.281
-10 11	265	﴿ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدِ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾	.282
سورة فاطر			
28	26	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾	.283
سورة الصافات			
173	259	﴿ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾	.284
سورة ص			
-18 19	262	﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾	.285
20	262	﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾	.286
17	262	﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾	.287
26	264	﴿ يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾	.288
سورة الزمر			
11	14	﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾	.289
30	97	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	.290
72	231	﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾	.291

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
سورة غافر			
14	14	﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١٤)	.292
258	51	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ... ﴾	.293
سورة فصلت			
246، 21	33	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣)	.294
227	17	﴿ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صِعْقَةُ الْعَذَابِ أَهْلُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٧)	.295
سورة الشورى			
75	38	﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ... ﴾	.296
75	38	﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾	.297
244	38	﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾	.298
258	39	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ ﴾	.299
35	52	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢)	.300
سورة الزخرف			
192	7	﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ اللَّهُ ﴾	.301
سورة محمد			
1	7	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧)	.302
213	12	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمْتَنِعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (١٢)	.303

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
17	32	﴿ وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾	.304
سورة الحجرات			
-11 12	93	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ ... ﴾	.305
9	91	﴿ وَإِن طَافَيْتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾	.306
12	243	﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾	.307
13	246	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾	.308
15	55	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	.309
15	211	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	.310
سورة الرحمن			
46	28	﴿ وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ ﴾	.311
سورة الحديد			
16	231	﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	.312
25	126	﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾	.313

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
126	25	﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾	314.
126	25	﴿ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾	315.
265	25	﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾	316.
سورة الذاريات			
212	56	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾	317.
سورة المجادلة			
251	11	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾	318.
259	21	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾	319.
سورة الحشر			
123	5	﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰ أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴾	320.
122	16	﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾	321.
21، 20	18	﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	322.
سورة الممتحنة			
234	1	﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْجُدُوا عَدُوِي وَعَدُوَّتُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ ... ﴾	323.
سورة الصف			
100	-10 11	﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَحَرُّقٍ تُسْجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ... ﴾	324.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
227	2	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾	325.
120، 27	4	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا ﴿٤﴾ ﴾	326.
239	9	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾	327.
64	10	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرُوا عَلَىٰ تَحِيْرٍ تُنَجِّكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾	328.
64	11	﴿ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ حَبْرٌ لَّكُم إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾	329.
257	14	﴿ فَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عِدْوِهِمْ فَاصْبِرُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾	330.
سورة المنافقون			
108	4	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشِبٌ مُّسْنَدَةٌ يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَلْنَهُمْ اللَّهُ أَنْفِي ﴿٤﴾ ﴾	331.
224	8	﴿ وَاللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	332.
سورة التغابن			
250	2	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ ؕ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ... ﴾	333.
سورة الطلاق			
16	3	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ ﴾	334.
214، 214	2	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾	335.
215	4	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾	336.
219	12	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾	337.
سورة التحريم			
49	6	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾	338.
سورة القلم			
26	1	﴿ تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾	339.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
94، 48	4	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾	.340
217	34	﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾	.341
سورة الجن			
51	18	﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾	.342
سورة المدثر			
225	-18 25	﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَمَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾	.343
235	3-1	﴿ يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِرُ ﴿١﴾ فَرَأَيْنَهُ فَكَّنٍ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَّنٍ ﴿٣﴾ ﴾	.344
سورة الإنسان			
222	2	﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾	.345
سورة المرسلات			
208	21	﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾	.346
سورة النازعات			
28	-40 41	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾	.347
سورة البروج			
89	8-4	﴿ قِيلَ اصْحَبِ الْأَعْدُدِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾	.348
131	13	﴿ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾	.349
سورة الطارق			
163	10	﴿ فَأَلِهِ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾	.350

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
سورة البلد			
222	4	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾	351.
سورة الشمس			
68	10-7	﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾	352.
سورة العلق			
25	4-1	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾	353.
251	4-1	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾	354.
سورة البينة			
13	5	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ ﴾	355.
سورة العاديات			
149	5-1	﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُعِيرَاتِ ضُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾	356.
149	1	﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾	357.
149	2	﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾	358.
149	3	﴿ فَالْمُعِيرَاتِ ضُبْحًا ﴾	359.
150	4	﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾	360.
150	5	﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾	361.
سورة قريش			
105	4-3	﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنَ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾	362.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
سورة العصر			
256	3-1	<p>﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾</p>	363.

ثانياً: فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	طرف الحديث	م.
24	(اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات).	1.
52	(أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)	2.
262	(أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً، ويفطر يوماً)	3.
22	(اخْرُجُوا بِسْمِ اللَّهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لَا تَعْدِرُوا وَلَا تَعْلُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا الْوُلْدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ)	4.
141، 219	(إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)	5.
26	(إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)	6.
37	(اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة).	7.
183، 95	(اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا)	8.
47	(اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا).	9.
34	(ألا إنَّ القوة الرمي، ألا إنَّ القوة الرمي، ألا إنَّ القوة الرمي)	10.
152	(اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة)	11.
127	(اللهم، منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم، وانصرنا عليهم).	12.
32	(المجاهد من جاهد نفسه في الله)	13.

رقم الصفحة	طرف الحديث	م.
75	(المستشار مؤتمن)	14.
33	(المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير).	15.
246	(المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده)	16.
167	(امحه"، فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه، فمحا رسول الله ﷺ بيده، وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح، فسألوه ما جلبان السلاح؟ فقال: القراب بما فيه)	17.
87، 22	(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله).	18.
44	(إن أبواب الجنة تحت ظلل السيوف)، فقام رجل رث الهيئة، فقال: يا أبا موسى، أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، قال: "فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه(فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل)	19.
199	(إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق).	20.
226	(إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ...).	21.
15	(إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه)	22.
228	(إن الله ليملئ للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته)	23.
21	(إن الله يحب العبد النقي النقي الخفي)	24.
127	(إن الله يدخل ثلاثة نفر الجنة بالسهم الواحد صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به ومنبله).	25.
257	(إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر، أو ينافح عن رسول الله ﷺ)	26.

رقم الصفحة	طرف الحديث	م.
159	(إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمتنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)	.27
220	(إن ربكم واحد، وأباكم واحد، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى).	.28
19	(أن عبد الرحمن بن عوف، أتى بطعام، وكان صائماً، فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة : إن عطي رأسه بدت. أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ حَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتِنَا عَجَلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ).	.29
45	(إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)	.30
199	(إن من أفرى القرى أن يُرى عينيه ما لم تر)	.31
92	(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: "تأخذ فوق يديه".	.32
94	(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).	.33
211	(أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا قال: "الجهاد في سبيل الله" قيل: ثم ماذا قال: "حج مبرور". أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا قال: "الجهاد في سبيل الله" قيل: ثم ماذا قال: "حج مبرور")	.34
72	(أيكما قتله؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالوا: لا، فنظر في السيفين، فقال: كلاكما قتله)	.35
245	(أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)	.36

رقم الصفحة	طرف الحديث	م.
129	(بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة، والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)	.37
170	(بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار)	.38
54	(بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم، دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها)، فقال: (دعهم يا عمر)	.39
203	(تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ).	.40
222	(حقت الجنة بالمكاره، وحقت النار بالشهوات)	.41
128	(سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل)	.42
203	(عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له)	.43
182	(على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم).	.44
22	(قال رسول الله ﷺ، لعلي بن أبي طالب: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم)	.45
165	(قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش، والأنصار في داره)	.46
262	(كان أعبد البشر).	.47
135	(كان رسول الله ﷺ، بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه، وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: "...)	.48
261	(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر)، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (فوا ببيعة الأول، فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم)	.49
144	(لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)	.50

رقم الصفحة	طرف الحديث	م.
30	(لا تحاسدوا، ولا تناجسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكفوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم، ...)	.51
258	(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة...)	.52
214	(لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله)	.53
165	(لا حلف في الإسلام)، فقال: (حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرتين أو ثلاثاً)	.54
107	(لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه لعباً جاداً، وإذا أخذ أحدكم عصا أخيه، فليردها عليه)	.55
106	(لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً)	.56
231	(لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل)	.57
خ	(لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ) خطأ! لم يتم العثور على مصدر المرجع. خطأ! لم يتم العثور على مصدر المرجع.	.58
107	(لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار)	.59
22	(لأدفعنَّ اليوم اللواء إلى رجل يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه" قال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ، فتناولت لها، فقال لعلي: "قم"، فدفعت اللواء إليه، ثم قال له: "أذهب ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك"، ...)	.60
66	(لغدوة في سبيل الله، أو روحه، خير من الدنيا وما فيها)	.61
97	(لقد علموا)	.62
67	(ما أنصفنا أصحابنا)	.63
129	(ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أحد: (يا سعد ارم فداك أبي وأمي)	.64
94	(ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله لبيغض الفاحش البذيء)	.65

رقم الصفحة	طرف الحديث	م.
96	(ما كانت هذه تقاتل" ثم نظر في وجوه القوم، فقال لأحدهم: "الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية، ولا عسيفاً)	.66
41	(مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)	.67
106	(من أصبح معافى في بدنه، آمناً في سربه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)	.68
141	(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره فإن عليه منه)	.69
157	(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)	.70
37	(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني).	.71
43	(من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار)	.72
66	(من خير معاش الناس لهم، رجلٌ ممسكٌ عنان فرسه في سبيل الله، يطير على منته، كلما سمع هيعة، أو فزعة طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانه، أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من ...)	.73
26	(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة).	.74
87، 44	(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله عز وجل)	.75
177	(من يأخذ مني هذا؟" فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: "فمن يأخذه بحقه؟" قال فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجاجة: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين).	.76

رقم الصفحة	طرف الحديث	م.
181	(نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: " قوموا إلي سيدكم، أو خيركم"، فقال: "هؤلاء نزلوا على حكمك"، فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، قال: "قضيت بحكم الله"، وربما قال: "بحكم الملك")	.77
166	(نصرت يا عمرو بن سالم)	.78
186	(هذا حين حمي الوطيس"، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: "انهزموا ورب محمد" قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله، ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا، وأمرهم مدبرًا)	.79
65	(والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيأ، ثم أقتل، ثم أحيأ، ثم أقتل، ثم أحيأ، ثم أقتل).	.80
260	(وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره، فإن عليه منه)	.81
62	(وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)	.82
186	(يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين؟ فقال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول، ولكن عجل سرعان القوم، فرشقنهم هوازن، وأبو سفيان بن الحارث أخذ برأس بغلته البيضاء، يقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)	.83
24	(يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)	.84
225	(يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أیده بروح القدس"، قال أبو هريرة: نعم").	.85
200	(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا)	.86

رقم الصفحة	طرف الحديث	م.
230	(يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكرهيتكم الموت)	.87

ثالثاً: فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العلم	م.
112	بسبس بن عمرو	.1
114	بُسر بن سفيان	.2
83	الحارث بن عوف	.3
79	الحياب بن المنذر	.4
118	ابن أبي ابن حدرد الأسلمي	.5
67	زياد بن السكن	.6
85	سعد بن مالك الزهري	.7
21	طلق بن حبيب	.8
112	عدي بن أبي الزغباء	.9
83	عينة بن حصن	.10
78	قال له سعد بن معاذ	.11
116	أبي أبي قتادة الأنصاري	.12
81	مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدريّ	.13
118	مالك بن عوف	.14
204	محمد بن مسلمة	.15
84	والأقرع بن حابس	.16
83	وسعد بن عبادة	.17

رابعًا: فهرس البلدان

رقم الصفحة	البلد	م.
78	برك الغماد	.1
116	بطن أضم	.2
115	بلدخ	.3
184	مر الظهران	.4